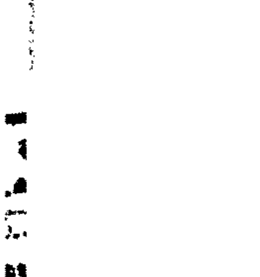
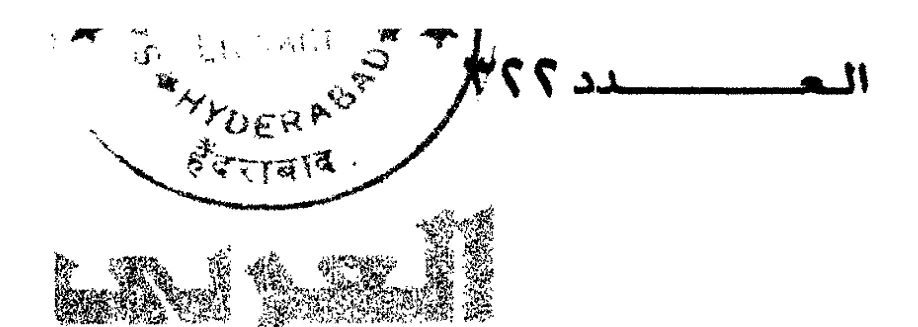




العـــــدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No: 322 Sept. 1985 P.O.Box 748
Kuwait . A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

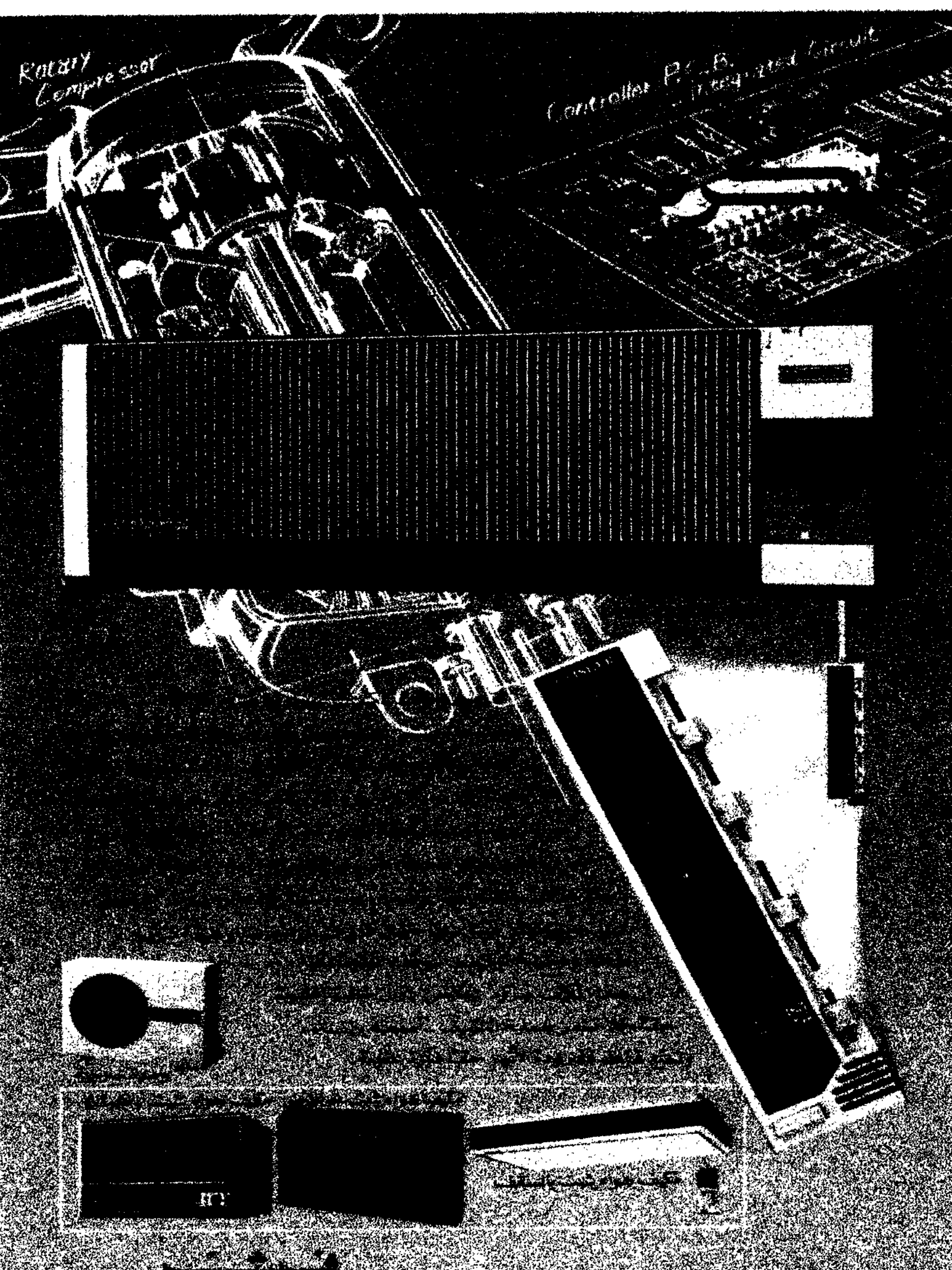
ص . ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041 KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الإمارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران





Rotary Compressor
Controller P.C.B. Integrated Circuit
FISHER



عزيزي القارئ

في بلاد كالكويت قررت أن تعتزل الفتنة وتسعى جاهدة لرأب الصدع بين الشقيقات العربيات ، في منطقة ابتلاها الله بالحروب والمنازعات واقتتال الاخوة ، وفي منطقة محاطة بأطماع متعددة . . بلاد هذه سياستها فان قدرها أن تضيف من جديد شهداء أبراراً الى قائمة الشهداء الذين قدمتهم ، سواء على ضفاف القتال في حرب التحرير . . أو في سفاراتها بالخارج حيث استشهد رجال يقومون بأعمالهم الرسمية ، أو في الداخل حيث سقط مدنيون آمنون مطمئنون كانوا يقضون وقت فراغهم في المقاهي الشعبية . . فامتدت اليهم يد الغدر كي تمزق الصغار والكبار من دون ذنب جنوه أو جرم ارتكبوه .

القتل العشوائي للنفس البشرية التي حرم الله قتلها الا بالحق ، أصبح خبز هذه المنطقة العربية وماءها في السنوات القليلة الماضية . ولقد استهدفت الكويت لأنها وقفت وتقف دائما مع الحق . . والحق يغضب كثيرا النفوس الضعيفة .

ونحمد الله على أن شهداءنا الأبرار ذهبوا في صف طويل منذ أن ظهرت الكويت المستقلة الى المجتمع الدولي . . نحمد الله على أن هؤلاء الشهداء خرجوا من مجتمع مؤمن بربه وبرسالته ، سواء كان ذلك على المستوى السياسي أو الثقافي العربي . . واننا اذ ندعو لأرواح هؤلاء الشهداء بالرحمة والمغفرة ، لنشعر أن طريقنا في تعزيز الثقافة العربية هو جزء من سياسة الكويت المستقلة والمستنيرة . . فان كان البعض لم يبخل بروحه ليفتديها ، فلن نبخل نحن في « العربي » ببذل الجهد المضاعف حتى نقدم لك أيها القارىء العزيز ما تتوقعه منا .

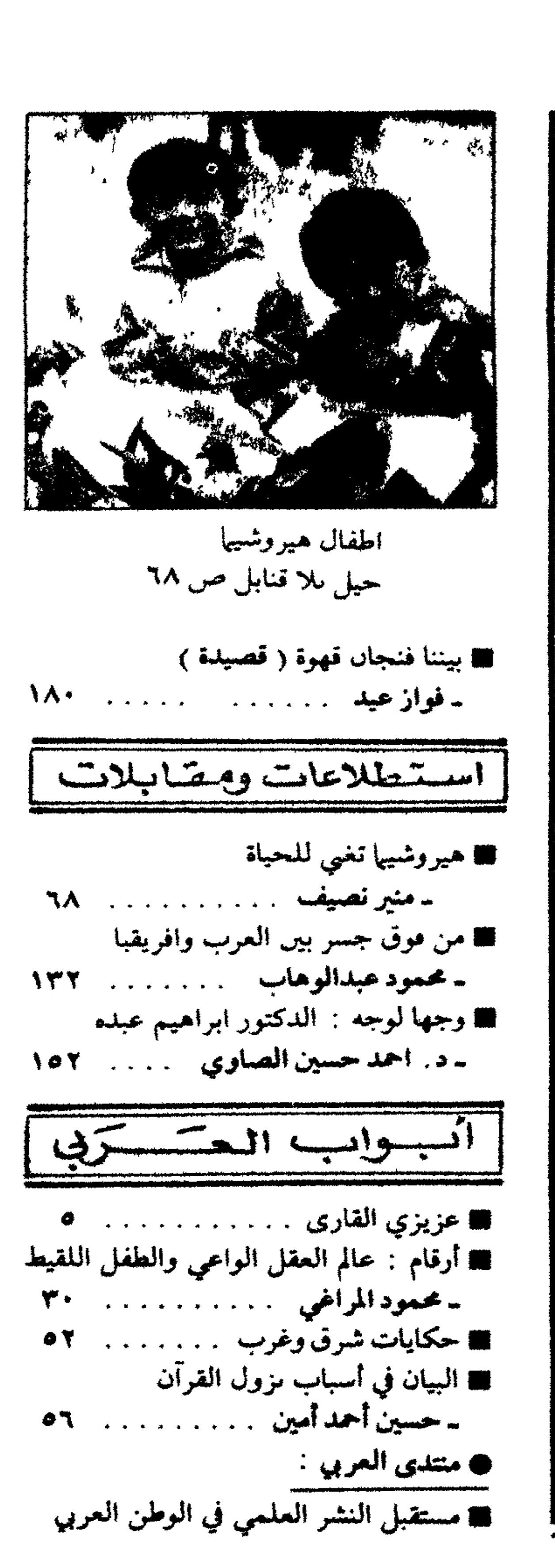
ففي هذا العدد يطالعك استطلاع بالقلم والصورة عن هيروشيما . . وهي تغني للحياة بمناسبة الذكرى الأربعين على القاء القنبلة الذرية عليها ، وما خلفته من أهوال وضحايا ونتائج . . كما نعبر معك من فوق جسر بين العرب وأفريقيا . . لننتقل معك بعد ذلك الى حديث صريح حول عروبة المغرب العربي . . ثم الى لقاء مع سيرة ونضال عمر المختار شيخ الشهداء . .

ولما كان العالم ينتظر قرب وصول المذنب هالي . . فالعربي تستعرض معك الحديث عن حقيقة المذنبات قبل أن تتناول قصة هذا الزائر القادم من السماء . . وحين تنتقل معك الى عالم الطب فانها تتساءل ثم تجيب عن السؤال : هل يتكلم الطفل وهو جنين . . . ؟

ان العربي دائما في خدمة قرائها . . وهي لا تألو جهدا من أجل أن تكون علامة مشرقة على طريق الثقافة والفكر . . في سبيل حياة أفضل لكل العرب .

المحرر

محتويات العدد



اطفال هيروشيما
حيل بلا قنابل ص ٦٨

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● من مكتبة العربي

● جمال العربية

العربي ـ العدد ٣٢٢ ـ سبتمبر ١٩٨٥ م



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

بقلم الدكتور محمد الرميحي

أيها السادة .. لقد اكتشفنا الأعداء .. إنهم نحن .. !

□ نحن العرب نواجه مصيرًا تاريخيًا .. بعده نكون أولا نكون.

□ حرب الاستنزاف العربي تستهدف شل الأمة العربية وضرب قدرتها على التقدم في مجالات السياسة والاقتصاد والتنمية.

□ كلما ازداد الوطن العربي تجزئة ازدادت حدة الخطر بما يهدد أمن الجميع.

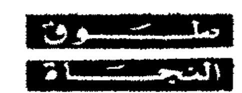
قال لي صاحبي ونحن نحضر ندوة مركز الدراسات العربية في لندن في نهاية شهر يونيو/ حريران الماضي ، التي انعقدت تحت عنوان « عرب بلا نفط » ، وبعد أن استمع الى بعض المحاضرين والمعلقين وهم يلومون النفط العربي على أنه مصدر كثير من المشكلات العربية الظاهرة والباطنة

قال يبدو أن كل ما أبتلينا به ـ نحن العرب ـ من سلبيات في ربع القرن الماضي ـ على الأقل ـ كان مصدره النفط !

قلت وكيف وصلت الى هذه النتيجة ؟

قال : اما انك لاتسمع أو انك لاتتابع ! لقد قال أحد المحاضرين مثلا : (انني لا أرى في النفط منذ ظهوره الا تراكمات سلبية ، هي كل ماورثناه عن عصر الذهب الأسود) وقال آخر : (أن النفط ضد الوحدة العربية) بل وذهب أحدهم الى القول بأن النفط هو الذي أعاق تحرير فلسطين . . وهذا غيض من فيض .

لقد ازداد إنفعال صاحبي لا لانه توقع أن يسمع مديحا لدور النفط ، بل لأنه توقع أن يسمع آراء موضوعية تناقش ماهو مطروح بروح أقرب الى العلمية منها الى التعميمات . قلت له : لاتحزن ، فكل ذلك جزء من معاناتنا ـ نحن العرب ـ من جراء الوضع الحالي الذي نعيشه اليوم ، ويجمح الخيال ببعضنا فيبحث عن كبش فداء ، فتبدو له مظاهر الأسباب دون جوهرها ، ويخيل اليه أن ذاك الذي يراه هو الجوهر . وقد تصادف هذه المرة أن كان النفط ـ ربما في ملتقى آخر وفي مكان آخر ـ شيئا آخر . .



☐ لقد حاكم بعض العرب « قضية النفط » كما حاكموا الاستعمار أو الاشتراكية أو التراث . . أو المعاصرة أو الرأسمالية أو النكسة . أو أية قضية من القضايا العديدة التي طرحت علينا في ربع القرن الأخير . . وفي كل مرة اعتقد البعض منا أن هذه القضية أو تلك هي السبب في كل مشكلاتنا . أو هي ـ من منظور آخر ـ طوق النجاة لخروجنا من الأزمة .

وفي رأيي أن هذا الخلط في الرؤية له علاقة بالمنهج الذي يتبعه البعض في تحليل كثير من المشكلات التي نواجهها . . وهو منهج يفسر الكل بالجزء . انه منهج سهل على أي حال ، يمكنك فيه أن تجد كبش الفداء ـ ان شئت ـ دون صعوبة . . ولو انك لجأت الى المنهج الصعب لكان عليك أن تدرس كل العناصر الداخلة في تكوين الموضوع ـ وهي كما تعلم معقدة متداخلة .

قلت لصاحبي : ماتسمعه من بعض المتحدثين هنا ماهو الا نتاج لنظام كامل في التفكير ، خبرناه فوجدناه سهلا محببا للسامعين ، مثيرا لاهتمامهم . . فانساق بعضنا خلفه . وأرجو ألا تسيء فهم قولي ، ودعني أقول لك ـ بادئ ذي بدء ـ أن بعض الآمال العربية في النفط قد خابت ـ وقد طرقت أنا شخصيا هذا الموضوع ـ مثلها مثل آمال عربية غيرها في الوحدة مثلا ، وفي موضوعات أخرى عديدة طرحت في الوطن العربي .

ولكنه من العجالة التي تجفو روح العلم ، أن نعلق أسباب كل ماوصلنا اليه اليوم في الوطن العربي من وضع يصفه البعض بأنه « عصر الانهزام والتدهور » ، ويقف أمام ظواهره المخلصون من نساء ورجال العرب موقف الذاهل المفكر ، أقول من الصعب علميا أن نعلق كل هذه المظاهر من الانحدار والتدهور على مشجب واحد ، أو حتى على عدة مشاجب خارجة عن ذواتنا ، ثم نفرك أيدينا بسعادة ونقول : انظروا لولا ذاك لما حدث هذا .

☐ اذا أخذنا النفط العربي - وهو موضوع حوارنا - فلا اعتقد أن اثنين يختلفان حول أهميته وعمق تأثيره السياسي والاقتصادي والاجتماعي على النظام الاقليمي العربي ، وعلى الأمن العربي كذلك . ولكن هذا التأثير في رأيي مبالغ فيه ، اذ لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان النفط يعد متغيرا مستقلا ، أي مؤثرا بذاته على مجموعة العوامل التي تشكل الوضع العربي الحالي ، أم أنه متغير تابع مؤثر فيه من بعض العناصر الفاعلة في تكوين الشكل الحالي للعلاقات العربية والوضع العربي ككل أي هل أن تأثيره أساسي قائد ، أم تابع لاتابع ! مقود لا قائد ! وكذلك لايوجد اتفاق بين الدارسين والمحللين حول ما اذا كان هبوط أسعار النفط - وبالتالي الدخول المالية العربية منه - أمرا سيئا أم محمودا ، فيما يخص قضيتي « التنمية » و « الأمن العربي » .

قلت لصاحبي : تأمل معي النقاط الثلاث التالية : -

الاولى : أن النفط في تقديري عامل محايد ، مثله مثل بقية العوامل المادية الأخرى المؤثرة ، وعلينا نحن الاضطلاع بواجب استخدامه الاستخدام الأمثل ، وهو - كأي عامل آخر - لايستخدم الاستخدام الأمثل الا اذا توفرت له عناصر أخرى بجانبه ، لا أخالها خافية عليك !

ثانيا : أن النفط أعطى - اما عن جهل أو عن سوء قصد - أكثر من وزنه النسبي فى امكانية تحقيق النهضة العربية المرتجاة ، وقد بدا للبعض أنه بدونه - أو عند احتمالات انقطاعه - ستقع الطامة الكبرى . وحقيقة الأمر أن النفط مادة مستخرجه ، وبح صوت كثير من الاقتصاديين العرب فى القول بأنها مادة ناضبة ، وأن الثروة الناتجة عنه - مهما بلغت - هي ثروة مؤقتة ، وان النفط ليس دخلا منتظما ، ودائما يأتى عن عمل وانتاج ، بل هو مال ناتج عن بيع أصول عينية ، كمصنع باع صاحبه أدوات انتاجه ، فهو لايستطيع بعدها أن ينتج شيئا ، أو أن يبيع مصنعه مرة أخرى ، مع الفارق فى التشبيه .

والأصول الانتاجية الحقيقية تكمن أساسا فى قطاعى الزراعة والصناعة ، ولانملك نحن العرب منها الا القليل ، فالصناعة الاستخراجية (كالنفط والنوسفات . . وغيره) هى التى تحظى بنصيب الأسد من انتاجنا القومى الاجمالى . أما القطاعان الآخران (الصناعة التحويلية والزراعة) وهما عصب التنمية الحقة ، وقاعدتها ، فهما - كما ترى - محدودان .

فاذا أخذنا هاتين النقطتين بعين الاعتبار ، بقى أن نتساءل عمن دس الينا مصطلح « العرب الأغنياء » و « العرب الفقراء » . فاذا افترضنا حسن النية قلنا أن ذلك تم عن جهل اقتصادى وسياسى كبير ، وان افترضنا سوء النية - لاسمح الله - قلنا أن ذلك يتسم بمغالطة لها أهداف مضادة للمصالح العربية العليا . فلا يوجد فى تقديرى عرب أغنياء وعرب فقراء ، بل هناك عرب فقراء بالمصطلح التنموي الاقتصادى الحقيقى . الكل فقراء اذا تكلمنا عن مستوى تطور القوى المنتجة بشقيها : الناس وأدوات العمل ، الكل فقراء اذا تحدثنا عن الدخل المتولد عن العمل المنتج ، الذى يصبح له قيمة مضافة ومتجددة .

أما النقطة الثالثة : وهى مهمة أهمية النقطتين السابقتين ، فهي أن « الغنى العربى » هو ـ بكل المقاييس ـ غنى مؤقت ونسبى فى نفس الوقت ، والواقع يفرض علينا تأمل بعض هذه الحقائق . فمجموع الناتج القومى العربى كله فى كافة الأقطار العربية ـ فى المتوسط وفى سنوات الثمانينيات المتصرمة ـ وعلى أحسن التقديرات ـ يكاد يشكل ثلث الناتج القومى لبلد مثل المانيا الاتحادية (الغربية) ، ويقترب من أربعة أخماس الناتج القومى لبلد مثل فرنسا ـ كما أنه ـ ووفق أحسن التقديرات أيضا ، وبعد كل هذا الحديث عن الثروة النفطية ـ لايجاوز الناتج القومى الاجمالى لبلد مثل ايطاليا أو حتى اسبانيا ، وهما بلدان فى طور النمو اذا ما قورنتا بالدول المصنعة . واذا اضفنا الى ذلك تدهورا فى الزراعة ، وركودا فى الصناعات التحويلية ، مع شح فى الاصول الانتاجية كالأرض القابلة للزراعة ، ومياه الرى والتدريب الانسانى ، واذا أضفنا ايضا أن بعض الأقطار العربية تئن تحت وطأة ثقل ديون خارجية ذات مستويات مثيرة للقلق ، فى جو عالمى ينذر بتدنى أسعار المواد الاولية الاستخراجية كالنفط ـ اذا عرفنا كل ذلك ازددنا ارتيابا فى تقسيم العرب الى عرب أغنياء وآخرين فقراء على كثرة تقسيماتهم الأخرى .



□ قال صاحبى : القضية اذن أوسع وأكبر من أن تكون مجرد تمرين فكرى سميناه تارة « عرب بلا نفط » وسماه غيرنا « الدولار النفطى » .

قلت : ذاك ما عنيته بالضبط ، فموضوع النفط كما ترى أحد مكونات الصورة ، ولكنه ليس العنصر الوحيد فيها ، واذا كنا نريد وضع النقاط على الحروف ، فلا بد من أن نمتلك الجرأة على قول الحقيقة ـ حتى لو كانت مرة ـ وأن نبحث مجتمعين فى الأسباب الرئيسية التى أوصلتنا الى قاع ، يعتقد البعض منا أننا ننحدر اليه ولم نصل الى نهايته بعد ، لأننا لو كنا قد وصلنا الى القاع لربما بدأنا الصعود من جديد .

ان مظاهر هذا التدهور كثيرة واضحة وجلية للعيان ، ولا يحتاج أى عربى الا أن يجول بفكره في أحوال الأمة ، حيث يرى التدهور السياسى والاقتصادى نتيجة حرب استنزاف عربية ، ظاهرها الحرب المستمرة المستعرة بين الأخوة ، وباطنها قطيعة وحرب استنزاف اجتماعية ينزف لها جسم الأمة من جروح عميقة مذهبية وطائفية وأقليمية وحتى عرقية !

ان حرب الاستنزاف بشقيها السياسى والاجتماعى لها ثلاثة أهداف محدودة في نظرى هى :

أولا : شل قدرة الأمة العربية على تعبئة قوتها وراء أهدافها القومية .

ثانيا : ضرب قدرتها على تحقيق تراكم جدى ، في مجالات الاقتصاد والتقنية والسياسة .

ثالثا : ضرب قدرة هذه الأمة للحيلولة بينها وبين أن تقدم مشروعا حضاريا متكاملا ومميزا في اطار العلاقات الدولية القائمة .

تلك هي المظاهر وهذه هي الأهداف ، ولكن هناك أسئلة لازالت عالقة : كيف ، وأين ، ولماذا ؟ ولازالت تلك الأسئلة وأمثالها معلقة دون جواب : هكذا رد صاحبي وهو يتابع الحوار .

قلت : أن الاطار الذى يحكم كل ذلك هو ما يمكن أن نسميه فشل المشروع العربي ، سواء من داخله ـ نتيجة عوامل ذاتية ـ أو من خارجه ـ نتيجة عوامل موضوعية ، ليس أقلها طموح المشروع المضاد ـ الالحاقى الصهيونى .

قال صاحبي : وكيف ذلك ؟

قلت : هل قرأت كتب مجيد خدورى ؟ وذكرت واحدا منها بالذات ، وهو كتاب « العراق الاشتراكى » . لقد لفت نظرى فيه فقرة يجب التأمل وامعان النظر فيها . قال خدورى : (ان العرب بطبيعتهم ميالون كثيرا الى الفردية ، وهم ضيِّقو الطباع ، ويظهرون في الظروف العادية ولاءات ضيقة أو محدودة هي في طبيعتها قبلية أو محلية ، والعرب خلافا لما يظهر لك من إذعانهم ودماثتهم شديدو المراس ، عنيفون ، وكثيرو الحساسية ، حيث أن عواطفهم شديدة الهياج ، ترتفع الى درجة عالية في لحظات الاستفزاز)

انتهى كلام مجيد خدورى . وعلى الرغم من تحفظي على هذا النوع من التحليل النفسي الاجتماعي الذى يميل كثيرا الى الانطباعية ، الا أن بيت القصيد الذى أريد أن أصل معك اليه يتلخص في كلمتين اعرف نفسك ، أو على حد تعبير أحد الفلاسفة الألمان : أيها السادة لقد عرفنا الأعداء : انهم نحن !

لا أريد أن اقول أننا أعداء أنفسنا ، ولكنني أشدد على القول بأننا لابد أن نعرف أنفسنا ، وأن نجرؤ على قول الحقيقة كما أشرت ، حتى نعرف طريقا للخروج من هذا المأزق الذى سماه البعض منا تشاؤما « عصر الانحطاط العربى الجديد » الى « صحوة عربية جديدة » .

لنا في لقاء الأعداء عبرة

☐ ولنبدأ بالقول بأنه ليس هناك مثاليات تحكم العلاقات بين الدول ، سواء اقتربت تلك الدول من بعضها جغرافيا أو سياسيا أو قوميا أم ابتعدت . فنحن لا نعيش فى عالم مثالى ـ ذلك صحيح ـ ولكن بنفس درجة الصحة هناك في الغالب علاقات مصالح تحدد الحد الأدنى والأعلى من العلاقات بين الدول ، مهما اختلفت اجتهاداتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية

ولنا في احتمال اللقاء القادم في جنيف ، والمعلن عنه بين رئيسي أكبر دولتين في العالم ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ـ خير مثال ، على الرغم من اختلاف رؤيتهما الأيديولجية وتضارب كثير من مصالحهما العليا

ومع ذلك فان اللقاء بين رئيسي الدولتين أصبح ضرورة تقتضيها مصالحهما . ولا نريد أن نطيل في شرح هذا « الخلاف الوفاقى » ان صح التعبير ، فقد أصبح أحد حقائق العصر النووى الحاضر . أما نحن العرب فأن ما نواجهه ليس خلافاً « فكريا أو أيديولوجيا » بل نحن نواجه مصيرا تاريخيا ، بعده نكون أو لا نكون ، وقد تكون بعض مظاهره ونتائجه واثاره ـ ان لم نجرؤ

على قول الحقيقة الآن ، وننكر المصالح الآنية المؤقتة ـ أقول قد تكون نتائجه بالاثارة مدمرة تقودنا الى التخلف والانحدار والتبعية لسنوات طويلة قادمة ، وقد يكون من نتائجه نجاح المشروع المضاد الرامى الى تمزيق وطننا الى دويلات صغيرة ، يتحكم فيها المشروع الصهيونى التابع .

فشل المشروع العربى

☐ قلت لصاحبى : ان احدى مشاكلنا الفكرية الرئيسية ، وهى فشل المشروع العربى ، لم تناقش لمعرفة الأسباب والنتائج . لقد انغمس بعضنا في الهموم والسياسة الاقليمية المباشرة ذات الأفق القطرى الضيق ، وأصبحنا نهدر الكثير من وقتنا وطاقاتنا في انشغالنا بتلك القضايا الجانبية واختلافنا حولها ، في الوقت الذى ننسى فيه الخطر الأكبر والهموم القومية التى تؤرق مستقبلنا .

فاذا نظرنا الى واقعنا العربى اليوم ، نجد أن صوت قعقعة السلاح العربى الموجه الى الصدور العربية هو الأعلى ، وان لم يكن ظاهرا فهو خفى ويحاول حاملو هذا السلاح أن يغتالوا الكلمات والأفكار والمبادىء ، وأن يغتالوا الانسان ، ويهدموا كل ما يمكن أن يبنيه الفكر العربي المستنير . ونجد كذلك أن الأمن العربى مهدد ليس في الأقطار العربية الأصغر حجما ومقدرة فحسب ، ولكن فى الأقطار الأكبر حجما أيضا . ان تخلخل المساندة العربية يعرض الجميع للخطر ، وكلما ازداد الوطن العربى تجزئة ازدادت حدة الخطر والاضطراب على كل الوحدات المكونة له ، وتعرضت دول الأطراف ودول المواجهة لتوتر يخل بأمنها جميعا .

وفي غياب الأُطر المؤسسية ، التى فرضها العصر فى أماكن وبقاع كثيرة من العالم ، في غياب تلك المؤسسات الاقليمية الكفيلة بحل الصراعات ، أو ضبط درجة توترها ومن ثم احتوائها . في غياب تلك المؤسسات أو تعطيل دورها ، يزداد الخطر على الأمن القومى العربى ، ويزداد الجفاء والتشرذم ، ونحن في غيّنا سادرون .

ويضطرك التاريخ الى تذكر ممالك الطوائف في الأندلس ، بكل ثقل تاريخها المحزن . وتلك واحدة من نتائج فشل المشروع العربى الحضارى ، الذى بدأ يتكون تدريجيا منذ ما اصطلح على تسميته بعصر النهضة العربية فى نهاية القرن الماضى وبداية هذا القرن ، الذى تمحور واتضحت معالمه السياسية فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، الذى قامت مبادؤه الاساسية على فكرة الترابط بين الحرية والوحدة الاشتراكية ، بصرف النظر عن الاجتهاد في الأولويات .

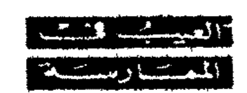
لقد تعرض هذا المشروع العربى الحضارى الى التفجير في العقد الذى شهدت بدايته هزيمة ١٩٦٧ ، وشهدت نهايته بداية مشروع السلام مع العدو الاسرائيلى .

وقد قذف هذا التفجير بعيدا بالاجتهادات الفكرية والسياسية الموغلة في التطرف يمينا ويسارا .

صحيح أن هذا المشروع قد واجه قبل ذلك صعودا وهبوطا ، وانتصارات وتراجعات ، واجتهادات صحيحة وممارسات خاطئة ، ولكنه ظل متماسكا نسبيا قبل عقد التفجر هذا . .

اما بعد ذلك العقد (٦٧ ـ ١٩٧٧) ، عقد الانهيار ، فقد شهدت المنطقة ـ ولازالت تشهد ـ انهيارات مستمرة ، دفعت الكثيرين ـ تحت وطأة سلبيات هذه الانهيارات ـ الى القول بأن القيم التى اعتمدها المشروع العربى هى قيم ليست صلبة بحد ذاتها وليست قادرة على بناء مشروع حضارى متميز . ونسى أو تناسى القائلون بذلك ـ بصرف النظر عن اختلاف بدائلهم ـ ان القيم هى التى تحكم وأن الممارسات هى التى تحاكم ، فانت مثلا لا تحاكم قيم الاسلام العظيمة بممارسات المسلمين في عصر ما ، ولكن تحاكم الأخيرة بالأولى ، وذلك هو منطق الأشياء .

ونسي هؤلاء أيضا أو تناسوا أن الممارسين بشر ، في مجتمع انسانى ملىء بالسلبيات الموضوعية من جهل وتخلف ، وهذا المجتمع ـ مثله مثل بقية المجتمعات ـ يشكل الخطأ الانسانى جزءا من تكوينه ، كما أن الضعف البشرى هو مكون من مكوناته .



☐ ولكننا قبل أن نسترسل ـ نقول : قد يكون لدى بعض المتحدثين حق في انتقادهم لممارسات المشروع العربي . فقد كانت بعض الممارسات (لا القيم) تضطر المخلصين الى سلوك أضيق الطرق لا أرحبها . كما أن المشروع العربي واجه صعوبات نظرية وتطبيقية ذاتية تتلخص في فقدان المواءمة الصحيحة بين الشعار والتطبيق ، مثلما واجه صعوبات موضوعية خارجية نتيجة ضربات المشروع المضاد .

وان أردت ضرب أمثلة على صور من القصور الذاتي نقدا للذات وتذكيرا ، فاليك بعضها :

المثال الاول : قدم المشروع الحضاري العربي فهما أقل ما يقال فيه أنه غير واضح للعلاقة بين التقدم والنهوض ، وبين التراث ـ وعلى الأخص التراث الاسلامي ، ولقد تجاوز هذا الدين ـ وربما بسبب معاركه المستمرة مع الغير ـ تجاوز أهمية اغناء الشخصية القومية ، وعنى بالحرص على تطور الفكر الاسلامي ومواءمته لظروف المرحلة . ولعل ما فرض على المشروع العربي النهضوي من تناقض بينه وبين بعض الحركات السياسية المتشبثة بالتراث قد زاد من التباعد الجماهيري ، حين تجاوز الاختلاف في الرأي ليبلغ مرحلة تصاعد العنف والعنف المضاد ، مما دفع الاطراف كلها الى تنافر لا لقاء بعده ، وأصبح هدف الجميع تصيد الهنات .

لقد غاب عن المشروع الحضاري العربي القومي ربط التوحيد الديني بالتوحيد القومي ـ كما وضحت الفكرة بعد ذلك ـ ولكن بعد تفجر المشروع القومي ، ولقد لفت انتباهنا الى ذلك مفكر اسلامي قومي هو محمد عمارة ،

عندما قال (لو تخيل المرء أن كل أمة من الأمم العريقة ذات الحضارة المتميزة قد (سكّت) لحضارتها عملة تميزها ، لكانت العملة التي تميز حضارتنا مزدانة برمز التوحيد على وجهيها ، التوحيد الديني على وجه والتوحيد القومي على الوجه الآخر) .

لقد غاب عن المشروع العربي الحضاري تمثل هذه الفكرة قبل عقد الانفجار ، وعندما حدث الانفجار أو التفجير تعالت نغمة العداء للعروبة على أنها معادية للتراث ، وانفتح المجال واسعا للعبث بقلوب وعقول الناشئة ، على أن هناك تناقض حقيقي وواقعي بين الاثنين ، والحقيقة غير ذلك .

والمثال الثاني : في فقدان المواءمة بين الشعار والتطبيق . . ومعالجة فكرتي « الوحدة » « والاشتراكية » .

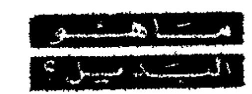
لقد قدمت الوحدة على أنةتحقيقها بحد ذاته فيه المنعة والتقدم . . قدمت خالية من السلبيات ، قادرة على ايجاد الحلول السريعة والناجحة لكل المشكلات التي يواجهها المواطن العربي ، وكان بعد أن تحققت بعض أمثلتها أن وجد الجميع انها تحتاج الى ثمن ليس بالهين أو اليسير ، وأنها ليست بدون أعداء وأنها تحتاج الى نضال مع النفس طويل حتى ترجح كفة الايجابيات على السلبيات . كما نظر الى فكرة الاشتراكية من مفهوم وزاوية ضيقة . نظر اليها أو قدمت على أنها « عدالة في التوزيع » توزيع الثروة وتوزيع الدخول ، وأن كان ذلك ميسورا في بعض الاقطار فهو صعب التحقيق في أقطار أخرى .

لقد جري التشديد على فكرة « التوزيع » وغابت فكرة «الانتاج » بما يعنيهالانتاج من قدرات علمية وفنية وتنظيمية ، فيها يكمن التحدي الحقيقي .

وقد نضيف أمثلة أخرى تصب كلها في اطار الممارسة ، ولكنها لا تضير أو تؤثر في صلابة قيم المشروع العربي النهضوي القومي ، ولا في مصداقيته .

ومهما كثرت وتعددت سلبيات الممارسة ، فان تفجر المشروع العربي الحضاري النهضوي بين ٦٧ ـ ١٩٧٧ كان نتيجة بلغت من السوء حدا لايحلم به حتى الأعداء ، فقد تحول النظام العربي الاقليمي من نظام اندماجي له قاعدة اقليمية وأهداف حضارية محددة الى نظام مجزأ ، وبدت الكتلة العربية متناثرة ، تتغير تحالفاتها ، وبالتالي تتغير أحجام الكتل الصغيرة المكونة لها ، ولكنها تبقى دائما كتلا متضاربة متنافرة .

وتمزقت الهوية العربية وأصبحت هلامية على أقل تقدير ، وافتقدت توازنها الذي بني على مدى سنوات طوال ، وظهرت على السطح أسئلة قديمة مفعمة بالشك والحيرة ، ظن الكثيرون أن اجاباتها قد عرفت وعفا عليها الزمن . . أسئلة . . من مثل هذه الأسئلة : من نحن ؟ ومن المسئول عن كل هذا ؟ أم أن فكرة الأمة العربية فكرة غير واقعية ؟ وأسئلة أخرى غيرها محيرة .



☐ كان البعض يعتقد أن هناك بديلا للمشروع الحضاري العربي القومي الوحدوى ، وتهاونت قوى عربية عديدة في الدفاع عن ذلك المشروع ، تارة

باسم القطرية ، وتارة أخرى باسم الايديولوجية ، وثالثة باسم المذهبية ، وفي معظم الأحوال كان التهاون نتيجة صراع لا طائل من ورائه .

وعندما تفجر المشروع الكامل تبين للجميع أن المنطقة كلها مستهدفة وأن شرذمتها هو الهدف .

لقد كان هناك اجماع اقليمي عربي على أن اسرائيل تشكل التهديد الرئيسي للأمن العربي ، واستطاع المشروع العربي أن يرص صفوف دول وشعوب أخرى صديقة خلف هذه الفكرة . واليوم لم يبق حتى حالة الاجماع تلك ، كما لم يبق معنا أحد على أقل تقدير ، الا وقد اعاد النظر في موقفه ، أو هو في طريقه الى ذلك .

كان المراد من المشروع العربي ـ توحيد الأمة ـ وبعد سقوطه وانفجاره تفككت الوحدات الوطنية في القطر الواحد

لقد قال المشروع العربي الحضاري القومي أن مسألة الطائفية والقومية والمذهبية هي نتيجة مداخلات الدول الغربية في بلادنا ، ودلل على ذلك من حوادث التاريخ القريبة منها والبعيدة ، وقال بأن المجتمع العربي مجتمع تعددي ولكنه مجتمع متسامح أيضا ، وبين عشية وضحايا اذ بالفروق الرئيسية في بلادنا تصبح معزوفة الطائفية والمذهبية .

وفي ميزان الخسائر والأرباح يتضح أن ما خسرناه كعرب ـ وما نخسره ـ كثير كثير .

بعض الدروس يمكن استنباطها من تجربة السنوات القليلة المُرّة الماضية

وأول هذه الدروس أنه قد يكون العرب اليوم أقل حماسة عاطفية للمشروع العربي القومي النهضوي مما كانوا عليه في السابق ، ولكنهم في نفس الوقت أكثر حاجة له من أي وقت مضى ، وأكثر معرفة بنتائج فقدان الحد الأدنى منه على الأقل

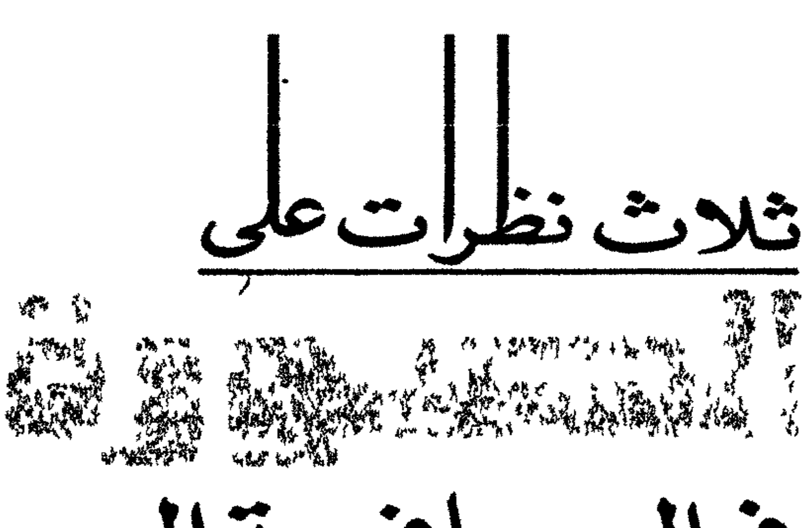
وثاني هذه الدروس هو أن الحوار العربي / العربي هو في النهاية الأجدى والأصلح ، لان الحرب العربية / العربية ، أو قل العداء المستحكم بين بعض العرب وبعضهم الآخر مزق ما بينهم من أواصر ، كما أن تكريس الحوار سبيل واع لحل كل الاشكالات المعلقة ، التي تظهر بين أبناء الأرض الواحدة ، أو بين أبناء الوطن الواحد ، هو نتيجة كرستها حكمة الانسانية وتجاربها الطويلة .

وثالث هذه الدروس أن بعض الشعارات المرفوعة اليوم على الساحة العربية ، التي يغلب عليها شيء من المزايدة ، ويتبناها البعض دون أن توضع على محك الاختيار ، سوف تقودنا الى نتيجة خبرناها : شعارات براقة يحتاج تحقيقها الى أكثر من الأماني والآمال .

والتفت الى صديقي وقلت : تلك هي العوامل الرئيسية المكونة لصورة الوضع العربي الحالي . . وهي بالتأكيد ليست كل العوامل .

وابتسم بهزة رأس . . ولم يجب .

محمد الرميحي



في الصحافة العربية

بقلم : كامل زهيرى

رغم مرور أكثر من ربع قرن على دخول الطباعة الملساء (الاوفست) الى الصحافة العربية ، فان الأستاذ كامل زهيرى يرى أن الصورة الصحفية لا تزال تتعرض للاضطهاد وأن العين العربية تعانى من (الأمية) ومن خلال هاتين الملاحظتين يعرض لنا مسيرة الصورة الصحفية العربية من خلال نظرات ثلاث نقدية ، وثائقية ، ومستقبلية

طلت قصية اصطهاد الصوره في اعلامنا وصحافتنا تلح على ، فترة ليست بالقصيرة وكنت قد اثرت نفس القضيه من راويه أخرى ، ليست بالضرورة حاليه فنيه ، ولكن من راوية اعلاميه احبارية

ففي احتماعات حامعه الدول العربية ـ وفي عده احتماعات بتونس والدوحه والقاهرة ، أثرت أن اعلامنا العربى في الخارج اعلام بلاعى ـ يعتمد على الكلمة في عصر الصورة والسينما والتلفزيون وكأنما هو اعلام يحدث نفسه ويتحدث عن نفسه ويكتفي بطرب البلاغه والفصاحة وموسيقيه الكلمة وهو بذلك يكبو في ملاحقة اعلام الخصوم والاعداء

وقد يبدو اضطهاد الصورة في اعلامنا العربى لغير المختصين أمرا طبيعيا ، لكن العجيب أن نلحظ نفس الظاهرة تعاد وتتكرر في حرب لبنان ، وعندي كتاب أخرجته عام ١٩٨٣ ، دار نشر فرنسية وعنوانه « السلام في الجليل » وقد خرج الكتاب في ١١٠ صفحات كبيرة لستة مصورين صحفيين ، يصور بيروت عند العدوان الاسرائيلي عليها ، ويصور خروج الفلسطينيين ، وصبرا وشاتيلا

وفي هذه المشاهد الثلاثة بيروت ، والوداع ، والمذبحه ، بلغت فصاحة ٨٢ صورة ما لم تبلغه أبلغ المقالات المكتوبة

لكننا نلاحظ أن أغلب الصحفيين الستة من الأجانب ، وهم بوشون ارال (تركى) ، وبان موروان (فرنسي) ، وسفن باكستراند (سويدى) ، ومارك سيمون (فرنسي أيضا) ، ورضا (ايرانى لاجىء في باريس) ، وبينهم صحفية عربية مصورة واحدة هى فريدة حملة الجزائرية التى تعمل في وكالة (فيما) ، وقد تمكنت هذه الصحفية العربية مما يشبه

التخصص أربعة أعوام بتكليف من وكالتها على تصوير المرأة العربية .

ان هول الحرب ، ووجعية الوداع ، وفظاعة الدمار تنطق في صور فصيحة مؤثرة . وهي تنير ـ في نفس الوقت ـ نقص التعبير بالصورة عندنا . وكان أغلب اعلامنا وعلمائنا يجلس القرفصاء ، ولا ينطلق الى أماكن الأحداث ، حتى أصبحنا نعتمد على غيرنا في أغلب الأحوال ، في تصوير أحداثنا المفجعة أو حتى السعيدة .

فلا يصل الى أجهزة البث المرئي ، أو الى مجلاتنا وصحفنا الا ما تبثه الينا الوكالات الأجنبية ، سواء في تصوير حرب الخليج أو المجاعة في افريقيا ، أو حتى أحداث السودان .

والقضية كما تبدو اذن ليست فقط ما سميته أميّة العين ، واضطهاد الصورة للتعبير ، بل في ذلك الخمول الصحفي ـ الا ما ندر ـ والتقصير عن ملاحقة الحروب والثورات والانقلابات والحرائق والزلازل والمجاعات ، أو حتى أحداث الرياضة والفنون وعالم المرأة والطفل ، وكلها لطبيعتها تنادي الصورة والمصورين .

ان التطور الهائل في التصوير الفوتوغرافي ـ خلال العقدين الأخيرين وتعدد أجهزة التصوير ، وتوسع امكانياته الحرفية ، والقفزة التكنولوجية ـ في نقل الصورة بالتليفون ، والأجهزة الخاصة بها ، وامكانية التصوير استشعارا من كل بعد ولو من الفضاء الخارجي ، تصحبه الآن ـ على الأرض ـ نقلة طباعية هائلة .

فقد أصبحت الصحافة كالصناعة الثقيلة في تمويلها وادارتها وتوزيعها ، وهي صناعة دقيقة في طباعتها واخراجها ، وانتقلت أغلب المطابع العربية الى الطباعة الملساء ، وكل ذلك فتح أوسع الأبواب للصورة الجمالية الأخاذة والصورة الصحفية المعبرة .

وقد تكاتف رجال العلوم والفنون والصناعة لتطوير طرق الطباعة ، وساهم التصوير الضوئي والكيمياء والالكترونيات والبصريات ـ وكلها مجالات علمية ومهنية ، في قفزة الطباعة ، وشهد العقدان الأخيران ـ بالذات ـ ابتكارات في الآلات الطابعة نفسها ـ بابتكار الآلات الدوارة ، التي حققت السرعة المتناهية ، وجاء تطوير صناعة الورق وصناعة الأحبار ، لتظهر الطباعة الملساء (أوفست) ، بدءا من اللوحات المتبلمرة الى اللوحات المعدنية ، ثم اللوحات المائية ، تلافيا لعيوب الطريقة الملساء ، وهي قلة عدد النسخ الناتجة من اللوح الطباعي الواحد .

وكل هذه التطورات من كافة الاتجاهات تصب نحو امكانية هائلة تتوفر الان للصورة والطباعة المصورة ، لأننا دخلنا بحق ، ومن أوسع الأبواب ، وبما يفوق كل امكانيات الأجيال السابقة عصر الصورة أو عصر السينما والتليفزيون والصحافة المرئية . ان الصورة تغزو العين غزوا ، وهي تنتقل الى المشاهد عبر التلفزيون والفيديو في مخدعه وبيته . وتنتقل اليه وتلح عليه في الأفلام السينمائية ، ولو قارنا نصيب أي مواطن عربي في الثمانينيات من الصور التي يراها يوميا عما كان يصيب العين العربية منذ ثلاثين عاما لوجدنا ما يشبه القفزة الحضارية أو التخمة الطباعية

الأدب المقروء والأدب المرئي

وحين سئل نجيب محفوظ عن رؤيته للأدب في الثمانينيات ، قال : (في المستقبل ستكون للأدب قاعدة محدودة تمثل أرفع درجات الثقافة فهي القاعدة أدب مقروء ، وعلى القمة أدب مرئي) .

ولا يقتصر غزو الصورة للعين في العصر الحديث على مداهمة السينما والتلفزيون والفيديو للعين ، ولكن هذا الغزو ينتقل حثيثا لكل المطبوعات المقروءة . فقد كانت الكتب مثلا ، بعد الحرب ، في فرنسا تكتفي بالمشهد المطبوع بغير صورة ، وأصبحت الكتب والروايات الأدبية ، وأغلفة الكتب ، والصحافة الثقافية ، والمجلات السياسية تستخدم الصورة العادية ، والملونة المعبرة .

وقد اضطرت التايمز اللندنية الى تغيير صفحتها الأولى التقليدية ، بعد أن ظلت ما يقرب من ١٨٠ عاما تحافظ عليها ، وتتشبث بها ، وتكتفي بصب الاعلانات المبوبة عليها ، على غرار صفحتها الاولى عام ١٧٨٥ ، واذا بها تستحدث الآن اخراجا

جديدا ، بطباعة حديثة لتستخدم الصورة الخبرية التى تحتل مكانا بارزا يعبر عن حدث اليوم .

كما اضطرت جريدة أخرى ، لا تقل وقارا ، عن التايمز اللندنية وهي جريدة ليموند ، التى ظلت تعتمد على المشهد المكتوب والمطبوع والمقروء ، فادخلت في ملحقين لها كل أسبوع الرسم والصورة ، وكان هذا التعديل على استحياء ، ولكنه مثيرا لجزع ادارتها ، حتى أنها استفتت قراءها في العدد (١٥ يونيو ١٩٨٤) لتعرف رأى قرائها القدامى الذين تواصلوا في قراءتها أكثر من خمسة أعوام ، وقرائها الجدد .

ان تقنية الطباعة ، وتطور الصورة يفرض تطورا هائلا في التحرير وادارة التحرير ، ولا تستطيع الصحافة العربيه النجاة منه ، للأسباب العديدة والمؤثرات العنيفة على الصحافة والقارىء معا ، حتى أننا نجد أن كل المطبوعات العربية التى انشئت حديثا ـ وخلال العقد الأخير أصبحت تعتمد على الطباعة الملساء ، مما يفرض تغيرا في النظرة والادارة والاخراج الفنى .

ومهما تنوعت الأساليب ، ومدارس الاخراج ، فان الصورة تغزو صحافتنا الجديدة الناشئة ، وتطرق صحافتنا القديمة نتيجة هذا العصر الذى نعيش فيه : عصر الصورة والأدب المرئى ، ورؤية الحياة بالألوان .

النظرة الثانية

نظرة الى الماضى

سبقت الطباعة الصحافة في الوطن العربي ، وسبق المشهد المكتوب ظهور الصورة ، وكان اخراج الصحف العربية الاولى يشبه اخراج الكتب تماما . ولم تتعد الرسوم المحفورة على الخشب رأس الصفحة الاولى كما يتضح من المجموعات الاولى للوقائع المصرية والأهرام والوطن وغيرها .

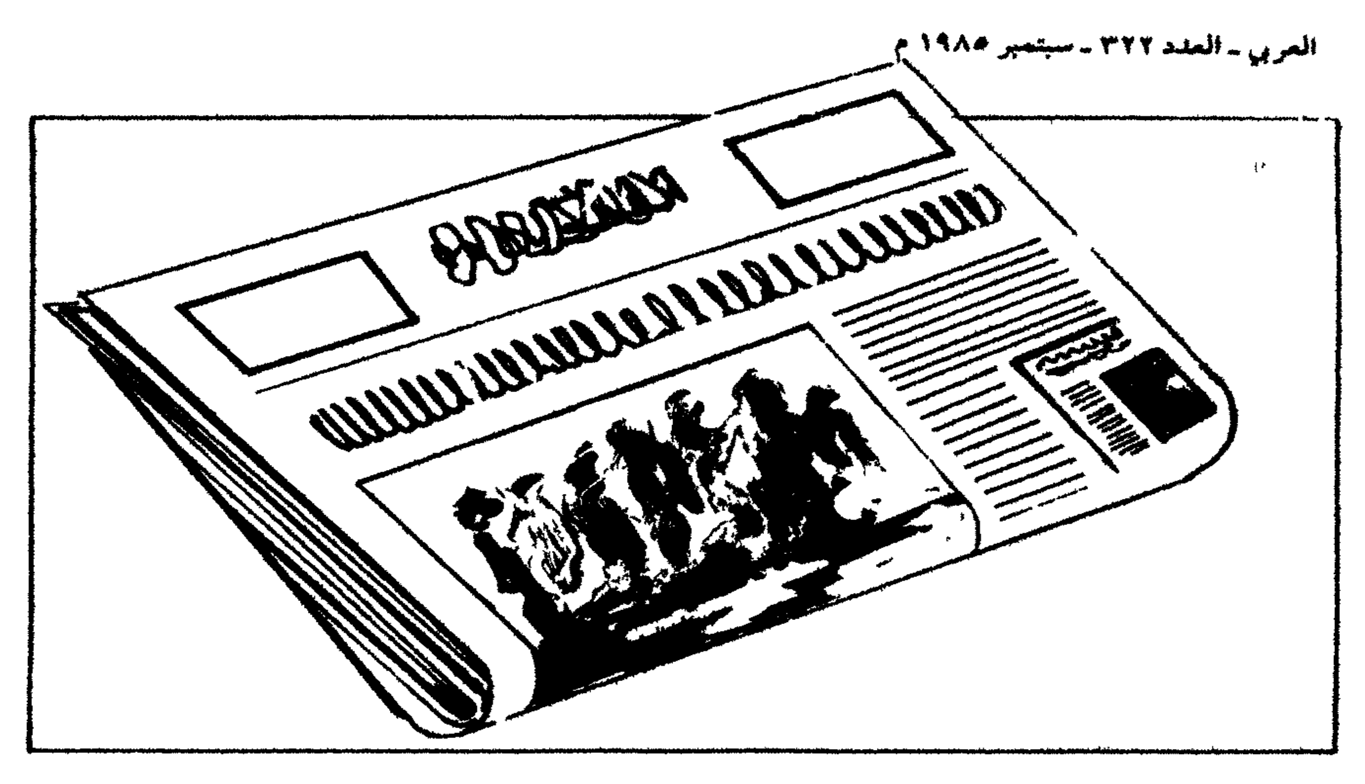
وأول صورة صحفية في تاريخ الصحافة المصرية نشرتها جريدة الأهرام ، كانت صورة لفرديناند دى لسبس ومعه طفلته ، في ٤ مايو ١٨٨١ ، منذ أكثر من مائة عام ، وقد شغلت الصورة نحو ربع مساحة الصفحة على اليمين ، وطبعت من لوحة خشبية ، وبلغت درجة واضحة من الغاية والاتقان . ولم تظهر الصور مع مواد التحرير الا بعد بداية القرن الحالى ببضع سنوات . وكما كان لطفى السيد منكرا مجددا ، فقد جدد أيضا في صحيفته الجريدة (١٩٠٧) ، فكانت الجريدة أول صحيفة تستخدم صورا فوتوغرافية للأشخاص ، والاماكن مع الأخبار والحوادث الهامة ، وظهرت أول صورة في جريدة لطفى السيد في ٢٨ يوليو ١٩٠٨ لمدحت باشا زعيم الاصلاح الدستورى في تركيا .

انشىء بالاهرام قسم خاص لطبع الصور عام ١٩٢٦ وكان ادخال التصوير بالفلاش الى التصوير الليلى دافعا لنشر اللقاءات والمؤتمرات والحفلات العامة ، واحتلت الصورة الصفحة الأولى .

وقد بدأت الاهرام بنشر صور الشخصيات ، أما صور الأحداث (الصورة الخبرية) فقد نشرتها بعد شهرين ، وكانت لمشهد في مقابر اللاتين بالقاهرة ، يوم الاحتفال بذكرى النصر في الحرب العالمية الاولى .

وكانت الاهرام تنشر صور الاشخاص والحوادث ، كل صورة منفصلة عن الأخرى حتى رأت آخر الأمر أن هناك أحيانا صلة بين الشخص والحوادث ، فكانت تضع صورة الشخص في ركن من صورة الحادث . وبذلك تجلو فكرة واضحة لما كتب عن ذلك الموضوع ، وتدخر في الوقت نفسه مكانا يخصص لغرض آخر ، واذا كانت صور الأشخاص والحوادث الفوتوغرافية أولى الصور التى نشرت فيها ، فسرعان ما اقترنت بصور كاريكاتيرية لشخصيات وأحداث . وكانت أول صورة من هذا النوع لمرقص باشا ، بريشة الرسام كيم Kem ، وقد نشرتها الأهرام بمناسبة معرض كيم للصور الهزلية في القاهرة (الاهرام ـ أول مارس ١٩٢٧) .

وكان هذا التجديد بدعا بديعا ، أخذت الصحف الأخرى تقفو على أثرها ، وبقيت الصور التى تظهر في الأهرام صوراً أخذت في وضح النهار ، أما التصوير الليلى فلم يظهر الا بعد سنوات ، حين خرجت الأهرام بأربع صور التقطت بآلة تصوير دقيقة في أثناء الليل في احدى الحفلات التى أقامها رئيس الوزراء



المصري في المفوضية المصرية بلندن . وتمكن مراسل الأهرام من الحصول عليها - كما تقول الأهرام - بعد بذل « جهد كبير » وذكرت أنها أول صورة من نوعها تنشر في القطر المصري ، بل العالم ما عدا انجلترا ، (الاهرام ٩ اغسطس ١٩٢٧) ، وكانت معظم صور الأهرام تطبع على صفحتها الاولى . وبقيت تحافظ على هذا التقليد ، ثم خضعت الصفحة الأخيرة للصور (الاهرام ١٠ يناير ١٩٣١) والتي لم تخل صفحاتها الكثيرة من صور متناثرة هنا وهناك ، وجددت الاهرام بنشر الأحاديث مع كبار الشخصيات - على غرار الصحف الأوروبية - وكان يحلو لها نشر حديث الكبير مع نشر صورة أو صورتين مناسبتين . وكان أول الاحاديث المصورة ذلك الحديث الذي أدلى به مندوبها الشاعر طاغور ، فور وصوله لميناء الاسكندرية (الاهرام ٢٨ نوفمبر ١٩٢٦) ثم زاد استخدام الصورة وتوظيفها ، فلم تعد تنشر موضوعا صحفيا دون رسم أو صورة ، وبذلك وضعت الأساس للتحقيق الصحفي المصور في مصر .

وقفة مع المصور

ولست هنا بمجال الأفاضة في الحديث عن تطور الصحافة المصرية في أعقاب ثورة ١٩ ودستور ١٩٢٣ ، ولكنني أظن أن هذه الثورة وذلك الدستور قد أفسحا المجال لقاريء من نوع جديد ، هو القاريء المواطن الذي أصبح يرى أنه يحق له المشاركة في التعرف على أحوال بلده ، وطريقة حكمها ، وأخبار ساستها ، وشخصياتها .

وفي ظني أن ذلك التطور الدستوري الهام صحبه تطور صحفي لا يقل أهمية ، فقد كان محمد التابعي هو الجد الأكبر للمدرسة الصحفية الحديثة ، وقد خلص التابعي أسلوب الكتابة الصحفية من المحسنات اللفظية ، والتعابير الأدبية العويصة ، وبسط اللغة الصحفية ، ودفع ايقاعها ، فجاءت على هوى ذلك القاريء الجديد ، وهو القاريء المواطن الذي قد لا يصل تعليمه الى الجامعة ، ويستكمل ثقافته العامة من الصحافة .

وقد تفرع عن مدرسة التابعي مدرستان هما : مدرسة روز اليوسف واحسان عبدالقدوس وأكثرها فن ، ومدرسة الاخبار ، ومصطفى أمين وأكثرها خبر . ولكن مدرسة هامة في الصحافة ، ظهرت في نفس الوقت الذي ظهرت فيه روز اليوسف (١٩٢٤) هي مدرسة دار الهلال . وكانت الهلال قد ظهرت ثقافية رصينة عام ١٨٩٢ وكسبت الهلال سمعة لاصحابها ودويا في مصر وأنحاء الوطن

العربي ، مما دفع أصحابها أميل وشكري زيدان ، وعيونهما على تطور الطباعة والتصوير الفوتوغرافي ، وتلك التجارب الرائدة في الصحف المصورة ، وأهمها اللطائف المصورة ، فأصدرا العدد الأول من مجلة المصور في ٢٤ أكتوبر ١٩٢٤ .

وقال صاحبا المجلة في عددها الأول ما يلي :

« هنا مجلة أصدرناها لنسليك ونبهجك ، ونتحدث اليك حديث صديق يقتطف من كل بستان زهرة ، ومن كل شجرة ثمرة .

وبتحليل الأعداد الأولى من السنة الاولى - ولا بد من التوقف قليلا عندها - نجد أن الغلاف الاول عليه صورة بكامل الصفحة للملك فؤاد ، وصورة الغلاف الأخير لتمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار (الذي كان يجري نصبه في ميدان محطة مصر - رمسيس الآن) .

ونجد على غلاف العدد الثاني صورة سعد باشا زغلول ، تصوير المصور زلمان ، وفي الصفحة الرابعة موضوعا « مصورا » عن الحرب في مراكش وقائده زعيم الريف - عبدالكريم الخطابي - (وبهذه المناسبة نشرنا هنا هاتين الصورتين كما تقول المجلة) .

وينتهي هذا العدد بصورة الغلاف الأخير ، وهي صورة سعد زغلول يحيي الجمهور .

ونستطيع القول باطمئنان أن المصور منذ انشائه كان يعتني بطباعة الروتوغرافور عناية خاصة ، وأنه كان من أوائل من خصصوا قسما للتصوير ، وكان يعتمد أيضا على شراء الصور من مصورين لهم مكاتب أو محلات ، وقد أبلغني المصور محمد يوسف أول مصور صحفي مصري بدأ في جريدة روز اليوسف اليومية ١٩٣٦ ، ثم اشتغل في دار الهلال أنه كان يبيع صوره قبل احترافه الصورة للاهرام بـ ١٥ قرشاً ، ولدار الهلال بـ ١٠ قروش .

ونلاحظ الى جانب الاهتمام بالمرأة والفن اهتماما بالاولاد (العدد ٢٣) ، مما كان بذرة لمجلات أخرى مصورة ، صدرت عن دار الهلال ، وهي حواء للمرأة ، والكواكب للفن ، وميكي وسمير للاطفال .

وقد تجمع في دار الهلال أكبر أرشيف عربي للصور التاريخية ، والفنية ، والسياسية ، كما أصبحت دار الهلال مدرسة المصورين الصحفيين المحترمين ، وأذكر أنني وجدت كنزا من صور الأدباء من أوائل القرن ، وصور ثورة ١٩١٩ ، وحفر قناة السويس وآلاف الصور التي تسجل لحظة هامة في التاريخ . واستعنت بعديد من الصور القديمة لشوقي والعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم في اعداد مجلة الهلال الخاصة التي أخرجتها ما بين عام ٦٧ و ٦٩ للأدباء الأربعة الكبار .

وكان العقاد وطه حسين والحكيم من كتاب الهلال الدائمين على اختلاف عهوده ، وكان العقاد يحضر الى استديو المصور محمد صبري للتصوير ، وكان محمد صبري يذهب لطه حسين ، وقد ذهبنا معا لالتقاط صور حديثة لتوفيق الحكيم في حديقة المجلس الاعلى للثقافة ، لاختيارها غلافا . ولكن عشرات من صور هؤلاء الادباء أعانتني على الاختيار في الاعداد الخاصة ، وفي العدد الماسي بمناسبة مرور ٧٥ عاما على مجلة الهلال (سنة ١٩٦٧) .

يقول محمد صبري ، انه بدأ هاوياً ، ولم يكن التصوير يدرس في الاربعينيات أي دراسة اكاديمية ، ولم يظهر معهد السينما ، ولم يبدأ قسم التصوير الفوتوغرافي في كلية الفنون التطبيقية الا بعد الثورة ، وهم يدرسون الكاميرا الثابتة والمتحركة ، ولكن أغلبهم اتجه الى التلفزيون .

واذا كانت دار الهلال - قد أصبحت مدرسة متخصصة في الصور والمصورين ، وقد بلغت المصور الستين عاما - في أكتوبر ١٩٨٤ - فقد عاشت المصور الستين سنة ، نصفها قبل الثورة ، ونصفها بعدها ، وكان العدد الخاص الذي أصدرته المصور بهذه المناسبة سجلا نادرا لا يمكن أن تحويه ذاكرة واحدة . واثبت أن الصورة لها قوة خاصة ، تلخص وتسجل ، وقد تفوق أمهر المقالات وأطول التعليقات .

« وليس أدل على قوة الصورة أن الصورة العسكرية خلال حرب الاستنزاف احتلت ٢٠٪ من أغلفة المصور ، وأنك تكتشف أن محاولة تجميع أول سيارة في مصر كانت في عام ١٩٣٠ ! وأنك تستطيع أن ترى بعض صفحات من الاعداد الخاصة التي تميز بها المصور ، فتكتشف أنه قدم ١٥٠ عددا خاصا في ستين عاما ، وبعضها لا يستغنى عنه قارىء شغوف أو

بحث فيليون ، وقد قدم هذا العدد الخاص ما يقرب من ٣٥٠ صورة نادرة معبرة وفنية » .

اللطائف المصورة

وفي هذا المجال لا بد أن نشير الى مجلة اللطائف المصورة (العدد الاول ١٥ فبراير ١٩١٥) لصاحبها اسكندر مكاريوس ونطالع على صفحتها الاولى تحت عنوان « كلمة » :

« تصدر هذه المجلة باسم اللطائف المصورة ، فقد أخترنا لها هذا الاسم تذكارا لمجلة اللطائف التي أنشأها المرحوم شاهين مكاريوس والد كاتب هذه السطور سنة ١٨٨٦ » .

ويقع العدد الاول في ٨ صفحات ، وتهتم المجلة بالتصوير الفوتوغرافي وتعين سكرتيرا « لقلم الصور » وهو الاديب محمد أفندي العطار ، وهو صغير الشيخ العطار شيخ الجامع الأزهر . ويلعب مخرج الصحيفة بالصورة ، فتستعملها ـ لأول مرة ـ في نصف العمود ، (٤ يناير ١٩٣٧) ، ويلعب باخراج شرحها ، ونجدها في العدد ٢٣ يوليو ١٩٣٤ توجه نداء الى هواة التصوير الفوتغرافي ، وتناشدهم أن يرسلوا « صور الحوادث العمومية ، ولاسيما المفاجآت والاخبار المصورة » وتنشر في كل أسبوع صفحة كاملة من الصور المهداة من قرائها في مختلف أقطار العالم » .

وتبشر اللطائف قراءها في العدد ٢٣ ابريل ١٩٣٦ ، قائلة : بشرى للمصحفيين . . . الاستعداد في مطبعة اللطائف المصورة التي تفتح أبوابها قريبا جدا ورشة الصور المتقنة بالزنكوغراف . ونجرى الآن تجربة طبع الصور بالاتقان المنقطع النظير ، على مكنة البروتلتيف في مطبعة اللطائف المصورة . . سواء باللون الأسود أو الألوان الثلاثة الرئيسية الأحمر والأصفر والأزرق مع الأسود .

العربي وجماليات الاستطلاع

يفرض الايجاز المنتحب أن نخفض العين عن مقارنات هامة للمجلات العربية المصورة وخصوصا الحديثة منها ، وتطور الطباعة والاخراج فيها ، ولكننا نتوقف قليلا عند مجلة العربي ، باعتبارها مجلة ثقافية ، اهتمت اهتماما خاصا بالاستطلاع المصور ، وعمدت للاهتمام بالطباعة بالألوان منذ انشائها في عهد الدكتور أحمد زكي .

وفي بحثي المقدم لندوة العربي بالكويت خصصت فقرة عن الجماليات في المجلات الثقافية قائلا .

ـ والمجلات الثقافية الموسوعية تعمد بالضرورة الى تنوع وتعدد وتنسيق واتزان ، يعطيها الهارمونية الخاصة ، بل نكهتها وعطرها .

والتنوع يفيد القارىء حتى لا ترص المقالات والبحوث رصّا ، بل تتنوع أشكال عدة من « المادة » ، فهي تارة بحث رصين مركز ، وتارة باب من صفحتين ، وتارة أبواب ثابتة قصيرة مثل بريد القراء ، أو أنت تسأل ونحن نجيب ، وطرائف عربية وغربية وأقوال الصحف ، ومنتدى العربي ، ومن التراث ، وغير ذلك .

وكذلك تقطع الصورة والرسم مجرى الكلمات فتخفف الضغط على العين فلا يصبح الكلام ركاما مكدسا . لما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الأبواب ورشاقة المقتطعات من الرتابة حتى يتوافق الشكل مع المضمون .

. . وآخر الجماليات هو أول كل عدد أي الغلاف ، وقد تميز الغلاف في الـ ٢٠٦ من الاعداد الاولى بكلاسيكية ثابتة وكان الغلاف يقسم الى ثلاثة أقسام ، منها جزءان ثابتان ، في كل عدد . ويغلب أن تكون الصورة لفتاة واحدة (على الاقل) . وهي لازمة تجارية شائعة وموروثة ، أو صورة استطلاع عن اليمن أو المغرب أو مصر . والصورة ثابتة تخلو من الدرامية والتأثير ولكن الغلاف تحرر في عصري بهاء والرميحي فألغيت التقسيمات الثابتة على الغلاف ، وكبرت الصورة ، وأصبحت قريبة وتفصيلية ، مما يجعلها أكثر درامية وتعبيرا . (كما زادت العناوين الفرعية وهو ما يجذب القارىء أكثر) وقد تميزت العربي بالاستطلاعات المصورة الملونة ، فاستحدثت هذا الباب بصورة جديدة ، « وتشهد العربي اذ تستهل عددها الاول بفكرة صحفية مبتكرة ، نموذجا للتحقيق المصور ، وضعته تحت عنوان « أيها العربي ، اعرف وطنك » ، ونشرت في هذا العدد خمسة « استطلاعات » تحقيقات مصورة ، واحدا عن الكويت ، وثانيا عن القاهرة بالليل ، وثالثا عن قصة ٣٢ مليون نخلة

بالعراق ، ورابعا عن القات شيطان في صورة شجرة (اليمن) ، ثم تحقيقا عن يوم جيش التحرير الجزائري » .

ونرى على طول الـ ٣٠١ عددا ، وهي ثمرة ربع قرن ، استطلاعات صحفية وبعضها خمسة وأقلها ثلاثة ، تتنقل بالكاميرا والقلم ما بين المشرق والمغرب والجنوب العربي ، وقد لازم هذا التخصص أعداد أحمد زكي (حتى العدد ٢٠٤) ، واستمر عند أحمد بهاء الدين (حتى العدد ٢٨٤) ، وتمسك به الرميحي الى الآن .

وفي ظني أن الاستطلاع المصور ، تحت شعار « ايها العربي اعرف وطنك » لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا . لأنه أشبع حاجة القارىء العربي الشغوف الذي كان في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات يسمع حديثا مدويا وملحاً عن القومية العربية والعروبة ، وسهلت المجلة للقارىء أن يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربي ويكتشف خفاياه وأركانه، وحوانب عن الثقافة والعادات والتاريخ والمكان .

وعالم الصورة الفنية أو حتى الخبرية ، عالم نسيج له أبجدية خاصة ، وكما أن اللغة تقوم أصلا على عدد معين من الحروف ، يبلغ نحو الثمانية والعشرين حرفا ، تتألف منها كلمات تضمها قواميس هذه اللغة .

وكما أن الموسيقا تقوم أصلا على سبع نغمات ، يؤلف منها الموسيقي ما لا سبيل الى حصره من الجمل والألحان .

كذلك ، الفن يعتمد أساسا على عناصر شكلية تتلخص في الخطوط والسطوح والكتل والألوان والأنوار والظلال . ومن هذه العناصر التي يمكن أن تضاف اليها عناصر أخرى مثل الملمس ، أي نعومة السطح أو خشونته ، ومثل شفافية الألوان أو كثافتها ، ومثل توتر الخطوط أو رخاوتها ، يؤلف الفنان لغته الخاصة التي يعبر بها عما يختلج في أعماق نفسه من مشاعر معقدة ، وعواطف مركبة مبهمة .

عنصر البشر وعنصر الحجر

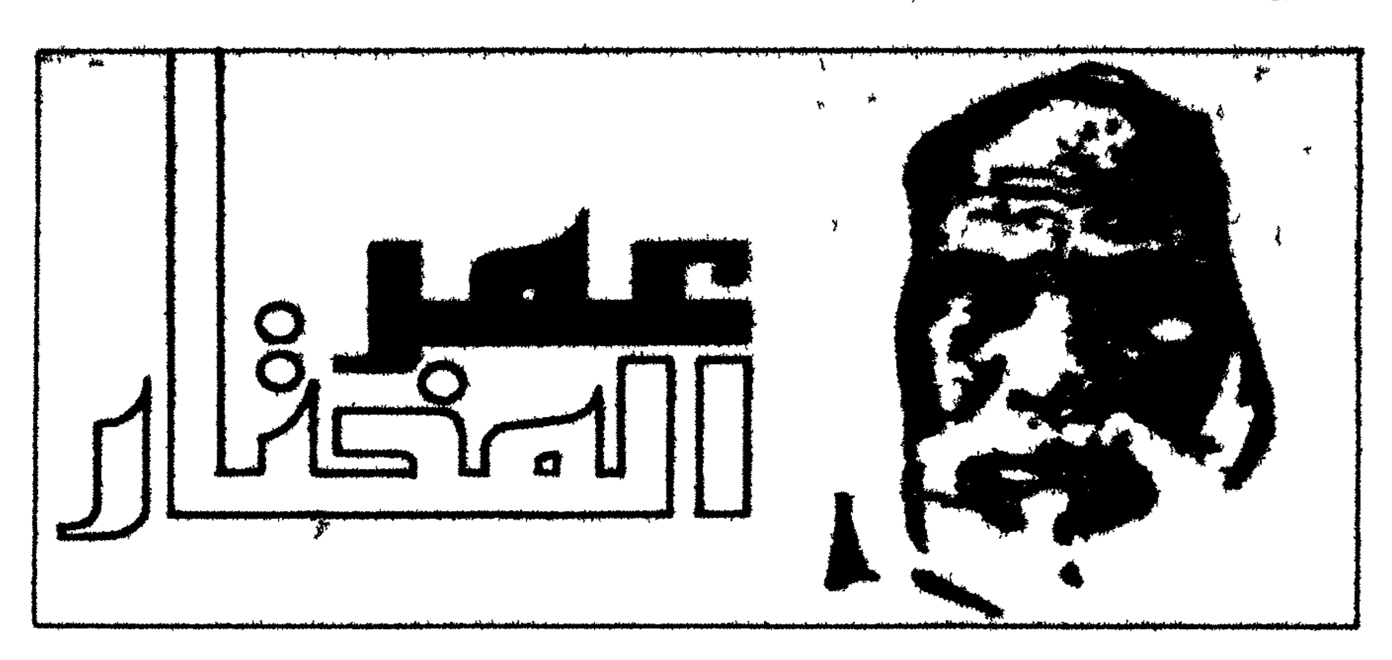
واذا كان الأمل كبيرا في نهضتنا الصحفية والطباعية فعلينا أن نشن حملة ماهرة لمحو أمية العين ، وتدريبها على التذوق والتمتع ببهجة "اللون" ، ورفع الاضطهاد عن الصورة في الصحافة ، وتوظيفها تعبيريا وجماليا ، فان ذلك الأمل تتوفر الآن امكانيات تحقيقه . وقد شهدنا في تاريخ الصحافة المصورة ، معنى العناء البشري أو تخلف الأدوات ، الذي أحاط بأجيال الصحفيين المصورين والمهتمين بالصورة خلال العقود السابقة .

واليوم تتوفر تلك الثورة التقنية في عالم الصورة والتصوير ، وعالم الطباعة والصحافة ، ويحتدم التنافس بين الأدب المرئي والأدب المقروء ، ونحس مجاعة الصورة أمام هذا الحشد الهائل من المجلات المصورة العربية ، والصحف المطبوعة طباعة ملساء .

ان سد النقص في توفر الصورة لا تكفيه لا نهضة طباعية ، ولا استحداث لآخر تطورات العصر في الطباعة الملونة ، ولا استجلاب أحدث الألكترونيات ، فكل ذلك وسائل في أيدي البشر . وأنا من المؤمنين أن أي نهضة صحفية لا بد أن تقوم على البشر قبل الحجر .

والعنصر البشري في تلك النهضة يقوم على ثلاثة : ١ ـ المصور الصحفي . ٢ ـ الصحفي الفني . ٣ ـ الطابع .

ولا بد من تحقق الحضور والغريزة والتوقع ، وليس الحضور هو مجرد التواجد في المكان ، بل لا بد أن يكون المصور الصحفي مسلحا ببصيرة غريزية ، ولا بد أن يكون فنانا يتوفر فيه الحضور في مكان الحدث ، والغريزة التي يعرف بها متى يصور ، والتوقع ليكون دائما مستعدا لتغطية الحدث بذهنه ومعداته . ولا بد للصحفي الفني المخرج ـ وهو عملة نادرة ـ أن يتوفر فيه الفن السريع . لأن الصحافة هي السرعة والملاحقة بل مداهمة الأحداث ، والمصور ينقل المرئيات ، والرسام يلخصها ، ولا بد للصحفي الفني أن يكون صحفيا ومصورا ، ليلحن الصور المطبوعة ، ويجيد العزف بالألوان ، وليست الألوان صبغة ملونة بل هي نغمة في سلم موسيقي . وتصاب أكثر صحفنا بما أسميه المحسنات الطباعية ، والحشو ، والنشاز . ◻



شـــــيخ الشهـــــداء

بقلم : وهبي البوري*

ليبيا وعمر المختار اسمان تلازما منذ بداية هذا القرن ، وخصوصا في ثلاثينياته عندما أضيف اليهما اسم ثالث هو الفاشست الايطاليون استعمار ومقاومة ، غزو ونضال ، وجهاد وكفاح تلك هي القصة باختصار

لكن كيف سارت معارك المختار ؟ وكيف خاض الشعب الليبي نضالاته ضد الغزاة ؟ هذا ما نجده في هذا المقال

عندما قررت إيطاليا غزو ليبيا في اكتوبر ١٩١١ ، كان ذلك تحقيقاً لحلم راودها منذ اتمام وحدتها ، وبروزها كدولة أوروبية كبيرة ، لها الحق في نصيب من المستعمرات التي كانت الدول الأوروبية تتكالب عليها ، فجردت ايطاليا للحملة على ليبيا خمسة وثلاثين الف جندي ، مدججين بمختلف الأسلحة تساندهم الطائرات ، التي استعملت في العمليات الحربية لأول مرة في تاريخ الحروب ، بالاضافة الى مشاركة معظم قطع الأسطول الايطالي

وكانت معركة الهاني التي خاضها المجاهدون العرب ضد القوات الغازية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩١١ ،

* مستشار منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط .

أي بعد أيام قليلة من الانزال ، كانت مفاجأة قاسية للغرور العسكري الايطالي ، قلبت جميع مخططات القيادة الايطالية رأساً على عقب ، والحقت بالقوات الغازية هزيمة نكراء اضطرتها الى التخلي عن مواقعها المتقدمة والاحتماء بمدافع الأسطول . وتمثل رد الفعل الايطالي في القيام بمذبحة وحشية ضد سكان المدينة العزل شملت النساء والأطفال والشيوخ ، وقد أثارت استنكار واشمئزاز الرأي العام الدولي والصحافة العالمية .

مرت المقاومة الليبية بثلاث مراحل تاريخية ، ارتبطت بالمتغيرات الايطالية والدولية ، وبالحرب العالمية الثانية ، وبتطور الأوضاع الداخلية في ليبيا : ـ

المرحلة الأولى امتدت من بداية الغزو الايطالي حتى التوقيع على معاهدة الصلح التركية ـ الايطالية عام ١٩١٢ وقد تميزت هذه المرحلة بقبوع القوات الايطالية في خنادقها على الساحل تحت حماية مدافع الأسطول .

وامتدت المرحلة الثانية من أواخر عام ١٩١٢ حتى قيام النظام الفاشي في عام ١٩٢٢ ، وتميزت بتحمل الشعب الليبي وحده مسئولية مواجهة العدوان ، بعد انسحاب القوات التركية ، معتمداً على نفسه وعلى موارده وقواته الذاتية ، وعرفت هذه الفترة أعظم انتصارات الشعب الليبي وأكبر هزائم الايطاليين في جميع انحاء ليبيا ، واضطرارهم الى التمركز في بعض المدن الساحلية طوال سنوات الحرب العالمية الأولى .

أما المرحلة الثالثة وهي أقسى فترات الجهاد الليبي ، فقد اقترنت بدايتها بقيام الفاشية في ايطاليا عام ١٩٢٢ ، وانتهت باستشهاد عمر المختار عام ١٩٣١ .

نشأة عمر المختار

ولد عمر المختار بالدفنة بمنطقة البطنان في شرق ليبيا ، وتوفي والده حين كان في السادسة عشر من عمره ، فالتحق بمعهد زاوية جغبوب ، حيث درس الفقه واللغة والعلوم الدينية والتدرب على ركوب الخيل وفنون القتال لمدة ثماني سنوات . ومن المعروف أنه ظل فترة أخرى بالمعهد يساعد القائمين عليه ، ويلتقي بالعلماء والأساتذة الذين كانوا يتوافدون على الزاوية ، ويوطد أواصر الصداقة مع الكثير منهم ، ومع العديد من أهل العلم ورؤساء القبائل ، مما ساعده على معرفة الناس والاطلاع على أحوال بلاده وعاداتها وطباع أهلها ، وكانت هذه الفترة عاملاً هاماً في تكوين شخصية عمر المختار السياسية والاجتماعية ، وبروزه في مجتمعه كأحد الرجال المرموقين .

وعندما بدأ الغزو الايطالي لسواحل ليبيا في عام ١٩١١ ، لعب عمر المختار دوراً هاماً في التعبئة لمواجهة الغزو ، وشارك في معركة السلاوي التي دارت بالقرب من مدينة بنغازي في ١٩١٢/٣/١٢ ، التي القى الايطاليون فيها بقرابة عشرة آلاف جندي ، كما شارك برجاله في المعارك التي دارت رحاها بين الغزاة والقوات العربية التركية المتحالفة . وقد ظل عمر المختار طوال فترة جهاده ضد الغزاة ، سواء في ليبيا أو في تشاد ، أميناً على مبادئه ، متشدداً في وطنيته وعدائه للمغتصب .

عندما قرر عمر المختار استئناف القتال في برقة ، بعد بداية الحملة الايطالية الجديدة ، انطلق من فراغ قيادي ، وتشتت في القوى المجاهدة ، واسترخاء عام نتيجة لفترة طويلة من المفاوضات والمساومات العقيمة التي ظل عمر المختار دوماً بعيداً عنها وحذراً من نتائجها . وقد شرع في تعبئة وطنية جديدة لتنظيم المقاومة والجهاد على أسس تتناسب وظروف القتال المستجدة . ولبى الجميع نداء عمر المختار والتفوا حوله ، وارتضوه زعيماً وقائداً ، وأمدوه بالمال والمؤن والسلاح والرجال ، مما مكنه من شغل القوات الايطالية الضخمة لعشر سنوات ، وعدم تمكينها من الاستقرار وتحقيق أهدافها الاستيطانية والاستعمارية وسنحاول فيما يلي اعطاء فكرة موجزة عن التنظيم الذي قامت عليه المقاومة في فترة قيادة عمر المختار : ـ

١ ـ الأدوار (المعسكرات) :

أطلق على معسكرات المجاهدين منذ بداية الغزو الايطالي اسم الأدوار ، وهي المناطق الجغرافية التي تقيم فيها القبائل الثائرة ، والتي تحولت الى قواعد عسكرية ينطلق منها المجاهدون ، وتقيم فيها

أسرهم ، وتخزن فيها المؤن والسلاح . وأقام عمر المختار ثلاثة أدوار كبيرة كل منها يضم قبيلة كبيرة أو أكثر ، واختار الجبل الأخضر كقاعدة رئيسية لعملياته ، واعتمد حرب العصابات كاستراتيجية جديدة للقتال ، تعتمد على الأدوار أساساً ، وعلى بقية السكان من حيث الدعم والتمويل وتقديم المتطوعين . وجعل في كل دور (قائمقاماً) عسكرياً ، يهتم بالتجنيد والتسليح والتدريب والمراقبة ، وتقصي أخبار العدو ، والتحرك للقتال عندما تصدر الأوامر اليه من القيادة العليا ، أو عندما يتعرض « الدور » الى هجوم مفاجيء كما جعل (قائمقاماً) مدنياً يتولى الشؤون الادارية وجمع المؤن وتخزينها وتوزيعها ، وجمع الأعشار والزكاة ، ومساعدة المحتاجين والعاجزين . ويقوم كل دور ، بقدر الامكان ، بالاعتماد على نفسه ، من حيث توفير المتطوعين والمؤن والسلاح والدفاع . ولكل دور مجلس يتألف من المشائخ والأعيان يترأسه ممثل القائد العام الذي ينظر في شؤون الدور وفض المنازعات بين القبائل والأفراد . كما يوجد « بالدور » قاض شرعي وكتاتيب لتعليم الأطفال القرآن واللغة العربية ، ويشرف على جميع الأدوار مجلس أعلى يترأسه عمر المختار ويشارك فيه كبار المجاهدين والقادة ، وهو الذي يقرر التحركات العسكرية والسياسية واستراتيجية القتال .

٢ - التسليح والتموين :

كان معظم الشعب الليبي قبل الغزو الايطالي مسلحاً ، وقد عملت الحكومة التركية قبيل الغزو بأيام على ارسال الباخرة درنة وعلى ظهرها شحنة من السلاح ، وقامت بتوزيعها في الحال على السكان . وترك الأتراك قبل انسحابهم من ليبيا ، بعد توقيع معاهدة الصلح مع ايطاليا ، معظم أسلحتهم للمجاهدين العرب ، وتدفقت أسلحة كثيرة على البلاد من مصر وتونس ، كما أن الألمان والأتراك زودوا المجاهدين بأسلحة كثيرة خلال الحرب العالمية الأولى ، بقصد الضغط على القوات البريطانية في مصر ومهاجمتها كما حدث في أواخر عام ١٩١٥ . وغنم المجاهدون أسلحة كثيرة من القوات الايطالية المهزومة خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، كما استولوا على مخازن الأسلحة الايطالية في المناطق التي انسحب منها الايطاليون

ان الظاهرة التي تميز بها الجهاد الليبي بقيادة عمر المختار هي أن المقاومة كانت تستمد قوتها وأسباب بقائها من الشعب الذي كان يساهم بدرجات متفاوتة في تمويل الثورة وتزويدها بالمقاتلين . وكانت الزكاة والأعشار تجمع في أول كل عام هجري من القبائل أما عيناً أو نقداً ، وكان سكان المدن يدفعون الزكاة نقداً . والوثائق التي جمعت في مركز دراسات الجهاد الليبي بطرابلس تبرز النظام المالي الذي كان متبعاً من محاسبة ومراجعة وتسجيل الواردات ، الأمر الذي كان يضفي على المقاومة صفة الحكومة ، أو كما كان يسميها الايطاليون « حكومة الليل » .

٣ - المقاتلون :

تضمنت الخطة التي وضعها عمر المختار بالاتفاق مع القبائل أن تتولى كل قبيلة تزويد المقاومة بالمقاتلين وفقاً لحجمها وعدد أفرادها ، وأن تتكفل بمؤنهم وملابسهم ، وتعويض من يستشهد منهم في القتال ، وكان يحصي عدد القتلى اثر كل معركة ، ويحدد هويتهم ، ثم يطلب من قبائلهم ارسال بدلهم . وكان هذا العمل يتم بصورة سرية متفق عليها بالنسبة للقبائل الخاضعة للسلطة الايطالية ، علماً بأنه باستثناء الجبل الأخضر والجنوب الليبي اللذين يسيطر عليهما المجاهدون ، فقد كان الايطاليون يحتلون معظم المناطق والمدن والقرى الأهلة بالسكان ، وقد بثوا عيونهم وجواسيسهم في كل مكان للحيلولة دون مساعدة أفراد الشعب للمجاهدين ، سواء في برقة أو في طرابلس . وكانت نوعية الحرب التي خطط لها عمر المختار تتطلب قوات صغيرة سريعة الحركة والانقضاض ، ولذلك كان حجم القوات المقاتلة في حدود الألف رجل وان كان عددها في عام ١٩٢٤ بلغ حوالي ثلاثة آلاف مقاتل . وكان للمجاهدين نظام استخبارات يطلعهم على تحركات العدو ومخططاته ، ومراكز أمامية للمراقبة ولرصد تحركات العدو . وقد استطاع عمر المختار ورجاله من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٢٩ أن يتحركوا في جميع المناطق الداخلية ،

ويرهبوا الايطاليين بهجمات وغزوات خاطفة وناجحة ، رفعت من معنوياتهم ، وشجعت الشعب على زيادة دعمهم ومساعدتهم .

المفاوضـــــــات :

توطد النظام الفاشستي في أواخر العشرينيات ، وارتفع صوت موسوليني يطالب بنصيب ايطاليا من المستعمرات ، وبحقها في تونس وسافويا ونيس ، وأخذ مركزه الدولي يزداد قوة ، وازداد تحديه لفرنسا وبريطانيا ، وباشر في القيام بسياسة نشطة في مصر والبلاد العربية الأخرى ، من منطلق اعتبار البحر الأبيض المتوسط بحيرة ايطالية ، ووضع المخططات لتوجيه الشجرة الايطالية الى ليبيا ، وخصوصا في منطقة الجبل الأخضر التي اعتقد الساسة الايطاليون أنها قد تستوعب ملايين الايطاليين ، لتغدو ليبيا امتداداً للوطن الايطالي بصفتها أرضـــاً رومانيـــة فـأسـند وزارة المستعمرات الى المارشال دي بونو أحد أقطاب الفاشستية الأربعة ، وعين المارشال بادوليو رئيس الأركان الايطالية العامة ، وأكبر شخصية عسكرية في ايطاليا ، حاكماً عاماً لليبيا . وكانت المهمة التي اسندت الى هذين القائدين هي سحق المقاومة الليبية بأي ثمن وبأية وسيلة ، وبدون رحمة في جميع أنحاء ليبيا الثائرة .

وبمجرد وصول بادوليو الى ليبيا وجه نداء الى المجاهدين في شرق وغرب ليبيا ، يدعوهم فيه الى السلام والتفاهم ، وهددهم بحرب ابادة اذا لم يتم السلام ، وواجه المجاهدون نداء بادوليو بسلسلة من الهجمات على المواقع الايطالية في الجبل الأخضر وفي جنوب ليبيا ، في الوقت الذي شرع فيه الموظفون الايطاليون في الاتصال برجال عمر المختار لفتح مفاوضات بين الطرفين . وقد مهدت هذه الاتصالات الى عقد لقاء بين عمر المختار والجنرال سيشلياني نائب الحاكم في برقة ، أعقبه لقاء بين عمر المختار والمارشال بادوليو بالقرب من مدينة المرج يوم ١٣/٦/١٩٢٩ ، حيث دارت المفاوضات بين الطرفين حول شروط السلام والتسوية السياسية ، وقد سأل بادوليو عمر المختار عن الداعي الى هذه الحرب المدمرة ، فأجابه عمر المختار : « لولا هذه الحروب لما كان هناك عربي يسير على أرض ليبيا » . واتفق الطرفان على عقد هدنة لمدة شهرين ، تستأنف فيها المفاوضات لايجاد تسوية تضع حداً للقتال وترضي الطرفين . وقدم بادوليو بعض الهدايا لعمر المختار وبعض رجاله ، كما أهدى عمر المختار بادوليو جواداً أصيلاً .

وكانت الهدنة في جوهرها مكيدة ، الغاية منها خلق جو من الاسترخاء بين المجاهدين والتغلغل في صفوفهم ، ومعرفة أسرارهم واستراتيجيتهم ، وقد عمل الايطاليون على انتهاك الهدنة ، ونشر عمر المختار بياناً في الصحافة المصرية يحمل ايطاليا مسؤولية استئناف القتال ونتائجه .

غراتسياني يتولى القيادة :

ونتيجة لفشل المفاوضات وعدم قبول المجاهدين لشروط ايطاليا ، اسندت الحكومة الايطالية الى الجنرال غراتسياني مهمة القضاء على المقاومة وعلى عمر المختار ، ووصل غراتسياني الى بنغازي في أواخر شهر مارس ١٩٣٠ ، تحيط به هالة من الغرور والصلف والاعتداد ، بعد أن اكتسب شهرة في الاجرام واللاانسانية في حربه الطويلة ضد المجاهدين في ليبيا الغربية ، وخصوصا في الجنوب الطرابلسي ، وبعد أن قابله موسوليني والبرلمان الايطالي مقابلة الفاتحين ، ومع ذلك فان غراتسياني لم يخف تهيبه من لقاء عمر المختار حيث كتب : « اني اتجه نحو كفاح مرير ومتاعب ، واضعاً مصيري على كفة القدر هناك في برقة » ، وفي تقاريره الأولى الى رؤسائه لم يخف عنهم « ان الثورة عامة وان كل فرد ليبي ، سواء أكان ثائراً أم خاضعاً لسلطتنا ، وسواء أكان يتقاضى راتباً منا أم لا ، يشارك بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مقاومتنا » واقتنع غراتسياني انه كي يستطيع ان يقضي على المقاومة يجب :

١) نزع السلاح من السكان .
٢) فصل السكان عن المجاهدين فصلاً تاماً .
٣) تغيير السلاح الذي بيد الجنود .
٤) احتلال واحة الكفرة ومنع الاتصال بمصر .
٥) خلق قوات سريعة الحركة مزودة بأحدث

الأسلحة تساندها الطائرات لملاحقة المجاهدين حيثما وجدوا .

وباشر غراتسياني في نزع السلاح من السكان وقام بعد ذلك بالخطوة الثانية ، وهي ترحيل كافة سكان الجبل عن مواطنهم الى مناطق قريبة من المراكز الايطالية ، لتتسنى مراقبتهم ومنعهم من الاتصال بالمجاهدين ، أو تقديم العون لهم . وأنشأ المحكمة الطائرة ، لتتنقل من مكان الى آخر ، لمحاكمة المشتبه فيهم بتقديم المساعدة للمجاهدين ، وإعدامهم فوراً وعلناً ، وقد حكمت هذه المحكمة ، وفقاً للمصادر الايطالية ، بالاعدام على ٢٥٠ ليبيا في أقل من عام ، ونفذ فيهم الحكم فوراً وعلناً لارهاب الناس .

وقابل المجاهدون تدابير غراتسياني القمعية الارهابية بسلسلة من الهجمات المتلاحقة على مختلف المراكز الايطالية ، وألحقوا بها ضربات قاسية .

كانت جرأة المجاهدين وهجماتهم على القوات الايطالية تحدياً لغرور الفاشستيين وطعنة لكبريائهم ، الأمر الذي دفعهم الى اتخاذ قرار خطير ، وهو ترحيل جميع قبائل الجبل الأخضر والبطنان الى أماكن نائية ، وحشرهم في معتقلات محاطة بالأسلاك الشائكة ، وتحت حراسة القوات المسلحة ، وفي أقصى حالات الضنك والجوع والاذلال ، ووضع بقية السكان تحت الحراسة والرقابة ، بحيث لا يتسنى لهم الاتصال بالمجاهدين ومساعدتهم

الأسلاك الشائكة :

في سبيل أحكام الحصار على المجاهدين وقطع الاسدادات والذخيرة عنهم ، قررت الحكومة الايطالية احتلال واحة الكفرة التي تقع على قرابة ألف كيلومتر الى جنوب بنغازي ، ومد الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية من البحر الأبيض الى واحة جغبوب بمسافة ٢٨٠ كيلومتراً تقريباً .

وشرعت السلطات العسكرية الايطالية في نفس الوقت في عملية مد الأسلاك الشائكة المكهربة على طول حدود مصر ، ودام العمل فيها أكثر من ستة أشهر ، وكلفت الخزينة الايطالية ثمانية عشر مليون ليرة بقيمة ذلك الوقت .



عمر المختار أسيراً ،
أسد الصحراء في قبضة الفاشست

التحدي الأخير :

بانتهاء الايطاليين من مد الأسلاك الشائكة على الحدود الليبية المصرية ، تم احكام عزل عمر المختار ورجاله ، وتصريغ لجبل الأخضر من السكان والحيوانات ، وتحويله الى ساحة للمعارك المتواصلة بين القوات الايطالية التي كان عددها يزيد على ١٣ الف رجل ، مزودين بالأسلحة الحديثة والطائرات ، وبين بضعة مئات من الرجال تتناقص مؤنهم وذخيرتهم وعددهم ، وإن كان يتضاعف ايمانهم بقدسية نضالهم ، وتتزايد فيهم روح التضحية والفداء ، ومواصلة الكفاح حتى الموت . واشتد الحال بهم لدرجة أنهم كانوا لا يستطيعون البقاء في مكان واحد أكثر من بضع ساعات ، ولا يمر يوم دون صدام مسلح مع قوات العدو ، وتعذر عليهم

الحصول على القوت الضروري لسد الرمق .

ومع ذلك لم ييأس عمر المختار ، وقد اعترض الايطاليون يوم ١٩٣١/٨/٢٥ ، أي قبل اسبوعين من أسر عمر المختار ، قافلة تحاول الوصول الى مصر ، وعثروا معها على رسائل من عمر المختار موجهة الى أمراء مصريين ، وشخصيات عربية ومصرية يطلب منهم المساعدة والعون لمواصلة الكفاح .

النهايـــــة :

وتسربت أنباء المأساة التي يعيشها الشعب الليبي الى الخارج ، واتخذت بعداً دولياً ، وتناولت الصحافة العالمية والعربية جرائم الفاشست في ليبيا بالنقد والتعليق وتعاطف العالم العربي مع الشعب الليبي في محنته . وأدركت ايطاليا تأثير ردود الفعل هذه على سياستها الدولية ومطامعها التغلغلية في البلدان العربية . وحاولت وزارة الخارجية الايطالية تلمس طرق أخرى غير عسكرية لحل القضية الليبية . الا أن القدر شاء أن يسقط البطل أسيراً يوم ١٩٣١/٩/١١ ، في معركة أصيب فيها وسقط من على جواده وكانت آخر معاركه . لم يعرف بالضبط نص الحديث الذي دار بين عمر المختار وغراتسياني ، الا أن هذا الأخير نشر بعض ما دار بينه وبين عمر المختار ، وهو تمسك البطل بشرعية قتاله من أجل حرية وطنه ومن أجل دينه ، وتحمله مسؤولية كل ما حدث في الحرب ، ورفضه لدعوة رفقائه الى الاستسلام لأنهم : « أقسموا على الموت واحداً تلو الآخر دون أن يلقوا السلاح » .

وعمت ايطاليا موجة من الفرح لأسر عمر المختار ، وأعطى غراتسياني حجماً لانتصاره بالاشادة بعظمة خصمه فكتب يقول : « هذا الرجل ، أسطورة الزمان ، الذي نجا آلاف المرات من الموت والأسر ، والذي اشتهر لدى الجنود بالقداسة والاحترام ، الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في برقة ، والقائد الذي نظم القتال ، لسنوات كثيرة ، بصبر ومهارة لا مثيل لها ، وقع الآن أسيراً بأيدينا » .

خاض عمر المختار ورفاقه ٧٤ معركة كبيرة ضد الايطاليين و ٢٧٠ صداماً مسلحاً ، والحق بالقوات الايطالية هزائم كثيرة في وقائع معروفة ، وتغير خلال فترة مقاومته خمسة ولاة ايطاليين في برقة ، واستطاع أن يؤخر مشاريع ايطاليا الاستيطانية في ليبيا ، ويفسد جميع مخططاتها في هذا الخصوص . وقام الطيران الايطالي منذ بداية الاحتلال بدور فعال في القتال ضد المجاهدين الذين كانوا لا يملكون غير البندقية ، وقد ألقت الطائرات على المجاهدين في برقة في الفترة ما بين نوفمبر ١٩٢٩ ومايو ١٩٣٠ ما يقدر بـ ٤٣,٥٠٠ طن من القنابل ، وحلقت الطائرات في سماء المعارك ، في نفس الفترة ، ١٦٠٥ ساعات ، ولا يعرف كم طناً من القنابل كانت معبأة بالغازات .

وفي يوم ١٥ سبتمبر ١٩٣١ ، جندت السلطات الايطالية سياراتها وقطاراتها لتنقل الى منطقة سلوق في جنوب بنغازي ، أكثر من عشرين ألف عربي ، جلهم من المعتقلين ، لمشاهدة تنفيذ الاعدام في زعيمهم وقائدهم . وكان مظهراً ينم على ما وصل اليه الفاشيون في تلك الفترة من انحدار في القيم والأخلاق ، وابتعاد عن مفاهيم حضارة القرن العشرين . وصعد عمر المختار الى المشنقة بثبات ورباطة جأش ، رغم شيخوخته وجروحه ، مرفوع الرأس غير هياب ، وأسلم روحه الطاهرة الى بارئها في صباح يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ ، بعد أن أدى واجبه في الدفاع عن وطنه وعروبته ، وبعد أن رفض كل ما عرض عليه من رغد العيش والأموال .

سجل التاريخ للمختار صفحة ناصعة في تاريخ الذود عن الأوطان والفداء ، وسجل لأعدائه الخزي والعار ، فقد أعدم موسوليني المارشال دي بونو عام ١٩٤٤ رمياً بالرصاص بتهمة الخيانة ، كما وقع المارشال بادوليو على وثيقة استسلام إيطاليا في الحرب العالمية الثانية وساهم في تمزيقها واحتلالها ، وعاش بقية حياته محتقراً ومهملاً . أما غراتسياني فقد انضم الى جمهورية موسوليني الصورية ، التي كونها هتلر ، وخان مليكه وبلده وقبض عليه في نهاية الحرب وسجن وأهين ومات ذليلاً محتقراً .

ودارت عجلة الزمن ، وجاء جيل من أحفاد عمر المختار ليأخذ بثأره ويطرد الفاشيين من ليبيا ، ويحاسبهم على ما اقترفت أيديهم من جرائم ضد الشعب الليبي . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

عالم العقل الواعي والطفل اللقيط

إنهم ينجبون تحت العشرين .. لا يهم أن يكون ذلك شرعيا أو غير شرعي ، صحيا أو غير صحي .. المهم أن ذلك يحدث بشكل قد يخالف ما ألفناه وعرفناه في المجتمعات الزراعية والبدوية ، والأقل نموا التي يتم فيها الزواج والانجاب في سن مبكرة .

الجديد والمثير رقم نادر يحاول أن يقدم حجم الظاهرة في الدول النامية والغنية على السواء .. من خلال الزواج أو بدون زواج .

الرقم الذي يقدمه تقرير أخير للبنك الدولي تحت عنوان « حمل المراهقين » يحدد نسبة الذين يولدون في العالم من آباء وامهات في سن المراهقة بـ (١٠) - (١٥) بالمائة من المواليد على النطاق العالمي .. وفي التفاصيل تبرز أرقام أكثر اثارة :

** ففي الولايات المتحدة الامريكية ارتفعت نسبة الانجاب في سن المراهقة ، وكان (٦٦) بالمائة أى ثلثا عدد المواليد لهؤلاء المراهقين .. من أمهات غير متزوجات .

** وفي البرازيل هناك ١٦ مليون طفل هجرهم آباؤهم .. وجاءوا من علاقة غير شرعية وغير مستقرة .. وأغلبهم من آباء وأمهات في سن المراهقة .

** وفي بومباي ووفق دراسة أجريت في اوائل السبعينات كانت هناك نسبة (١٢) بالمائة من النساء اللاتي أقدمن على الاجهاض تقل أعمارهن عن (١٨) سنة .. وتمثل نسبة غير المتزوجات منهن (٩٢) بالمائة وهي نفس النسبة تقريبا في مستشفى بلاجوس الذي اجريت عليه نفس الدراسة .

الارقام تصدم العين ، ومع ذلك فالتقرير يعترف : (الاسباب في الدول النامية لما يسمى حمل المراهقين تختلف عن الاسباب في الدول الصناعية .. فالسبب الرئيسي في المجموعة الاولى هو الزواج المبكر .. بينما السبب الأول في المجموعة الثانية هو الزواج المتأخر مع الاباحية الجنسية وانتشار قيم لا تستهجن العلاقات غير الشرعية) .

وهكذا تبدو الاسباب متناقضة ، لكن لها منطقها الذي لا يتقصاه التقرير أو يفسره .

ان الدول النامية في معظمها لم تتحول الى مجتمعات صناعية ، ولم ترتفع فيها نسبة التعليم كما ارتفعت في العالم المتقدم .. الدول النامية زراعية أو رعوية أو منتجة للمواد الأولية .. وكلها مجتمعات درجت على قبول فكرة الزواج والانجاب المبكرين .. ولعب الطفل والصبي في العديد منها دور القوة الاقتصادية المنتجة ، فهو مصدر دخل بما يقدمه من عمل .. وليس عبئا اقتصاديا على اسرته كما هو الحال عند زميله الذي تربى في المدينة ، ودخل المدرسة .

أيضا وفي المجتمعات النامية التي تتغير تدريجيا لا يوجد على الأرجح تثقيف حول شؤون الاسرة والزواج والانجاب .. وعلى العكس يوجد تراث اجتماعي يشجع الزواج المبكر ويعتبر الزواج المتأخر وخصوصا للفتيات .. مشكلة اجتماعية .

صحيح أن الوضع قد بدأ يختلف ، فمع التحضر

وزحف المجتمعات الى المدينة ودخول الصناعة تدريجيا يتغير سلوك الاسرة في الدول النامية ، ويتأخر سن الزواج لاسباب اقتصادية وثقافية . . ولكن بالرغم من ذلك فمازال الأغلب الأعم (الزواج مبكرا) ، ومازال الزواج تحت العشرين للفتيان والفتيات يحقق درجة عالية من الانتشار ، ذلك بالاضافة الى مجتمعات تسمح بالعلاقات غير الشرعية ، وتنتمي ايضا لمجموعة البلاد النامية.

على العكس من ذلك تجيء الأسباب في الدول الصناعية المتقدمة ، فالزواج متأخر . . لكن عناصر القلق والتفسخ الاجتماعي ، والانحلال وعدم الاحساس بالمسؤولية ، وغياب الوازع الديني ، تلعب كلها دورا في انجاب مبكر . . بلا زواج ، وهو انجاب تحت العشرين في حالات كثيرة .

أطفال أقل حظاً :

هذه الظاهرة ـ الزواج تحت العشرين ـ تترك آثارا وخيمة . . فالأطفال يأتون أقل وزنا وأقل اكتمالا ونموا . . يتعرضون للوفاة بدرجة أكبر ممن يجيئون من آباء وامهات فوق العشرين . . وتسجل الأرقام ذلك فتقول إن فرصة وفاة الذين يولدون من أمهات مراهقات تزيد في الباكستان بنسبة (٥٠) بالمائة عن الذين يولدون من أمهات تتراوح أعمارهن بين العشرين والتاسعة والعشرين . نفس الشيء أثبته بحث في بيرو ، وتثبته أبحاث أخرى كثيرة . .

فاذا أضفنا لذلك أن كثيرا من حالات حمل المراهقات تنتهي بقرار اجهاض شرعي لأضفنا في نفس الوقت حقيقة أن نصف الوفيات المتعلقة بالأمومة سببها الاجهاض وهو ما تقوله دراسة أجريت في ٢٤ بلدا ناميا خلال ثماني سنوات بدأت عام (١٩٧٠) .

وتمضي سلسلة الأخطار لتشمل حرمان الأم من فرص التعليم والتوظف ولتنشر نوعا من الاجيال التي تنشأ في ظل « نصف الاسرة » لأن أحد الأبوين في حالة غياب أو فرار أو عدم مسؤولية .

امهات في الثانية عشرة :

نماذج التصدي لظاهرة انجاب المراهقين تتعدد في العالم . .

في جامايكا تم تصميم برامج تخاطب الامهات اللاتي تتراوح أعمارهن بين الثانية عشرة والسادسة عشرة . . والهدف : اعادتهن الى المدرسة والكف عن الانجاب .

وفي بنجلاديش هناك برامج لخفض الخصوبة ، والمكافآت سندات تتراوح قيمتها بين (٨٠) و (١٢٠) دولارا ، وتأمين ضد الشيخوخة لمن يؤخر المولود الأول ثلاث سنوات بعد الزواج أو يؤخر المولود الثاني والثالث خمس سنوات .

وبشكل عام تعتمد برامج تنظيم الاسرة غددا من الاليات لتخفيض الخصوبة وعدد السكان ومن بينها : التركيز على النساء تحت العشرين وفوق الرابعة والثلاثين .

أيضا ، وكطريقة للمواجهة بدأ العديد من البلدان النامية ـ كما هو في الدول المتقدمة ـ تطوير برامج التعليم لتقدم ثقافة اسرية وجنسية ودينية تقاوم بها الانجاب تحت العشرين ، ومن هذه الدول : غانا وكوريا والمكسيك والفليبين وكينيا .

السؤال : ماهو موقع الوطن العربي من هذه الظاهرة ؟

والجواب واضح فالزواج المبكر والانجاب في سن المراهقة ينحسران تدريجيا تحت عوامل المدنية والتعليم وخروج المرأة للعمل وتزايد المشاكل الاقتصادية في عدد كبير من الدول العربية .

الزواج يتأخر بطبيعته . . وخطر انتشار الابناء غير الشرعيين غير قائم فالوازع الديني وجهاز القيم يلعبان دورهما في كبح جماح الشباب رغم تعقد الحياة وصعوبتها ، النفق المظلم الذي سارت فيه مجتمعات غربية لا يهدد الوطن العربي . . وهذا فارق أساسي بين ما يجري هنا وهناك . انه مقياس آخر للتقدم والتخلف . . فالمتقدمون في الصناعة والزراعة وعلوم الفضاء متخلفون في العلاقات الاجتماعية ، والدليل : أرقام دولية وليس بحثا فرديا أو انطباعا شخصيا .

انه عالم العقل الواعي . . والطفل اللقيط ، او هكذا بدت الصورة في بعض البلدان . . □

العربي - العدد ٣٢٢ - سبتمبر ١٩٨٥ م

□□ تراث



الذكرى الألفية للنديم
فهرست النديم أول موسوعة ببليوجرافية علمية

بقلم : د. محمد حسن عبد الله

كانت تجربة النديم تجربة رائدة في فهرسة الكتب والتعريف بها لم يسبقه اليها أحد في التراث العربي كله .

ولقد جمع النديم بين الدقة والتنظيم وبين سعة الاطلاع ، فلم يكتف بتصنيف الكتب وانما قدم لكل مقالة بلمحة تعرف بالموضوع ، من حيث الأطوار وأعلام الرجال والجذور التاريخية .

وفي الذكرى الألفية لهذا الكاتب نقدم هذا البحث .

ليس بين المهتمين بالحضارة العربية وما انبثق عنها من علوم متنوعة من يجهل الأهمية الزائدة التي يحتلها كتاب الفهرست ، لمؤلفه (أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق) ، النديم ، الوراق ، البغدادي . فهذا الكتاب قد تضمن قوائم شاملة لأسماء الكتب ، والمصنفين ، في مختلف فروع المعرفة ، حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، غير أنه يضيف الى هذه الوظيفة الببليوجرافية - على خطرها وما تحتاج من دراية وجهد - وظيفة أخرى تتجاوزها ، وتحتاج الى خبرة ومعايشة ومخالطة للعلماء طويلة ، لأن النديم لم يقف عند توزيع ما انتهى اليه خبره من الكتب في مقالات وفنون على حسب الموضوع ، وانما قدم في صدر كل مقالة أو فن لمحة تاريخية تعرف بالموضوع : جذوره التاريخية ، وأطواره ، وتفريعاته ، وأهم رجاله ، ومصطلحاته . ولا يندر أن يقابل بين أكثر من رواية ، ويمحص القول ويدققه ، وأن يصدر أحكاماً على الرجال ، معتمداً على ما انتهى الى علمه ، أو من خلال درايته الخاصة بما ألفوا ، وقد يغوص في بعض المسائل الجوهرية التي تضمنها هذا الكتاب أو ذاك ، فيحلل ، وينقد ، ويصحح النسبة ، ويربط ما بين الأول والآخر . .

وبهذا كله يأخذ كتاب الفهرست مكانه بين الموسوعات

العلمية التي لا غنى عنها لكل مشتغل بالعلم ، أو راغب في توثيق المعرفة ، سواء كان التراث بغيته ، أو العصر الحاضر ، لأن الوعي بالتاريخ أساس في صواب التصور للحاضر والمستقبل .

النديم ، مولده وحياته

تتفق أقوال المؤرخين على اسم الكتاب ، فهو الفهرست ، وان عرّبها بعض المتأخرين الى : الفهرس . كما تتفق على اسم صاحبه : محمد بن اسحق ، وعلى موطنه : بغداد . ثم تختلف على السنة التي ألف فيها الكتاب ، وفيه اشارات تدل على أن ابتداء صناعته كان سنة ٣٧٧هـ ، وفي الكتاب إشارات تدل على أن مؤلفه عاش الى العقد الثاني من القرن الخامس الهجري ، مع أن مصادر أخرى قررت أنه مات أواخر القرن الرابع (٣٩٢هـ أو ٣٩٩) .

وكما يحتمل أن النديم عاش عدداً من السنين أوائل القرن الخامس ، فانه يحتمل أن الاشارات التي دلت على ذلك قد زادها النساخ في كتابه بعد وفاته . ولن يغيب عنا هنا وجه المفارقة في رجل قضى الشطر المثمر من عمره ، يوثق التواريخ ويصحح المعلومات ، ثم مات دون أن يقوم أحد بتوثيق ميلاده أو وفاته . وقد تكون لذلك أسباب ذكر بعضها في مصادر قديمة ، تمس مذهبه ، وسواء كان استنتاجنا صحيحاً أو مجرد ظن ، فاننا نتجاوز هذه النقطة الى ما هو أهم . وقد اختلف مؤرخوه حول صفة النديم ، وهل هي لاصقة به أو بأبيه؟ ومن هنا كان شيوع تسميته بابن النديم ، وأغلب الظن أنها صفة له ناتجة عن اشتغاله بالرواية والأدب ، وكذلك الأمر في الوراق ، فهل كان الأب تاجر كتب ونشأ الفتى مهتماً بالثقافة من خلال ذلك ، أو كان هو نفسه وراقاً؟ كلا الاحتمالين جائز ، وليس بمستبعد أن يكون وراقاً ابن وراق ! !

ومهما يكن من أمر الخلاف في الميلاد والوفاة ، فان من المؤكد أن ألف عام قد انقضت على ظهور كتاب الفهرست . ومن الصحيح أنه لم يكن رائد التوثيق الببليوجرافي اذ سبقه الفارابي ، صاحب (إحصاء العلوم) (٣٣٩هـ) والخوارزمي ، صاحب (مفاتيح العلوم) (٣٨٧هـ) ولكن هاتين المحاولتين اقتصرتا على حصر أسماء الكتب والمؤلفين حسب موضوع العلم ، ولم يتطرق أحدهما الى مادة الكتب في ذاتها ، ولا الى حياة هؤلاء المؤلفين ، وبهذا الشمول الذي اتسمت به محاولة النديم يستحق كتابه منزلة فريدة . وتكون وقفتنا هذه معه بمثابة تذكير للأجيال الحديثة من الدارسين والمثقفين ، المشغولين دائماً أو غالباً بالمعاصرة والمستقبل ، وليس في هذا ما يعيب ، بل هو واجب أساسي مقدم على غيره ، ولكن بعضهم يخطىء الطريق فيلغي الاهتمام بالماضي ، وليس هذا من الصواب ، فالحضارة كيان له جذور ، والتقدم ليس نوعاً من التراكم المعرفي الكمي ، انه انتقاء وتنمية لعناصر العافية والقوة المتوارثة في أمة من الأمم ، ولن يتيسر هذا الانتقاء في غيبة الوعي بالتراث بكل نشاطاته المتشعبة .

النديم والمنهج

وكما جرى العرف على تقسيم الكتاب في أيامنا الى أبواب ، تنقسم الى فصول ، فان النديم قسم كتابه الى عشر مقالات ، تنقسم كل منها الى فنون .

وشأن ابن النديم في كل فن أن يذكر أسماء أهل هذا الفن محافظاً على التسلسل الزمني ما أمكنه ذلك ، ثم يرصد عناوين كتبهم ومقالاتهم ، ويتوقف عند المهم من بين هذه الكتب فيعرض فكرته الأساسية ، وقد يربطه الى أشباهه ، أو يرده الى أصله . ونستطيع أن ندرك الشمول ، أو الموسوعية التي تحققت عبر هذه المقالات والفنون ، وسيرى من يعود الى الكتاب ليقف على تفاصيل كل فن ، كيف أن بعض الفنون تكاد تنطوي على أقسام توشك أن تصير بدورها فنوناً . وبصفة عامة فان الكتاب تناول أهم الموضوعات العلمية بالتمهيد الذي قدم به لكل مقالة أو فن ، وبحصر الكتب والمصنفين الذين تناولوا هذا الموضوع ، ومع هذا تبقى لنا ملاحظتان : الأولى أن تسلسل المقالات لم يخضع لترتيب محكم ، واذا كان البدء باللغة والدين له دواعيه في نفس النديم ، وفي حكم العقل فان الكلام عن النحو ليس هو الحلقة التالية بالضرورة ، وبصفة عامة فاننا نجد مناسبة بين المقالة الأولى ، والمقالة السادسة ، ثم الخامسة ، ثم التاسعة ، ومناسبة بين المقالة الثانية ثم الرابعة عن

الشعر والشعراء ، ثم الثالثة عن الرواة . ولعل النديم ألف كتابه في شكل مقالات مستقلة حيث تهيأت له المادة ، ولم يهتم بفكرة التدرج المنطقي ، أو لعل ذلك من عمل النساخ . والملاحظة الثانية أنه اهتم بالعلوم الانسانية أكثر من اهتمامه بالعلوم العملية ، فنصيب الهندسة والرياضة والطب والصناعة أقل اذا ما قيس الى حوار المتكلمين واختلافات النحويين ، وعذر النديم في ذلك واضح ، فهو تابع لنوع النشاط التأليفي ، وهذا هو الغالب على موجة الحضارة العربية الاسلامية ، أو لنقل ان هذا ما كان يشغل المثقفين في عصر النديم وما قبله من عصور . وقد أدى هذا الاتجاه الى قصور في حصر بعض العلوم ، فلا نكاد نجد ذكراً لعلوم النبات ، أو فن الزراعة مثلاً ، أو النظم الاقتصادية ، وهي بالطبع تتجاوز ما ألف عن الخراج ، وكذلك علوم البحار والحيوان ، في حين أنه اهتم بشكل واضح بالأسماء والقصص والخرافات ، وهذا أمر يحمد له لا ريب ، ويدل على نفاذ البصيرة والوعي ، اذ كانت تلك الآداب الشعبية مستهجنة بعيدة عن الجد والاعتبار حتى مشارف القرن الحالي ، ولعل اهتمامه بها تفريع على ممارسته لها النابعة من كونه (نديماً) ، ولكن العلوم العملية التي أشرنا اليها لم تنل شيئاً من الاهتمام ، مع وجودها في غير الجزيرة العربية .

فهرسة وتوثيق

ان الجهد الأكبر في كتاب الفهرست ليس وقفاً على تقصي أسماء الكتب ومؤلفيها ومن ثم تبويبها حسب الموضوع ، انه يتجاوز ذلك الى (التوثيق) ، وهي كلمة سهلة ولكنها قد تقتضي من انسان عمره كاملاً ، وخصوصا في الزمن القديم حيث تتباعد المسافات ، ويواجه نشر الكتاب صعوبات شتى ، ويسهل التزييف والحذف والاضافة ، وتغيب المؤسسات التي تعنى بتسجيل المطبوعات . ولكن الأعمال الكبيرة تتحدى الصعاب وتتجاوز قدرة المرحلة ، وتشهد مادة الفهرست على أن كاتبه اتصل بشكل مباشر بالمصادر التي أخذ عنها ، بالسماع مباشرة من صاحب الشأن ، أو قراءة خطه في مؤلفه الأصلي ، أو تلقي رواية عن ثقة ، أو النقل عن مصدر موثق . سنجد في الكتاب مثل هذه العبارات : قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء تأليفه (ص ١٥)[1] ـ قال لي أماد الموبد (ص ١٥) ـ ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي . . مصحفاً بخط علي (ص ٣٠) ـ قرأت بخط ابن مقلة (ص ٦٠) وعن المبرد قرأت بخط أبي الحسن الخراز (ص ٦٤) ـ قرأت بخط أبي الطيب أخي الشافعي ، قال (ص ٧١) وهكذا يتقلب بين السماع من المصدر الأصيل ، أو النقل عنه ، أو عن من له صلة مباشرة به . وقد نجد عبارات لا تدل على التحديد ، مثل : قرأت في بعض التواريخ القديمة (ص ١٧) ـ عن اليهود : سألت رجلاً من أفاضلهم (ص ٢٥)، والمعلومات الواردة بهذه الطريقة لا تمثل مركز الثقل الحقيقي في الكتاب ، فهي قليلة ، وتنتمي الى أمم بائدة أو قديمة، أما ما يتعلق بالحضارة العربية والفكر الاسلامي ، فكله محدد المصادر موثق النصوص . ولهذا نجده لا يستسلم للرأي الشائع أو المعلن ، وانما يحتكم الى معرفته الخاصة الموثقة ، فلا يتردد في إصدار تصويبات لا تجري مع ما هو معروف

التواصل الثقافي

ومع أهمية توثيق المصادر التي اعتمد عليها النديم والتنسيق بين الموضوعات أو توزيعها على أبواب أو مقالات ، فان هذين الجانبين لا يمثلان الانجاز الوحيد في منهج كتاب الفهرست ، ويستطيع المتأمل أن يجد اضافات أخرى على جانب من الأهمية ، وهي تكاد تكون من الظاهرات التي سبق اليها النديم ، أو أبرزها أكثر من غيره ، منها :

١ ـ الاهتمام بقضية التواصل الثقافي ، أو الاستمرار ، وهو ما ندعوه في زماننا بقضية التأثير والتأثر ، وكيف يتمم الثاني عمل الأول ويفيد من تجربته ، فيقول مثلاً عن المطوق (ص ١٤٣) : له من الكتب كتاب الوزراء ، وصل به كتاب محمد بن داود بن الجراح ، وعمله الى أيام أبي القاسم الكلوذاني . أما ابن الجراح نفسه (ص ١٤٢) صاحب كتاب الورقة في أخبار الشعراء ، فمن كتبه :

كتاب الأربعة على مثال كتاب أبي هفان . وكذلك ابن المراغي (ص ٩٤) وله من الكتب كتاب البهجة ، على مثال كتاب الكامل . أما الآمدي (ص ١٧٢) فقد كان يتعاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب ! !

٢ - وكما يراعي النديم هذا الجانب في مجال الكتب فانه يبدي الاهتمام ذاته على نطاق أعظم ، فيما يتعلق بالتواصل بين الأشخاص ، فالنديم لم ينظر الى المثقف أو العالم في حدود ذاته الفردية ، بل وضعه في إطار من ثقافة العصر المكونة من مجموعة الأطر ، وقد تجاوز الانتماء الثقافي - ان صح التعبير - حدود الوقوف عند المدينة ، كما لاحظنا في البصرة والكوفة مثلاً ، الى أنواع أخرى من الكتل أو الجماعات ، فيشير الى اليزيديين ، وآل وهب ، وآل طاهر ، كأسر أو عائلات تناسلت علمياً وشهر أفراد منها بنشاط معين ، كما يشير الى المدرسة العلمية المتمثلة في أستاذ كبير يتبعه تلاميذ على مدى أجيال ، والأمر يتجاوز أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة الى الرياضيين مثل ثابت بن قرة وتلاميذه (ص ٣٣٢) وجابر بن حيان (ص ٤٢١) والرازي (ص ٤٢٣) ولا يستثني الأطباء والفلاسفة والمنجمين .

٣ - واذا كانت مادة الفهرست تقوم أساساً على حصر وتبويب المؤلفات العربية ، فان الكتاب قد تضمن إشارات مهمة توضح جوانب غامضة في حركة التأليف وتطورها ، لا يتاح ادراكها الا لمن كان على درجة النديم من الالمام بالمصادر والخبرة في معايشة الكتب . فهو يقول مثلاً في معرض حديثه عن كتاب منسوب لعبد المطلب بن هاشم كان في خزانة المأمون (ص ٨) : (وكان الخط يشبه خط النساء) ! ! هذه ملاحظة وذات أهمية في اثبات صحة النسبة أو عدم صحتها ، وتفطن النديم لاختلاف خط الرجال بصفة عامة عن خط النساء ، في عصر لا تشيع فيه كتابات النساء ، مما يدل على ذكاء وتيقظ . وفي أخبار حماد (ص ١٠٤) يذكر أنه عاش الى سنة ست وخمسين ومائة . . . ولم نر لحماد كتاباً ، وانما روى عنه الناس ، وصنفت الكتب بعده ! ! وفي العبارة الأخيرة تحديد للفترة التي ضعف فيها الاعتماد على الرواية الشفهية ويبدأ عصر التدوين . وفي مكان آخر ، وفي معرض الترجمة لمحمد بن حبيب (ص ١١٩) يذكر أن له كتاب القبائل الكبير ، جمعه للفتح بن خاقان (ورأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في طلحى ، نيف وعشرون جزءاً ، وكانت تنقص ، تدل على أنها من نحو أربعين جزءاً ، في كل جزء مائتا ورقة وأكثر ، ولهذه النسخة فهرست لما يحتوي عليه من القبائل والأيام بخط السندي بن علي الوراق في طلحى ، نحو خمس عشرة ورقة بخط نزك) . بهذه الاشارة يمكننا أن نعرف متى - على وجه التقريب - بدأ نظام وضع الفهرس لكتاب ما . والفهرس هنا فني يحصي القبائل والأيام التي ورد ذكرها في الكتاب ، كما نعرف أن هذا الجانب التنظيمي لم يكن في مبتدئه من فعل المؤلفين ، الذين كانوا يسترسلون في الاملاء على سجيتهم واختلاط معارفهم أو تداخلها أكثر من اهتمامهم بتحديد الموضوعات وخطوات عرض كل موضوع ، ولهذا جاءت هذه المحاولة ، ولعل هناك الكثير مثلها ، من فعل الوراقين .

دوافع التأليف

لقد كان النديم واسع المعرفة متنوع الاهتمامات ، وعاش في عصر مزدهر بالعلوم قد بلغ بالحضارة العربية الاسلامية أرقى ما أتيح لها أن تبلغه ، وهو القرن الرابع الهجري ، الذي سماه العلامة أحمد أمين (ظهر الاسلام) . وكما كان رواج تجارة الكتاب ، وكثرة المكتبات العامة في عواصم الأقاليم ، والخاصة في بيوت السراة والعلماء ، من الدوافع الموضوعية التي حبذت - لدى المؤلف - وضع كتاب الفهرست ، فان هناك دوافع ذاتية خاصة جعلته يقدم على المحاولة ، وتذكر بعض المصادر ، كما يتضمن كتابه نفسه أن النديم قد سمع من أهم علماء عصره مثل : الحسن بن سوار بن الخمار ، وأبي الفرج الاصبهاني ، وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط ، وأبي اسحق السيرافي ، واسماعيل الصفار ، ويونس القس . وهؤلاء جميعاً من ذوي المكانة العلمية في زمانهم ، والى الآن ، كما أنه نقل من خطوط آخرين على نفس الدرجة ، وهذا يعني الاتصال المباشر بهم . أو بمكتباتهم الخاصة ، مثل أبي

سعيد وهبة بن ابراهيم ، وأبي الحسن بن الكوفي ، وأبي سهل نوبخت ، وأحمد بن الطيب . كما أنه اطلع على كتب قديمة لم يذكر اسمها ولا أسماء مؤلفيها ، تدل على أنه واسع الاطلاع ، حتى لقد ظن بعض الدارسين أنه رحل الى الصين حتى قرأ ما كتبه عنها في آخر الفهرست (ص ٤١٢ وما بعدها) ولكننا اذا اعتمدنا على هذا الدليل الوحيد فان من حقنا أن نزعم أن النديم رحل الى جميع بلدان العالم القديم ، وهذا ما لم يكن ، وانما هو حب المعرفة وسعة الاطلاع . وغاية ما نريده هنا عن الدافع الذاتي لتأليف الفهرست أن الرجل مع هذه السعة في الخبرة بالكتب وما حوت كان صاحب عقلية تنظيمية ، هي التي صرفته عن التأليف بشكله وطريقته المعهودة ، الى وضع هذا الكتاب الذي أدى في بابه خدمة جليلة غير مسبوقة . وللنديم كتاب آخر أشار اليه ياقوت (معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٧) اسمه كتاب التشبيهات ، ولم نطلع عليه ، ولم ينوه به أحد في أي فن ، مما يعني ـ استنتاجا ـ أن الملكة الابداعية عند النديم ذات نزعة تنظيمية تهتم بالتقسيمات وترتيب المعلومات وعرض الأفكار ، أكثر من قدرتها على التحليل والابتكار .

وهذا الرأي لا يعني التهوين من منزلة النديم ، فقد أدى للثقافة العربية والاسلامية خدمة جليلة لا يستطيعها غير أولي العزم من العلماء . وتنظيم المعلومات وحصر المصادر هو بمثابة (كلمة السر) في حركة التقدم العلمي في الحضارة الحديثة ، وهو ما تتفوق به الثقافة والعلوم في البلاد المتقدمة الآن ، ومع أننا كنا أصحاب الخطوة الأولى على هذا الطريق ، تلك الخطوة الواثقة الفسيحة التي صنعها النديم وحده ، فاننا نعاني في نظام الفهرسة وتجميع المعلومات تخلفاً محزناً في عالمنا العربي لم تستطع أقسام الوثائق والمكتبات في جامعاتنا أن تفعل ازاءه شيئاً ، وأكثر جهد هذه الأقسام أن تخرج موظفي مكتبات يجلسون في انتظار القراء . ولعل (العلم) هو الذي ينقصهم ، ونعني (العلم) الذي يتجاوز المعرفة النظرية ، بأسس تنظيم مكتبة ما على نظام ديوي أو غيره . فهذا العلم الموسوعي هو الذي توفر للنديم ، ودفعه الى وضع كتابه ، ونجد في صفحاته التي تتجاوز الأربعمائة من القطع الكبير ما يؤكد علمه واستقلال رأيه ، وأنه لم يكن جامع عناوين أو منضد قوائم .

وقد أشرنا من قبل الى ملاحظته الذكية حول اختلاف خط الرجال عن خط النساء ، ويذكر في مكان آخر (ص ٨) أن العرب امتنعت عن زيادة اللغة توقيراً للقرآن ، أي أنها اكتفت بالمعجم القرآني ، وتوقفت اختياراً عن توليد الألفاظ .

وتترادف دلائل هذه الخبرة الواسعة ، مثل تعليله لأسباب تطرف ابن الروندي (ص ٣١٦) في نزعته المادية ، فهو يرجع هذا التطرف لأسباب شخصية نفسية اذ جُفي الرجل من أصحابه ، فكان هذا الجفاء سبباً في الميل الى أن يحدث صدمة للآخرين . كما رسم للحلاج صورة نادرة حقاً (ص ٢٤١) نعتقد أن شاعرنا المعاصر صلاح عبد الصبور لم يطلع عليها ، والا فنحن نرى أنها أصلح للمعالجة الدرامية من تلك الصورة التي آثرها ، مقتفيا سبيل اليوت في (جريمة قتل في الكتدرائية) ولم تكن شخصية الحلاج التاريخية تعين عليها . كما أشار الى الآثار السلبية للكبت السياسي وكيف تتولد عنه الحركات السرية ، فيقول عن الشراة (ص ٢٩٥) : هؤلاء القوم كتبهم مستورة ، قل ما وقعت ، لأن العالم تشنأهم ، وتتبعهم بالمكاره ، ولهم مصنفون ومؤلفون في الفقه والكلام . وحين يتعرض النديم للعشق والعشاق فانه يضع ثبتاً بأسماء العشاق في الجاهلية والاسلام وألف في أخبارهم كتب ، وآخر بأسماء العشاق الذين تدخل أحاديثهم في السمر (ص ٣٦٥) وهذه أول محاولة واضحة للتفرقة بين العشق التاريخي ، والعشق الفني ، ونجد كتباً كثيرة ، قبل النديم وبعده ، تخلط بين الشخصيات التاريخية ، والأخرى المخترعة ، حين تورد أخبار العشاق ونوادرهم . واذ يرجع كتاب كليلة ودمنة الى الهند فانه يشير (ص ٣٦٤) الى أنه رأى من الكتاب نسخة تضمنت زيادة بابين ! ! فهل كان هذا القول دافع ما قام به الدكتور عبد الوهاب عزام في دراسته عن كليلة ودمنة ، حين حدد فصلين أضافهما ابن المقفع ؟ !

فيه من كل فن ولون

وأخيراً نشير الى أمر نحب أن ننبه اليه ، وقد يغير الكثير من أفكارنا عن تراثنا العربي ، وهو أننا ـ في العادة ـ نقيس الماضي على الحاضر ، ونفترض ، أو

يفترض بعضنا ، أن لكل كتاب موضوعاً واحداً لا يهتم بغيره ، فيما عدا الكتب الموسوعية المعروفة بدءاً مالبيان والتبيين ، والى صبح الأعشى . وهـذا ليس من الدقة في شيء ، فأكثر المؤلفين القدماء كانوا يتركون خبراتهم المتنوعة تتنفس بكثير من الحرية حتى من خلال الكتاب ذي الموضوع الواحد ، ولو قرأنا هذا الكتاب قراءة متأنية فاننا سنجد فيه ألواناً من المعارف تغني أفكارنا عن موضوعات لم يخطر ببالنا أن نجدها في مثل هذا الكتاب . وعلى سبيل المثال : لو أن القصص والأخبار القديمة قرئت قراءة اجتماعية أو سياسية ، أو اقتصادية ، فانها ستعطي صوراً وأفكاراً عن عصرها وما سبقه من العصور قد تفوق ما نجده في كتابات المؤرخين الذين وقعوا أسرى أسماء الملوك وأعمالهم وتراجم المشاهير وأفضالهم . وفي الفهرست سنجد دلالات حضارية تحتاج الى القراءة التي لا تهدف الى مجرد اكتشاف أسماء الكتب وأسماء المؤلفين . ونذكر بعضاً من هذه الدلالات ، لعلها أن تكون حافزاً لمزيد من الجهد في هذا الاتجاه .

١ ـ فهو يذكر في معرض حديثه عن الكتاب والنساخ أن للمصاحف كُتاباً مخصوصين بها في كل عصر (ص ٩) وبعد أن يذكر أنواع الأقلام التي يستخدمها الكتاب المختصون بكتابة الرسائل ، يقرر أن استخدام نوع معين من الأقلام (وعددها ١٢ نوعاً) تحدده شخصية من توجه اليه الرسالة .

٢ ـ وفي اطار الحضارات والديانات القديمة يذكر لُمعاً دالة ، فحين يذكر أشياء تتصل بعقيدة النصارى ، يقول : (على ما في أيدي النصارى في وقتنا هذا) (ص ١٤) وعن الفرس يشير الى اعتقادهم القديم بشخص جيومرث ، الذي يسمونه (الكل شاه ومعناه ملك الطين ، وهو عندهم آدم أبو البشر) (ص ١٥) وهذا يعني أن الانتماء لآدم فطري مركوز في الطبع الانساني حتى وأن اختلفت التسمية . كما يذكر أن بعض المذاهب المسيحية (ص ٢٦) حاولت أن تبتعد عن أصول الاسلام لتحمي نفسها من محاولات التقارب معه .

٣ ـ وللنديم إشارات دالة فيما يتعلق بالنظام التعليمي وحركة الثقافة ودوافع التأليف ، ونعرف أن نظام المعيدين ، والدرجات العلمية كان معمولاً به عند العرب ، فيقول في ترجمته للزجّاج (ص ٦٦) تلميذ المبرد : (وكان من يريد أن يقرأ على المبرد يعرض عليه أولاً ما يريد أن يقرأه . وفي وصف مجلس الرازي سنجده لا يختلف في شيء عما يجري عليه العمل في الكليات العلمية ، وخصوصا كلية الطب وما يتبعها من مستشفيات جامعية . يقول النديم في وصف مجلس الرازي (ص ٣٥٦) : كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ أخرى ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فاذا كان عندهم علم ، وإلا تعداهم الى غيرهم ، فان أصابوا ، والا تكلم الرازي في ذلك) . فهذا طبق الأصل مما يجري عليه العمل ، اذ يبدأ طبيب الامتياز والا حول المريض الى النائب ، ثم ينتهي الأمر بين يدي الاستاذ في آخر المطاف .

وعن أبي زيد البلخي (ص ١٥٣) يذكر أنه كان يتلقى صلات معلومة دائمة ، أي معونات مالية من بعض القوى السياسية والاتجاهات المذهبية في زمانه ، وأنه ألف كتباً معينة قطعت عنه هذه الصلات . وفي ترجمته للاسكافي (ص ٢١٣) وهو معاصر المعتصم يشير الى ذكائه النادر وفقر أسرته ، فتمسك بتعليمه جعفر بن حرب الهمداني ، ولكي يعوض الأسرة الفقيرة عن مساعدة ولدها أجرى عليهم عشرين درهماً كل شهر بدلاً من كسب الفتى وهذا ما يشبه نظام التفرغ العلمي ، وان كان (الأستاذ) هو الذي يدفع من جيبه الخاص حرصا على نبوغ التلميذ .

٤ ـ وعن أخلاق العلماء ومنزلتهم في شعوبهم يذكر عن ثابت بن قرة (ص ٣٣١) وهو من أشهر الرياضيين والمهندسين العرب أنه كان صيرفياً استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلاد الروم ، لأنه رآه فصيحاً ، وقد تعلم في داره فوجب حقه عليه ، فوصله بالمعتضد ! ! فتأمل حقوق التلميذ على الاستاذ في هذا الاقتباس . ويقول عن المحاملي (ص ٢٨٨) أنه توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة . . . ونودي في شوارع بغداد ! ! فنعرف أن إعلان وفاة المشاهير بالنداء في الشوارع كان معروفاً في بغداد في ذلك العصر .

في الذكرى الألفية لصدور الفهرست ، نحيي هذه المحاولة الرئدة ، وندعو الى تنميتها ، ونرجو أن نكون قد اكتشفنا وجوهاً للافادة تتجاوز الجانب البيليوجرافي الى ما هو أكثر اتساعاً وتنوعاً . □



لهـــا قصـّـة !!

بقلم : شمس الدين باباخانوف*

القرآن كتاب الله المنزل ، وحجته الخالدة ، كان - ولا يزال - موضع تكريم المسلمين وحفاوتهم ، حتى تلك الدول التي لا تدخله في شئون حكمها وادارتها ، فانها لا يسعها مع مواطنيها المسلمين الا أن تخلي بينهم وبينه ، حتى يستطيعوا كما نرى هنا ان يحتفظوا بنسخة نفيسة منه ، ويحيطوها بمشاعر الاعزاز ، ويتشبثوا بتمثلها واستيقائها .

وفي هذا الموضوع نتابع قصة محفوفة بالقداسة والطرافة ، عن النسخة التي يقال انها لسيدنا عثمان - رضي الله عنه - من المصحف الشريف

من المعروف ان هناك ست نسخ من القرآن الكريم الذي جمع في عهد عثمان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين ، وقد أرسلت خمس منها إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة والبصرة والشام ، وبقيت نسخة واحدة من القرآن الكريم لدى الخليفة الذي قتل سنة ٦٥٦ ميلادية وهو يتلو بعضا من آياته فخضب دمه احدى صفحات هذا الكتاب الكريم عند الآية الخامسة « من سورة البقرة » .

ويحفظ اليوم في مدينة طشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية في متحف تاريخ شعوب

* رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان .

الجمهورية ـ مصحف قديم كبير الحجم كتب على الرق ، وكان هذا المصحف يحفظ قديما في مدينة سمرقند في صومعة خاصة به بمدرسة « ديوان بيكي » قرب مسجد « خوجا احرار » ، الشخصية الصوفية البارزة في القرن التاسع الهجري ، الذي خلف بهاء الدين النقشبندي . وتفيد الاحاديث المتداولة بين الناس ان هذا المصحف الذي كان يعرض على الناس في مناسبات مشهودة هو نفس المصحف الذي قتل ـ في اثناء قراءته ـ الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وكان المصحف ملكا لاحفاد « خوجا احرار » حتى حلول سنة ١٨٦٩ .

ثم في منتصف سنة ١٨٦٩ اثار هذا الكتاب الكريم اهتمام موظفي روسيا القيصرية المحليين ، واتفق الجنرال ابراموف محافظ اقليم وادي زيرافشان مع شيوخ مسجد « خوجا احرار » على أن يأخذ منهم المصحف ليرسله الى طشقند . وبعد ذلك أرسل المصحف يوم ٢٧ تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٨٦٩ الى بطرسبورغ .

محطات ومراحل

وفي بطرسبورغ حفظت نسخة عثمان من المصحف الشريف في قسم المخطوطات القديمة بالمكتبة الامبراطورية ، وكان أبرز العلماء المستشرقين هناك يشتغلون بدراستها ووصفها العلمي .

وفي سنة ١٩٠٥ أنجزت نسخة طبق الاصل من المصحف الشريف بجهود بعض المستشرقين ، وتم فيما بعد اصدار ٥٠ نسخة عنها ، واشترت مكتبات العالم الكبرى العديد من هذه النسخ ، وبقي عدد منها داخل ربوع الاتحاد السوفياتي ، مع العلم بأن نسختين منها تحفظان حاليا في مكتبة الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان .

وكان المسلمون يأملون ان تعود اليهم عاجلا أو آجلا ـ نسخة الخليفة عثمان من المصحف الشريف ، لأنها ستعود ملكا للشعب بأسره . بيد ان هذا لم يحدث الا بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا ، ففي يوم ٩ كانون الاول/ ديسمبر سنة ١٩١٧ اي فور انتصار ثورة اكتوبر مباشرة كتب « فلاديمير لينين » مؤسس الدولة السوفياتية الى «لوناتشارسكي » مفوض الشعب لشؤون التنوير (وزير المعارف) ما يلي :

« ورد إلى مجلس مفوضي الشعب كتابٌ من مؤتمر المسلمين الاقليمي لدائرة « بيتروغراد » القومية يطلب فيه المؤتمر بغية تلبية اماني جميع مسلمي روسيا ـ إعادة نسخة عثمان من المصحف الشريف الذي يُحفظ الآن في المكتبة الحكومية العامة الى المسلمين ليكون ملكا لهم » .

وقرر مجلس مفوضي الشعب فورا تسليم هذه النسخة من المصحف الشريف الى مؤتمر المسلمين . وكلف لينين لوناتشارسكي باسم مجلس مفوضي الشعب باجراء كل ما يلزم . وهكذا عاد المصحف الشريف الى أصحابه المسلمين .

وقد كتب « موسى جار الله » في صحيفة « المنير » التي كانت تصدر في لينينغراد مايأتي : إن المصحف الشريف الذي سُلب في ظل تغاضي بعض الشيوخ والمفتين من مسجد خوجا احرار ، عاد اخيرا الى المسلمين ، واذا بقي في سمرقند فقد يسرقه الزوار والسياح جزءا جزءا » .

ونقل هذا المصحف الشريف في البداية من بيتروغراد الى « أوفا » حيث كانت حينذاك الادارة الدينية لمسلمي سيبيريا والشطر الاوروبي من الاتحاد السوفياتي هي ادارة المسلمين الوحيدة في تلك الازمنة ، وبقي المصحف هناك حتى سنة ١٩٢٣ التي تقدم فيها مسلمو تركستان بطلب نقله من « أوفا » الى طشقند أو سمرقند .

وقبل ذلك الحين كانت قد أسست الجمعية الاسلامية لمسلمي منطقة طشقند وسيرداريا واقترحت الجمعية اعادة المصحف الى مكان وجوده الاصلي .

فرح وبهجة الاعادة

هذا في سنة ١٩٢٤ اوفدت الجمعية الاسلامية في مدينة طشقند الى « اوفا » وفدا برئاسة ظهير الدين العلوم ، الذي كان وقتئذ مفتي تركستان ، لنقل هذا المصحف ، فنقل في عربة قطار خاصة الى طشقند ، وقام بمرافقة المصحف في طريقه شخصيات دينية بارزة من تاتاريا وبشكيريا امثال المفتي فخر الدين والشيخ عبد الله سليمان والشيخ عبد الرحمن وكثيرون غيرهم.



● نسخة المصحف التي يعتقد انها تعود للخليفة عثمان رضي الله عنه في المكتبة الرئيسية للادارة الدينية في مدينة طشقند في كازاخستان

وقام الوف المسلمين بتحية القطار الذى يُقِلُّ المصحف الشريف في طريق سيره وتحية العلماء المرافقين ، وكان فرح اهالى طشقند كبيرا جدا وتوافدوا مرارا وتكرارا ليروا الكتاب الكريم وقد ملأهم السرور بعودته اليهم .

هذا هو موجز قصة اعادة المصحف من بيتروغراد الى تركستان .

واليكم الآن بعضاً مما يفصل كيفية وصول هذا المصحف الشريف الى سمرقند ، وفي أي وقت ومن ، أين ، والى اى ترجع أسباب ذلك ؟

معروف انه بعد مرور نصف قرن فقط على نزول القرآن الكريم - كتاب المسلمين الأول - بلغ هذا الدين الحنيف ربوع تركستان ، وتركز في المدن الكبرى مثل بخارى وسمرقند علماء الدين والفقهاء والمحدثون والمفسرون الكبار .

وليس لدينا معلومات اكيدة عن كيفية وصول نسخة عثمان من المصحف الشريف الى سمرقند ، ولذا نستند في حججنا الى ماهو متداول على السنة الناس والتقاليد وبعض المصادر التاريخية ، والحجج الواردة فيها مختلفة جدا بالطبع ومع ذلك فانها تحوى شيئا من الحقيقة .

معروف انه في نهاية القرن السابع الهجرى قامت علاقات طيبة بين خانات « القبيلة الذهبية » وبين الملك الظاهر بيبرس المنحدر من آسيا الوسطى ، وهناك حكاية تفيد ان بركة خان الذى صار المسلم الاول بين احفاد جنكيز خان كان يسعى دائما الى اقامة علاقات جيدة مع ملوك مصر ، ولجأ الطرفان - وعلى نطاق واسع - الى التراسل وتبادل السفراء والهدايا . واقام هذان الملكان المسلمان العلاقات بغرض إضعاف قدرة دولة هولاكو الوثنية في ايران ، ووصلت ذات مرة الهدايا المصرية الى « القبيلة الذهبية » وكان بينها - كما يفيد النويرى - احدى نسخ عثمان من المصحف الشريف ، وفيما يتعلق بخبر النويرى هذا يشير الشيخ محمد مراد بن عبد الله الرمزة البلغارى وهو مؤلف كتاب « تلفيق الاخبار في تاريخ قازان والبلغار » الى ان الكتاب الكريم الذى اشتهر باسم

نسخة عثمان والذى نقل من سمرقند الى بطرسبورغ وحفظ في المكتبة الامبراطورية ، يمكن ـولا يستبعد ـ ان يكون ذلك المصحف هو نفسه الذى نقله تيمورلنك الى مدينة سمرقند بعد انتصاره على قوات توكتاميش خان وغزو مدينة ساراى عام ١٣٩٧ ، وهذا الافتراض يُعتقد أنه الأنسب ولا داعي لدحضه اذ ان داحضيه يفتقرون الى إثبات المخالفة .

اجتهادات ابن بطوطة

هذا ـ وان اسماعيل مخدوم النائب السابق لرئيس الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان يورد في كتابه « تاريخ نسخة عثمان من المصحف الشريف في طشقند » آراء اخرى ايضا فيها يتعلق بطريقة وصول هذه النسخة الى سمرقند ، ويستند أحد هذه الآراء الى معلومات ابن بطوطة التى ترد في مؤلفه « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » حيث يقول : « في أثناء اقامتى في سورية رأيت في المسجد الاموى بدمشق مصحفا مخطوطا بحروف كوفية ، ورأيت مصحفا مماثلا في مسجد على بن ابى طالب (عليه السلام) بمدينة الكوفة ، اما المصحف الذى رأيته في دمشق فقد احترق اثناء الحصار الذى فرضه تيمورلنك على هذه المدينة بينما نقل تيمورلنك المصحف الذى كان في البصرة الى سمرقند » .

وهذه الفكرة يميل اليها ايضا شيبونين الكاتب المستشرق الروسى الذى يشير في كتابه « المصحف الكوفي » قائلا : « لقد زار ابن بطوطة مدينة البصرة قبل غزو تيمورلنك لسورية ، وبالتالى فان معلومات ابن بطوطة مقبولة تماما لا يمكن ان تبقى تحفة كنسخة عثمان من المصحف الشريف خارج اهتمام تيمورلنك باعتباره قائدا مغرورا كثيرا » .

وهكذا ، فان المعلومات الآنفة الذكر تعطى اساسا للاعتقاد ان نسخة طشقند هي من نسخ المصحف الشريف التى استنسخها الخليفة عثمان رضي الله عنه ، ومن ثم وبغية المزيد من الوضوح ينبغي التذكير ان نسخ عثمان التى ارسلت الى الأمصار يومئذ لا تزال حية حتى ايامنا هذه ، وبينها نسخة طشقند وهى مخطوطة بنفس الخط ، وهذا الخط بعيد تماما عن تلك التحديثات والتعديلات التى شهدتها الكتابة الخطية العربية في عصر الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الاموى اى في سنوات ٨٦ ـ ٩٦ الهجرية حينما ظهرت القراءات المختلفة بسبب تكاثر أتباع الاسلام من غير العرب ، ويعتبر ذلك حجة مهمة اخرى تؤيد فكرتنا ، وهى ان نسخة طشقند يمكن اعتبارها احدى نسخ المصحف الشريف الست التى استنسخها الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

مفخرة للمسلمين

هذا ـ وان المصحف الذى يحفظ في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان حتى لو يكن احدى النسخ الست التى نسخت في عهد الخليفة عثمان بن عفان المرسلة الى مختلف الأمصار الا أنه مفخرة مسلمى اوزبكستان بل جميع مسلمى الاتحاد السوفياتى والعالم طرا ، وهو يستحق اهتماما واحتراما بالغين . وسيجد العلماء والاختصاصيون أن الحاجة ماسة الى دراسة المصحف دراسة دقيقة بغية تقديمه بكامل مهابته وقدسيته .

ويحفظ هذا المصحف الآن ، كما سبق أن ذكرنا في متحف تتوافر فيه كل الظروف لحمايته من تأثيرات الزمن المهلكة . اما نسخته التى صنعت طبق الاصل فيستخدمها كثيرا قراء مكتبة الادارة الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاخستان . وتقع الى جانب اقدم نسخة من المصحف الشريف التى تجاوز عمرها ١٢٦٠ سنة ، نسخ أخرى من هذا الكتاب المقدس بما في ذلك نسخة من المصحف الشريف الذى صدر في الاتحاد السوفياتى عام ١٩٨٤ . واشير بالمناسبة الى ان الادارة الدينية خلال الثلاثين سنة الاخيرة اصدرت المصحف الشريف سبع مرات وفاءً منها بحاجة المسلمين الى هذا الكتاب ، وفضلا عن ذلك تصدر إدارتنا كتبا دينية مثل كتاب الحديث « صحيح البخارى » و « الأدب المفرد » و « الشمائل النبوية » بأقوال النبى محمد (ﷺ) وكتبا مدرسية من اجل مؤسسات التعليم الدينية والتقاويم القمرية ومجلة « المسلمون في الشرق السوفياتى » وغير ذلك من المطبوعات الدينية . □



تأليف : ايزانغا اوخايتو
ترجمة : شوكت يوسف*

في العشية كان الجو مكفهرا وكل شيء يعد بالمطر . لكن أطل الصباح وبقيت السماء متلبدة بالغيوم دونما مطر . وكالعادة بقيت الريح تصفر فتهتز مع هبوبها دعامات الجسر .

تحت الجسر بالقرب من مستودعات الفحم في طرف اينوجو* نام جمع من الناس . كانوا مستلقين على الألواح الخشبية التي قذفتها ساقية الماء التي تفيض في موسم الامطار وتجف في بقية ايام السنة ، حمل التيار القذر الكريه الرائحة معه ، من فضلات اطعمة ، وعلب فارغة وأقذار شتى .

كان الناس مستلقين صفوفا الواحد قرب الاخر دونما حراك ، وغير متميزين في العتمة . سمعت قرقرة أحدهم ـ ذاك المضطجع على طرف الجماعة . أحس بالبرد قبيل حلول الفجر فاخرج يده من تحت كومة الاغطية البالية المختلفة الأشكال ، واقتلع بضع قبضات من العشب وألقاها فوق الاغطية لعله يستشعر بعض الدفء .

انبلج الصبح . انسحبت الغيوم الى الغرب كأنما تخشى اللقاء مع الشمس الساطعة .

فجأة لاح في الفراغ بين الجسر والارض
أسود ، ثم سقط على المسكين الباحث عن
صرخ برعب وقفز واقفا على رجليه .

ـ ماهذا ؟



عشرات النائمين من رجال ونساء وأطفال فتحوا أعينهم بصعوبة وحملقوا بدهشة بالرجل الخائف حتى الموت. ألقى نظرة متفحصة على كل ماحوله باحثا عن الشيء الذي سقط وقطع عليه نومه - حالة النعيم تلك التي شكلت احدى المتع غير الكثيرة الباقية له.
ها.. ها.. قوقعة حلزون كبيرة.. اختطفها فورا والقى بها بكل قوته. ارتطمت بدعامة الجسر الخشبية فتكسرت وسمع انين الرخوية التي كانت بداخلها.
- آدي، - سمع همس صوت نسائي. - تخرق القانون من جديد!!
- أعرف يامارتا، - تمتم الرجل وهو يمسح عن وجهه المادة المخاطية اللزجة.
- سيترتب علينا دفع غرامة..
- اخشى ان يكون ذلك.
- ومن اين لنا النقود؟
- لا ادري.
- يجب أن نتدبر الأمر.
كانت لدى الساكنين تحت الجسر أعراف خاصة، وقواعد صارمة. منها أن على من يوقظ الجماعة قبل حلول النهار دفع خمسين كوبو * كغرامة. ولاتقبل بهذا الخصوص أعذار أيا كانت.
- لااتناول طعام الغذاء ليومين... وبذلك سيبقى معي ما أدفعه. - قال آدي باكتئاب. أمس لم أتناول طعام الغذاء ايضا. بهذا لن تسعفك رجلاك في السير طويلا. من الأفضل توفير ثمن الفطور.
- ثمن الفطور لايزيد عن ثلاثة كوبو... لابأس سآكل البرتقالات التي التقطتها قرب المقبرة. طبعا اذا لم يكن قد نبشها أحد ما.
- شي - شي - اسكت! همست مارتا بخوف، على انهما كانا يتكلمان بلغتهما الخاصة. اعتبر اتهام اعضاء الجماعة بالسرقة جريمة ايضا توجب العقاب.
- لايجب ان تكوني جبانة هكذا - قال آدي.
- ماعدت استطيع التحمل أكثر! يجب اسقاط هذا الشاويش انظري كم بطانية عنده، ويبقى علينا أن نقتسم معه كل مانحصل عليه. وبأي شيء هو أفضل مني؟
- يجب أن تكون لدى شاويش الجماعة يد قوية. أما أنت فبسيط وضعيف - قاطعته مارتا.
- ويمكن أن يحكم الانسان باللين، بدون قسوة. -
- مهلا. سنتحدث حول هذا فيما بعد، اما الآن فآن أوان العمل.
كانت الشمس قد ارتفعت في السماء وغدت واضحة وضوح هذا التجمع البشري المتنافر تحت الجسر. سمعت همهمات وشكوى الأطفال الجائعين الذين يرق امام نظراتهم المتوسلة حتى قلب الحجر. كانت شعورهم الشعثاء المنفوشة المتدلية فوق وجوههم كالعشب الطفيلي النامي في حقل الجافر، بينما يحكون بأيديهم الرقيقة بطونهم المحمرة من لسعات الناموس.
تلفت الجيران بلوم الى آدي. عرف الجميع انه ليس لديه مايدفعه، بيد ان القانون السائد في هذا الوسط هو - «البقاء للأقوى».
طوى آدي بعناية الخرق والأغطيه المهترئة وربطها بحبل. وجمعت مارتا كذلك اشياءها الاخرى. ففي كل دقيقة يمكن توقع هجوم البوليس. وتعطى تعليمات واوامر الحكومة حول مطاردة مثل هذه التجمعات بغيرة وحماسة. وفي مثل هذه الحالة غالبا مايلقى كل هذا المتاع الرخيص في الماء.
- آدي! مرة ثانية تخرق القانون، - سمع صوت الشاويش. ادفع غرامة.
- سقط على وجهي حلزون كبير... كان أملس باردا.. خلته أفعى..
- وصرخت بأعلى صوتك! - قاطعه الشاويش. - لابأس أمهلك ثلاثة أيام. واذا لم تدفع الغرامة حتى نهاية هذه المدة امامك الجهات الاربع. أوكي؟
- أوكي.. ردد آدي الكلمة بتذمر واضح.
كان الشاويش قويا كالثور. ويكفي القاء نظرة على عقد عضلاته القوية حتى يدرك المرء أن رفض قرار هذا الرجل معادل للانتحار.
تذكر آدي ما حدث ذات مرة حين سقطت أفعى على الشاويش. وياالهي كيف عمت الفوضى المكان، لكن لم يتجرأ أحد على اتهامه بخرق القانون.
- الى متى يمكن ان يطول ذلك؟ - دمدم آدي بلغته الأصلية.
- لاتحزن. لست مذنبا. - قالت زوجته مواسية

---

* كوبو - عملة معدنية صغيرة متداولة في نيجيريا.

ـ لكن لايريد أن يفهم . فمن اين لي ان اعرف ان هذا حلزون ؟
ـ آدي ، يجب ان تأكل سأذهب اليوم الى محطة القطار ، أما أنت فاذهب الى المدرسة في آغوي . لابد أن تصيب شيئا ما هناك .
ـ حسن . . . سأجرب حظي . أعجبته رجولة مارتا . بالنسبة لها لاتوجد معضلة بلاحل ـ تعرف مقدما مايجب فعله . التقيا منذ عدة سنوات مضت ، ومنذ ذلك الحين يعيشان معا . وجد آدي في مارتا الانسان الذي يستحق حبه ، فاعتنى بها وعمل من أجل أن تبقى شبعى دوما . كانت دقائق عشرتها نادرة . ربطت بينهما الصداقة أكثر من العلاقة الزوجية .

قطع صوت مارتا تأملاته :
ـ من جديد تستغرق في التفكير يا آدي . من الأفضل لو تأكل البرتقال . تهدىء الجوع على الاقل .

نقز آدي لدى سماعه كلمة « جوع » . تبخرت كل الافكار الاخرى كما الضباب تحت أشعة الشمس الحارقة . قرقرت أمعاؤه وأحس بحرقة شديدة في بطنه .
ـ لماذا لاتأكل ياآدي ؟ ـ سألته مارتا بقلق . ضعفت تماما وشحب وجهك .

التقط آدي الثمرات المهترئة وراح ينزع عنها قشرتها بلهفة . انغرزت أظافره القذرة الطويلة في قشرتها الرقيقة فتحولت تحت ضغط يده الى قطعه لاشكل لها ، يسيل ماؤها بين يديه . راح آدي يلمس العصير الاصفر الذي سال على رسغه وحتى الكوع ، ثم دفع البرتقالة في فمه .
ـ مارتا ، ـ قال وهو يمضغ فصوص البرتقال بعد تنظيفها . ـ انتبهي في المرة القادمة لاتنتشي كل ما تقع عليه يدك . اختاري الأفضل .
كانت البرتقالات الساقطة إما مهترئة او ناشفة مع قشرة داكنة متشققة .
ـ آه لو تمكنت من الصعود الى الشجرة لقطفت أفضل البرتقال . لكن حراس المقابر لايسمحون بالقفز خلف السور والدخول الى المقبرة . وماذا ـ يحرسون هناك ؟ قل لي ماذا يمكن أن يسرق الانسان من المقبرة ؟ عظام بالية ؟ شردت للحظة وبدت على وجهها مسحة من الحزن ثم تابعت : ـ اذكر انهم سجنوا ذات مرة عجوزا لانه . . .
ـ حسن . حدثيني عن ذلك فيما بعد . دعينا الآن نذهب والا تأخرنا .

نهضت مارتا وبدأت ترتدي بلوزتها القديمة الحائلة اللون . دخلت اصابع يدها في ثقب بجانب الياقة . حاولت اخراجها لكن النسيج كان مهترئا فانمزقت نهائيا . تأوهت المرأة بعمق .
ـ يجب شراء ابرة . اذهبي الى مشغل الخياطة وفتشي عن خيط ـ قال آدي .
ـ عندما ذهبت الى هناك في المرة الماضية هجموا علي بالقضبان ـ نظرت مارتا بشكل عفوي الى الجرح الملتئم تحت ركبتها . ـ صرخ في وجهي احد الصبيان وقال ان رائحتي كريهة .
ـ لكن لايمكن بدون خيط .
ـ طبعا . . . .
ـ هل اغتسلت البارحة ؟ سألها آدي
ـ اي غسيل ، وفي هذه المرة لحق بي الشاويش
ـ مرة ثانية ، وخالط صوت آدي غضب واستياء .
ـ سمعت خلفي وقع خطوات . لم أكد التفت حتى مسكني من . . . اندفعت بكل قوتي ، فسقط ارضا وارتطم رأسه بالحجر اما أنا فهربت . .
ـ اذن هكذا . . . يريد الانتقام مني على مايبدو . .
ـ وهل تعتقد ان الحلزون سقط بنفسه عليك ؟
ـ آ . . آ . . الامر واضح اذن . . كيف لم احزر بنفسي .
ـ انتبه اكثر ، أمثاله قد يفعلون مالا يخطر على بال .
ـ اليس من الأفضل لو ننتقل الى مكان آخر ؟
ـ الى أين ؟ الى جسر اوفاني ؟ سمعت ان شاويشهم اسوأ .
ـ الى أغوي ؟ يطارد البوليس جماعتنا هناك على الدوام . ام انك تريد مغادرة المدينة بوجه عام ؟
ـ ولم لا ؟ قضينا فترة طويلة هنا .
ـ مارأيك ان نذهب باتجاه آبو ـ اقترحت مارتا
ـ الى آبو أو أفيري او انيتشو لافرق عندي . فكري جيدا في الامر وفي المساء نقرر . لنذهب الآن . اصبحت الشمس حارقة .

لبس آدي بعجلة بنطاله المرقع الملطخ بالبقع المختلفة وارتدى سترة حائلة اللون بأكمام قصيرة كأنما خيطت لمن لاذراعين له . كانت الأزرار مقطوعة

والصروات مخطوطة حتى صارت بحجم الجيب تقريبا ، والجيوب ممزقة . انحنى ليرفع عصاه من الأرض وفجأة وضع يده على بطنه وتأوه .
ـ مارتا ـ ويصعوبة شد قامته لينهض . ـ حاولي أن تحصلي على صابون . يجب أن نغتسل .
ـ حسنا ، سأحاول . ـ اجابته بينما كانت خارجة .
احد ما صرخ له من الخلف . التفت آدي . لحق به كائن غريب الشكل : كتفان عريضان ـ كتفا رجل ، اما الثياب فنسائية .
ـ آ . هـذا أنت يا أغبادا . ـ عرف آدي فيه رفيقا قديما . ـ الى أين ؟
ـ الى المحطة . ـ اجاب أغبادا مسرعا في الخطا . ـ ينتظرون هناك اليوم ضيفا هاما .
ـ هناك لن تكسب الكثير . ذهبت اليها منذ حوالي شهر . جلست على الرصيف طوال النهار لكن لم يلتفت إلي احد أبدا .
ضحك اغبادا :
ـ اما انا فأستلقي في العادة على ظهري وأخمص بطني . اضع بالقرب مني صحنا فيلقون لي فيه طعاما واحيانا بعض النقود . الاطفال دوما يعطون شيئا ما .
ـ الاطفال عموما أطيب من الكبار ، ـ وافقه آدي . ـ ولذا قررت اليوم الذهاب الى المدرسة . في الماضي كنت أوفق هناك . لكن بعض الأطفال مزعجون . . يضايقوننا ويسخرون منا .
ـ منذ أن صرت اطلب الصدقة لم يمر يوم دون ان أكسب شيئا .
ـ حقا ؟ اما انا فتمر اسابيع كاملة احيانا لااحصل فيها على قرش واحد .
قطب اغبادا حاجبيه مستغربا ثم قال :
ـ عدا ذلك أفكر الآن ان احشو حدبتي اكثر واعرج اكثر ايضا ، فليس من السهل اثارة شفقة الناس .
توقف اغبادا للحظة ثم اضاف :
ـ آه ، تعبت ومللت ، . . هات تتحدث حول شيء آخر . هل هذه المرأة تعيش عندنا تحت الجسر من جديد ؟
ـ تلك ذات المؤخرة السمينة ؟
ـ نعم بنفسها ـ اجاب اغبادا مبتسما وفرحا بعض الشيء .
ـ مابها ؟
ـ آدي ، أنت كالطفل تماما . الم تر أن بطنها يكبر ويكبر .
ـ يمكن انها تأكل كثيرا . . الناس حظوظ ياأخي .
ـ وماذا تأكل برأيك ؟
ـ ماهذا السؤال ؟ تأكل طعاما بالطبع . ـ اجاب آدي بعفوية وبساطة .
ـ طعاما ، . . الم تر كيف كانت تبكي من الجوع ؟ لقد رأيت أنا ذلك واقتسمت معها زادي
ـ انت ؟ اعاد آدي السؤال غير مصدق الكلام .
ـ وماذا في الامر ؟ هل يجب ان تموت من الجوع برأيك ؟ أجاب أغبادابصوت عال وبنرفزة .
ـ طبعا لا ، من قال ذلك ؟
ـ لا ، قل لي ماالامر غير الطبيعي في حديثي ؟
ـ سامحني بحق الله . لم أقصد شيئا .
انقطع الحديث لفترة غير قصيرة . شق على اغبادا ، على مايبدو ، هذا الصمت الطويل فانحنى على رفيقه ملقيا نظرة على هيئته .
ـ أنت معنا عن طريق المصادفة فقط واضح انك لاتصلح لمثل هذه الحياة . . . قال اغبادا بلهجة مشفقة .
ـ ماذا تعني ؟ سأل آدي باستغراب
ـ انت غريب عن هذه المهنة . لست متأقلما مع العمل .
ـ كلنا مخلوقون من أجل حياة أخرى ، ـ قال آدي مقاطعا . طبعا لم اصبح شحاذا باختياري كان عندي بيت فأخذه الفيضان . فيما بعد اصيبت يداي بما يشبه الشلل ـ لم اعد اقوى على العمل في الحقل . ومن الصعب علي الآن رفع الفأس .
ـ ولم يساعدك أحد ؟
ـ من سيساعد ؟ اعتقلوني ثلاث مرات بسبب التسول واتهموني بمحاولة الاعتداء على الملكية الخاصة .
ـ الامر مختلف بالنسبة لي ـ فأنا منذ الطفولة لاأحب العمل . قال اغبادا .
ـ بدأت بالحديث حول تلك المرأة ولم تكمل . مابها ؟
ـ قال آدي مقاطعا .
ـ حامل
ـ ماذا ؟ هي نفسها ليس لديها ماتأكله . فكيف ستقدر على إطعام طفل ؟
ـ الافضل ان تسأل من والده ؟

ـ من والدة ؟
ـ شاويشنا
ـ انت متأكد ؟
ـ تماما
ـ عجبا . . . كيف ذلك ؟ ! . . . .
ـ اسمع آدي ، لماذا ليس عندك اطفال ؟
ـ مارتا لاتلد .
ـ مابها ؟ مريضة ؟
ـ كلا ، لايبدو انها مريضة
ـ اذن قد تكون انت السبب ؟

كز آدي على اسنانه وصوب نظرة غاضبة الى زميله . آلمه أغبادا دونما قصد منه . ومن جديد ساد صمت محرج .

ـ الى اللقاء مساء ـ واتجه اغبادا الى محطة القطار .

ومشى آدي كذلك باتجاه المدرسة سار ببطء شديد . شعر بوهن في رجليه وبدوار في رأسه وغطى العرق جبهته المتغضنة .

تعثر وكاد يسقط . وجد امامه على الجسر بضع قطع من الموز ، التقطها رغم مظهرها غير المغري . كانت قشورا التهم الدود والذباب مابداخلها سوى قرن واحد سليم بلعه آدي على الفور . هدأ جوعه قليلا .

ـ ابتعد عن الطريق ، ـ صرخ به راكب دراجة هوائية ، قفز آدي مرعوبا الى جانب آخر فكاد يسقط تحت عجلات السيارة التي صرّت كوابحها فجأة وتوقفت . نظر السائق من النافذة الجانبية الى آدي بعينين تقدحان شرراً ، سحب بيده الغليظة السيجار من فمه وصرخ :

ـ أي شيطان أتى بك الى هنا ، الاتنظر امامك ؟

ارتد آدي بشكل عفوي مبتعدا عن السيارة فاصطدم بأحد المارة . دفعه ذلك بعنف « سامحني ياسيد » ـ تمتم آدي وكاد يصطدم مرة ثانية بالسيارة .

ـ أي سماح ؟ ابتعد من هنا قبل أن اكسر عظامك أو تحدث مصيبة ـ زجر السائق بأعلى صوته .

ـ دعه وشأنه ، ـ قال الشخص الثاني الجالس قرب السائق ـ مسكين لايستحق أن تبصق عليه ، واذا مادهست أمثاله تتدخل الشرطة وتتذكر فوراً انه مواطن مثل الناس .

ابتعدت السيارة . مسح آدي العرق عن جبهته . شعر بحرقة مؤلمة عند فوهة معدته وان رجليه لاتقويان على حمله .

بدا بناء المدرسة امام سورها الخارجي ، وقرب المدخل نمت شجرة مانجا متهدلة الأغصان . أحب آدي هذا المكان منذ زمن بعيد . جلس وتنهد بعمق .

ـ مرحبا ياشحاذ ـ صاح أحد التلاميذ وقفز أمامه .

ـ هل لديك ماتحسن به علي . . . قطعة نقود ـ ومد آدي يده .

ـ لاأعرف بعد . وعدا الصبي في الاتجاه الآخر .

اخذ آدي نفسا عميقا . مع ذلك قد اتمكن اليوم من الافطار . اسند ظهره على الشجرة ومد رجليه . . احسّ فجأة بما يشبه وخزة الابرة في ساقه . نملة . . هي ، من جهتها ، محقة . . تحتج ضد اعتداء الانسان على ممتلكاتها . سقطت ورقة صفراء ولامست خده . هبت نسمة هواء قوية وأثارت غمامة من الغبار .

آلمه بطنه ، ضعف قلبه وبالكاد سمع خفقاته . لماذا لم يخرج التلاميذ حتى الان ؟ هل تغير برنامج الدروس ؟ رأى آدي بشكل غائم ، كأنما في المنام ، رتيلاء تزحف نحوه . آلاف الاوراق الصفراء واليابسة تتطاير باتجاهه مع هبوب نسمات الهواء

« يجب تأديب هذا السافل » ـ فكر آدي في نفسه .

سافل فعلا . تذكر ماحدث له أمس في الليل . كيف يمكن حماية مارتا من تطاول هذا الشاويش السافل ؟ لابد من اتخاذ اجراء ما و إلا . .

اندفع من باب المدرسة حشد من الصبيان .

ـ انظر ، الشحاذ نائم ـ قال احد التلاميذ الصغار

ـ ارمه بحصاة يمكن أن يستيقظ . ـ قال آخر

ـ لا ، لايجوز . الأفضل ان ترمي له قطعة خبز . ألم يبق لديك شيء من رغيف البارحة ؟

ـ قفوا ، ـ تدخل تلميذ ثالث ، ـ انظروا الى هذه الرتيلاء التي تزحف على وجهه .

ـ هل سيأكلها ؟

ـ اسكت ، غبي ، . . . انظر كيف تختلج يداه . . ياأولاد . . انه فاقد الوعي .

ـ قد يكون أغمي عليه من شدة الجوع . . .

سمع صوت المعلمة .

ـ تعالوا الى هنا ، اسرعوا ، حان وقت الدرس ، ثم ماهذا ؟ إياكم والاقتراب من أمثال هؤلاء المتوحشين .

وقادتهم المعلمة الى الصف .

□

عروبة المغرب العربي

بقلم : الدكتور صالح الخرفي*

عروبة المغرب العربي عروبة أصيلة خالدة ، لأن الاسلام كان ، ولم يزل ، المدخل التاريخي لها . أصّلها بقوة الروح ، وخلّدها بصلابة العقيدة ، ظلل أرضيتها بالدستور السماوي ، وربط مقومها الأساسي بلسان عربي مبين . .

اذا أردت أن تدخل البيوت المغربية من أبوابها ، فادخلها من الاسلام وبالاسلام ، فستكشف لك العروبة في أصفى منابعها عراقة ، وأروع مواقفها بطولة ، وأسمى غاياتها انسانية .

ولولا الاسلام ، لما بقيت للعروبة بقية في هذه الربوع التي ظلت على مرّ العصور هدفا للحملات الصليبية المتعاقبة ، وحسبك مائة وثلاثون عاما ، استيطانا مسعورا ، وتغريبا مسموما ، وفرنسة حاقدة .

وكما أدرك المواطن بأصالته ، أن المدخل الطبيعي لعروبته هو الاسلام ، أدرك المحتل الغاصب بدهائه ومكره ، ومع طلائعه الأولى على شواطىء شمال افريقيا ، بأن محاربة الاسلام هي المخرج الحتمي للمواطن من حضارته العربية الاسلامية الى الحضارة اللاتينية الرومانية الغازية .

قال (الكاردينال لافيجري) رائد الحملة الصليبية في ظل الغزوة الفرنسية لهذه الربوع :

« علينا أن نخلص هذا الشعب ، ونحرره من قرآنه ، وعلينا أن نعنى على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادىء غير التي شب عليها أجدادهم ، فان واجب فرنسا تعليمهم الانجيل ، أو طردهم الى أقاصي الصحراء ، بعيدين عن العالم المتحضر »

بين لافيجري وابن باديس

وبعد مرور مائة سنة ، أو تزيد ، على هذا القول المسعور ، لـ (لافيجري) ، مائة سنة من النار والحديد لوضع هذه المقولة موضع التنفيذ القهري على رقاب الناس وعقولهم جاء رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي رفعت الاسلام والعروبة دستورا لها ، الامام عبدالحميد بن باديس ، ليقول سنة ١٩٣٦ :

« ان هذه الأمة الجزائرية ، ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها ، وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين . هو الوطن الجزائري » . .

---

* مدير ادارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، كاتب وناقد من القطر الجزائري .



عبد الحميد بن باديس رائد من رواد الكفاح والتعريب في المغرب العربي

ودخول العروبة الى هذه الربوع في ظل الاسلام ، هو الذي ضمن لها المقومات الأساسية ، من لغة وحضارة ، وفكر وثقافة ، ودعم هذه المقومات بالروح والعقيدة ، وخفف من غلواء العرقية التي تعاني منها قوميات كثيرة ، لم تؤت ما أوتيته العروبة من رعاية الاسلام لها ، وسهره عليها ، بمقومات تسمو فوق العرق ، ومميزات ترقى فوق الجنس :

« ليست العروبة بأحدكم من أب ولا أم ، ولكنها اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي » .

ومن هذا المنطلق ، حفظ الاسلام للعروبة في شمال افريقيا مواقف وبطولات على مر العصور ، وأنجب لها أبطالا وقوادا ، وبناة حضارة ، تخطوا العدوة المغربية الى الاندلس ، وحسبك من هؤلاء ، ومن كثرتهم ، كما قال ابن باديس :

« القائد الفاتح ، والخطيب المصقع (طارق بن زياد) ثم ما قامت مملكة من أبناء هذا الوطن ، الا وهي عربية في كل شيء ، مثل سائر الممالك العربية في المشرق ، بل فوق بعضها » .

كان ذلك ، في العهد البعيد زمنا ، الماثل انتماء وتواصلا ، واذا التفتنا الى العصر الحديث ، فاننا نجد العروبة في المغرب العربي ، تعيش أعز أيامها بطولة واستماتة ، في أحلك أيامها اضطهادا من المستعمر ، فبقدر ما استُهدفت العروبة لغة وثقافة وحضارة ، واضطُهدت روحا وفكرا وجسدا . بقدر ما تأصلت في الأعماق ، وتجذّرت في النفوس بفضل الاسلام ، وتواصلت في السر ، عندما ضاق عنها العلن ، وتعانقت في المشاعر ، عندما طوّحت بها المسافات والحدود . يقول عبدالحميد بن باديس في الثلاثينيات :

« ان الاتحاد الاسلامي ، والوحدة العربية بالمعنى الروحي ، والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي ، هما موجودان ، تزول الجبال ولا يزولان ، بل هما في ازدياد دائم ، بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ، ضد العروبة والاسلام » .

المؤتمر الافخارستي

هذه الصرخة القومية ، تصعدت في ذروة الكيد الاستعماري لعروبة الشمال الافريقي ، وبطشه بالاسلام ، في الثلاثينيات ، يوم تصور المستعمر أن (البربرية) يمكن أن تكون حربة في ظهر الاسلام والعروبة ، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل ، في ظل سطوة عسكرية ، لم يغمض لها جفن على مدى قرن من الاحتلال ، فأعلن (الظهير البربري) في المغرب في مايو/ أيار ١٩٣٠ . واحتفل في نفس السنة ، في استعراضات عسكرية مستفزة ، بالذكرى

المائة لاحتلال الجزائر ، وعقد المؤتمر (الافخارستي) في تونس في نفس الفترة .

« كان المؤتمر الافخارستي (ظاهرة مريبة في سياسة الاستعمار الفرنسي ، جاءت لتمثل مأساة الاندلس من جديد في شمال افريقية) :

« ان المؤتمر الافخارستي أصبح مظهرا للحملة العدائية العنيفة التي يقوم بها رجال الكنيسة ضد الاسلام ، والتي أخذت تتشكل بشكل خطير في هذه الأيام ، فقد أعلنوا عن هذا المؤتمر بأنه (حملة صليبية) وبأن الدافع لهم على عقده هنا ، هو تحقيق الفكرة التي كانت تدور بين جنبي « لويس التاسع » والتي حملها بعده الكاردينال « لا فيجري » وليست هذه الفكرة سوى ما كان يقصده « لويس التاسع » وهو ارجاعها الى الصليب الذي أجبرت على قبوله بسيف الرومانيين » .

كانت الفترة فترة حملة حاقدة على الاسلام ، متأرجحة بين الترغيب والترهيب ، بين الوعد والوعيد ، الترغيب والتلويح ببعض الحقوق المزعومة ولكن على حساب الشخصية العربية المسلمة ، والتجنيس بالجنسية الفرنسية .

كانت خطة مبيتة ، وعلى جبهات متجاورة ، وبأسلحة متكاملة لضرب الاسلام ، ووحدة أبنائه في شمال افريقيا . فجاء التحدي باسم (العروبة والاسلام) شعارا لـ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي تأسست سنة ١٩٣٢ . وتصاعدت الانتفاضات الوطنية ، وحميت المواجهة في كل من تونس والمغرب في وجه (الظهير البربري) و (المؤتمر الافخارستي) . الأمر الذي زاد اللحمة الاسلامية وثوقا ، والوشيجة العربية تماسكا وصلابة ، وأتاح الفرصة من جديد لبلورة فكرة العروبة ، وتأصيلها في نفوس الشعب بمختلف أعراقه كما قال علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال في المغرب :

« ان القضية ، ليست قضية جنسية أو عنصرية ، ولكنها قضية واقع وفكر وثقافة ، والقبلية لا محل لها في بلد وحّده الاسلام ، ومنحته العربية القرآن ، وعلوم اللسان » .

ويلتقي زعماء الاصلاح ، والحركات الوطنية في أقطار المغرب بالنسبة لهذه القضية التاريخية ، والمواجهة المشهودة ، والمنعرج الحاسم ، على فكرة واحدة ، ومنطلقات متحدة ، بدون سابق تنسيق أو تخطيط ، انما هي الرسالة الجامعة ، والعدو المشترك .

فالامام (محمد البشير الابراهيمي) زعيم الحركة الاصلاحية في الجزائر ، يلتقي والزعيم (علال الفاسي) في نفس المفهوم لعروبة المغرب العربي ، ويتنظمان جبهة واحدة للدفاع عن هذا المفهوم في مختلف مواقعه .

« عروبة الشمال الافريقي بجميع أجزائه طبيعية ، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء ، والينابيع التي انفجرت منها الاخلاق والخصائص ، والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد ، وهي أثبت أساسا وأقدم عهدا ، وأصفى عنصرا ، من انجليزية الانجليز ، وألمانية الألمان » .

ويوم كان المستعمر يستدرج (البربربة) لضرب الاسلام ، كان أبناء الاسلام والعروبة من البربر ، يرابطون في الصفوف الأولى المتصدية للمؤامرات الاستعمارية ، ويكافحون روّادا في الحركات الاصلاحية ، وكتابا وشعراء في الصحافة الوطنية ، ومعلمين أحرارا في المدارس الحرة للحفاظ على العروبة والاسلام ، وغرس النخوة بهما في الشباب ، والتحدي بهما في وضح النهار .

فـ (الفتى الزواوي) باعزيز بن عمر ، وهو من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر ، ومن دعاتها قلما ولسانا في الثلاثينيات والاربعينيات ، في مجلة (الشهاب) وجريدة (البصائر) يقول وهو البربري من بلاد القبائل :

« واننا لنشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صاف لم يمازجه كدر ، وان اختلف المظهر ، ونسمع صوتها الحنون يرن في آذاننا ، فنفتح له الطريق ، الى قلوبنا وأعماقنا » .

فالعروبة حية فينا ، ونحن أحياء فيها ، ما دامت السماوات والأرض » .

مغاربة في المشرق

ومن مظاهر الوفاء للعروبة والاسلام من أبناء هذا الجناح الغربي من الوطن العربي ، أن الذين هاجروا من أبنائه الى المشرق ، عندما خانتهم الحيلة في البقاء الشريف في الوطن الصغير ، فتحوا هنالك ، بدافع

الشعور بأنهم لم يتخطوا حدود الوطن الكبير ـ جبهات جديدة لنضالهم وكفاحهم ، وانك واجدهم في كل موقف بطولي ، وثورة مسلحة ، بل هم في الصدارة في الحركات الاصلاحية ، والتنظيمات السرية ، والمؤسسات العلمية التي رادت النهضة العربية الحديثة .

فالشيخ طاهر الجزائري (١٨٥٢ ـ ١٩٢٠) وهو بربري من جبال القبائل في الجزائر ، يعتبر أب النهضة الحديثة في بلاد الشام ، فهو مؤسس (دار الكتب الظاهرية) في دمشق ومديرها ، ومؤسس (المكتبة الخالدية) في القدس ، وباني المدارس الحديثة ، وعاقد الحلقات التي تعتبر بداية الوعي العربي الحديث في بلاد الشام .

تحت أعواد المشانق

وعلى مشانق (جمال باشا) السفاح ، علق أبناء المغرب العربي مع شهداء العروبة سنة ١٩١٦ ، وكان من بينهم (أركان حرب سليم الجزائري) وهو من أصل بربري من جبال القبائل ، و (الامير عمر الجزائري) نجل الامير عبدالقادر .

ومن أبطال ثورة (الغوطة) وشهدائها ، ضد الجيش الفرنسي سنة ١٩٢٥ الامير عز الدين الجزائري ، وهو من أسرة بطل المقاومة الجزائرية الامير عبدالقادر .

و (بدر الدين الحسني المراكشي ١٨٥١ ـ ١٩٣٥) لم يكن (محدث الشام في عصره) فحسب ، كما قال الزركلي في (الاعلام) ولا الزاهد في البيعة على الخلافة من أهل دمشق في وجه (الاتحاديين) وبطشهم ، وانما كان الاب الروحي للثورة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام . قال عنه سعيد الحمزاوي نقيب الاشراف بدمشق ، لما قامت الثورة على الاحتلال الفرنسي في سورية « كان الشيخ يطوف المدن السورية ، متنقلا من بلدة الى أخرى ، حاثا على الجهاد ، وحاضا عليه يقابل الثائرين ، ويغذيهم برأيه ، وينصح لهم بالخطط الحكيمة ، فكان أبا روحيا للثورة والثائرين المجاهدين » . .

وبين (الشيخ طاهر الجزائري) ابي النهضة الحديثة في الشام ، وبدر الدين الحسن المراكشي الأب الروحي للثورة والثائرين والمجاهدين ، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي ، المؤسس في (جمعية الشبان المسلمين) و (مجمع اللغة العربية) في القاهرة . والذي كان شيخا للازهر الشريف ، بين هذه الوجوه الرائدة من أبناء المغرب العربي ، وجوه عديدة وأجيال متعاقبة في الاصلاح الديني ، والنضال السياسي والأدب والشعر (هم بعض من عناهم عبدالحميد بن باديس بقوله سنة ١٩٣٧) في مجلة (الشهاب) :

« مضت حقبة من الدهر ، كاد فيها الشرق العربي ، أن ينسى هذا المغرب العربي ، والى عهد قريب ، كانت صحافة الشرق ـ غالبا ـ لا تذكره الا كما تذكر قطعة من أواسط افريقيا ومجاهلها . بل في هذه الايام ، يغمط حقه ، ويتجاهل وجوده في كتب لها قيمتها كـ « ضحى الاسلام » وغيره .

ولكن هذا المغرب العربي ـ رغم التجاهل والتناسي من اخوانه المشارقة ـ كان يبعث من أبنائه ، من رجال السيف والقلم ، من يذكرون به ، ويشيدون باسمه ، ويلفتون نظر اخوانه المشارقة الى ما فيه من معادن للعلم والفضيلة ، ومنابت للعز والرجولة ، ومعاقل للعروبة والاسلام » . .

صديق ثقيل

دخل أحد الثقلاء على صديق له ، ولما جاء الليل سأله صاحب الدار : أين منزلك ؟ فأجابه : مالي منزل ، وإنما أشتمل الليل إذا عسعس ، وأظهر في النهار إذا تنفس .



هل دمر تشرشل ابنه الوحيد ؟

● هذا سؤال يطرحه كتاب جديد صدر في لندن بعنوان « ابن العم راندولف » وراندولف هو الاسم الذي اختاره ونستون تشرشل السياسي البريطاني الداهية الذي رحل بعد حياة طويلة حافلة اقترب فيها من التسعين ، لابنه الوحيد الذي قتلته الخمر التي كان يعب منها طوال ساعات الليل والنهار .

وقد مات راندولف منذ ثمانية عشر عاما . . وقال طبيبه الخاص يومها : « ان كبده وكليتيه ورئتيه قد اهترأت ، لم يعد هناك أي شيء لم تصبه الخمر بسمومها حتى شخصيته ، فقد اصبح رجلا جبانا » .

ولم يصدق احد العلماء الانجليز وهو يفحص كليتيه انها لانسان ، فقد قال في دهشة وحيرة : « هذه سمكة وليست كلية » .

وتقول مؤلفة الكتاب « انيتا لزلي » : « لقد كان صديقا حميا للمليونير اليوناني اريستوتل اوناسيس الذي تزوج جاكلين كندي ارملة الرئيس الامريكي الاسبق ، وفي احدى الامسيات وصل الاثنان الى استديو التلفزيون البريطاني ، وكانا على موعد لتصوير لقاء بينهما يذاع على الهواء . . وفوجيء المخرج والمصورون بالرجلين يصلان وهما في حالة سكر شديد . . ولكن المخرج لم يشأ أن يحرجهما ، فتظاهر بالاستمرار في عملية التصوير لبضع دقائق ، ثم شكرهما وانصرفا وهما يترنحان » .

وعندما التقى راندولف باصدقائه في اليوم التالي راح يسأل : « كيف كنت أبدو في حديثي امس على شاشة التلفزيون ؟ » وهنا فقط اكتشف أن احدا لم ير البرنامج وانه لم يكن هناك حديث . . فقال وهو في « دهشة » مما حدث : غريب أمر هؤلاء الناس لقد كنا ـ صديقي أوناسيس وانا ـ في احسن صورة وكان حديثنا ممتعا للغاية .


راندولف تشرشل

وتروي انيتا مؤلفة الكتاب الذي جمعت مادته من العديد من زملائه الصحفيين ، ومن اصدقائه ومعارفه ، تقول انه في أحد اللقاءات التي كان يجريها مع كبار الشخصيات وكان يحرص دائما على أن يملأ جوفه بالخمر قبل الذهاب للقائهم ، لم يعجبه حديث الرجل الذي كان يجلس معه في بيته فضربه بقبضة يده في وجهه ، وكان الضحية هو السفير الامريكي في لندن .

ولكن وقاحته التي كانت تطفو على السطح كلما

لعبت الخمر برأسه عرضته لمواقف لا يحسد عليها ، فقد اضطرت زوجة أحد النبلاء الايطاليين وكان يرقص معها في احدى الحفلات أن تدفعه بكلتا يديها بقوة اسقطته على الارض ، وفي مناسبة ثانية لم يجد السفير البريطاني في باريس الا أن يرفع يده ويصفع بها راندولف على وجهه صفعة قوية أفقدته وعيه ، ليضع حدا لوقاحته وقلة أدبه ، بينما اضطر لورد كاسل روسي الى قذفه بقدح الشمبانيا ، الا أن ليدى اليزابيث باجيت وجدت أن أنسب وسيلة لتلقينه درسا في الاخلاق ، هي أن تفرغ محتويات طبق المكرونة الاسباجيتي فوق رأسه على مرأى من كل المدعوين في احدى الحفلات .

لقد تزوج راندولف مرتين ، وفشل زواجه في المرتين حيث كان ينتهي بالطلاق . وعندما أجرى له الاطباء عملية جراحية لاستئصال ورم بريء ، أي غير خبيث . قال احد اصدقائه معلقا : « لقد نزع الاطباء الجزء الوحيد الباقي في راندولف الذي لم يكن خبيثا » .

لقد كان راندولف ضحية أب تزوج السياسة ، ولم يكن عنده من الوقت ما يسمح له بأن يرعى ابنه ، وأم لم يرها الا مشغولة بمشاكل والده . . لقد كان والده يدلله خلال اللحظات القصيرة التي يراه فيها ، لأنه اراد أن يعطيه شيئا حرم هو منه في طفولته . . وبقي راندولف طفلا لم يكبر أبدا ، طفلا عنيدا مخمورا وقحا لا يعرف ماذا يريد من الحياة .

روبن هود في نابولي

هل يمكن أن يكون للصوص وقطاع الطرق قلب يخفق بالحب ؟ في مدينة نابولي بايطاليا ، كان سالف توري جيويلو (٣٥ سنة) يمشي في الشارع حزينا مكتئبا وكأنه يحمل هموم الدنيا كلها فوق رأسه . فقد كان العامل المسكين عاطلا عن العمل . ولكن يبدو أن اللص الذي كان يتتبع خطاه من بعيد قد رأى شيئا آخر . . رأى فيه صيدا جديدا ، فراح يتحين الفرص حتى خلا الشارع من المارة ، فأسرع الى ضحيته وصوب مسدسه الى صدره وهو يقول : « بسرعة اعطني كل ما في جيبك من مال » .

بكى سالف توري المسكين وهو يقول لهذا الغريب : « ليتني استطيع أن اساعدك ولكن قد تدهش لو علمت أنني لا أملك ليرة واحدة . لقد استغنوا عن خدماتي منذ اسبوع ، وانا زوج وأب لثلاثة أطفال وقد تركتهم في البيت بلا طعام » .

وراح اللص يتطلع الى وجه الرجل في ذهول ، وانقضت بضع دقائق ، قبل أن يضع هو يده في جيبه ويخرج محفظة منتفخة بالنقود ، وضعها في يد سالف توري ، ثم اقترب منه وهمس في اذنه : « خذ هذا المبلغ ، وكف عن البكاء . . عد بسرعة الى اسرتك » . ثم انطلق يجري في الطريق بحثا عن صيد حقيقي .



ولكن سالف توري المسكين اخذ حافظة النقود ، وقصد الى أقرب مركز للشرطة ، وروى لهم ما حدث وهو يسلمها للضابط الذي لم ينس ان يسجل اسم وعنوان هذا المواطن الامين .

ومرت ثلاثة ايام عندما فوجيء سالف توري بصاحب المحفظة يطرق باب بيته ويقدم له كل ما كانت تحويه محفظته من مال مكافأة له على امانته ، ويعده بأن يلحقه بوظيفة في المصنع الكبير الذي يملكه .

ورحل الأب وهو يبتسم للحياة

قال له الطبيب : « ان قلبك مريض ياسيدي ، وقد تحتاج الى جراحة ، ولابد من أن تعرض نفسك على اختصاصي في أمراض القلب .. ارجوك : لا ترهق قلبك خلال الايام القليلة القادمة حتى اتمكن من أن أحدد لك موعدا مع احد الاختصاصيين » .

وخرج ساندرو تولا من عيادة طبيبه بمدينة ميلانو الايطالية ، وهو مصمم على أن ينفذ تعليماته بكل دقة ، ولكنه لم يستطع أن يقاوم توسلات ابنه الصغير اندريا (٨ سنوات) عندما طلب اليه في صباح اليوم التالي أن يصطحبه في نزهة الى شاطىء نهر تيسينو ليمارس هوايته في صيد السمك .

كان الاب الذي اشرف على الخمسين يحب ابنه الصغير ويتعلق به ، ولا يرفض له طلبا ، فقد تزوج في سن متأخرة وهو يقترب من الأربعين ، وكانت امنيته ان يرزق بولد ، وقد حقق له الله ما كان يرجو ويبتغي .

وعلى شواطىء النهر ، جلس ساندرو مستلقيا فوق مقعد مريح ، يرقب ابنه الصغير وهو يلقي بسنارته في الماء وينتظر . وكان الهواء عليلا واشعة الشمس الدافئة تبعث على النعاس ، فذهب الاب في غفوة ، ولكنها لم تطل ، اذ سرعان ما صحا منها على صوت صراخ ابنه اندريا .

واتجه ساندرو مذعورا الى الشاطىء حيث تركه منذ دقائق ولكنه لم يكن هناك .. لقد كان الطفل يستغيث وسط مياه النهر التي سقط فيها ، وبدأ التيار يجرفه معه بعيدا عن الشاطىء ، فهو لا يعرف السباحة .

وبلا تردد القى الأب بنفسه في النهر ، وراح يسبح في اتجاه ابنه حتى لحق به وراح يدفعه امامه الى الشاطىء وهو يحاول ان يبقي على رأسه فوق الماء ، حتى استطاع اخيرا أن يراه واقفا على قدميه على الرمال وهو يضحك ويقول لأبيه : « لقد نجحت ياأبي وانقذتني من الغرق » . ولكن الاب المسكين لم يستطع أن يتحرك من مكانه في تلك اللحظة ، فقد أحس بألم شديد في صدره ، ثم ما لبث أن غاص بجسمه في الماء .

وعندما وصل الناس على صراخ الابن الذي كان يرقب والده وهو عاجز عن مساعدته كان ساندرو قد غرق .. لقد اصيب بنوبة قلبية نتيجة للمجهود الذي بذله في انقاذ طفله ، والقلق الشديد الذي كان يشعر به قبل وفي اثناء المحاولة التي بذلها لانتشال ابنه من الماء .

قال اندريا الطفل الصغير يحدث امه بعد أن عاد الى البيت وحده ، وهو يبكي حزنا على الأب الذي ذهب ولن يعود : « لقد كان ابي يضحك فرحا وهو يغوص في الماء قبل أن يختفي تماما .. كان ابي سعيدا ياأمي » .

وقالت الأم : « نعم يابني .. لقد رحل ابوك سعيدا ، فقد كنت تقف امامه فوق أرض صلبة ، وعرف انه اخرجك من الماء سالما » .

ثمن رئاسة أمريكـــا !

رفع والد صبي أمريكي صغير في الحادية عشرة من عمره ، وهو محام كبير بمدينة سان فرانسيسكو ويدعى جون فاليسكويز ، قضية ضد طفل صغير يدعى سيث روبرتس (٨ سنوات) ، مطالبا بتعويض قدره مليونان ونصف دولار ، لأن الطفل تسبب في كسر أحد أسنان ابنه في أثناء مباراة في كرة السلة .. !

وقال المحامي في دعواه : « ان ابني الصغير « جون » اصبح يبتسم الآن بطريقة غريبة ، ويضع يده على شفتيه ليخفي السن المكسورة ، وسوف تؤدي هذه الابتسامة المعوجة الى القضاء على احتمال وصول جون الى مقعد الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية عندما يكبر ويصبح رجلا !

ولا تزال القضية منظورة امام محاكم المدينة الكبيرة ، ويتولى الدفاع عن الطفل سيث المدعى عليه ، أمه ، جين ، وهي ايضا محامية معروفة !

مع الشعر والموسيقا بعيدا عن السياسة !

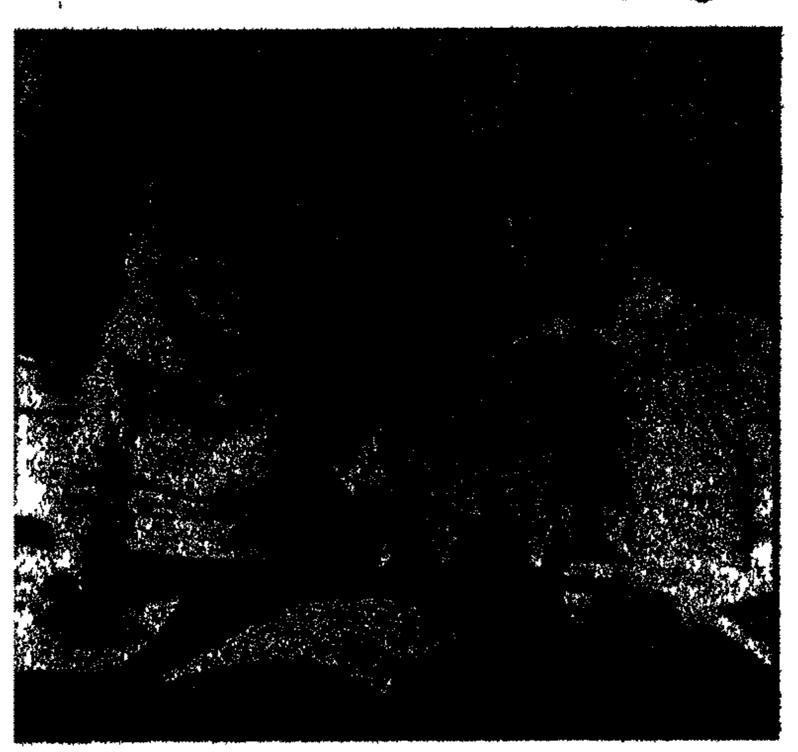
● العالم الذي يعيشان فيه فيه لا يمت الى المجتمع من حولها بصلة .. عالمهما موسيقا ، وشعر وأدب ، ولا مكان فيه للسياسة ولا لصانعي السياسة ، وبالرغم من هذا فقد استطاع الزوجان أن يحتملا الحياة في هذه المدينة التي ترقص على الانغام السياسية ، دون أن يشعرا للحظة واحدة أنها غريبان عن هذا المجتمع الذي ينتميان اليه .

اسمها آن لندبرج ، وهي ابنة أول طيار يعبر المحيط الأطلسي قبل الأخوان رايت ، وهي تنظم الشعر ، وتكتب للاطفال الذين تحبهم جميعا ، فهي لم تستطع أن تحقق أمنيتها في أن تصبح طيارا مثل والدها .. ولكنها ورثت عن أمها تلك الموهبة التي بدأت معها منذ أن كانت طفلة صغيرة تتلقى العلم في باريس .. فالأم العجوز « آن مورو » كاتبة ومؤلفة ، وهي ما زالت تكتب وتؤلف ، رغم أنها اقتربت من عامها الثمانين ، وهي تقول ان أروع أعمالها جاء في شيخوختها ، وهي تطفىء خمسا وسبعين شمعة في كعكة عيد ميلادها .

أما زوج « آن » الابنة فهو موسيقار يكتب ويؤلف الموسيقا التي أحبها وهاجر من بولندا الى أمريكا من أجلها : « لأنني شعرت أنه ربما أجد في هذا العالم الجديد مجالا أوسع لتنمية هذه الموهبة » .

وتقول آن وهي أم لثلاثة أطفال :

انني كاتبة محترفة الآن ، ولكنني أنظم الشعر لنفسي .. انها هواية شخصية . أما كتب الأطفال فقد كانت دائما في رأس قائمة الكتب التي أحب قراءتها ، لأنني كنت أحب كل طفل ألقاه في الطريق ، حتى قبل أن أتزوج وأصبح أما ، انني أستوحي الكثير من القصص التي أكتبها للأطفال ، من تصرفات أطفالي معي في البيت .



آن لندبرج وزوجها جيرزيه سيفسكي

ماذا يصنع الزوجان الآن ؟ سيفسكي مشغول باعداد مقطوعة موسيقية للمهرجان الموسيقي الذي تقيمه مكتبة الكونجرس في واشنطون ، ولم يجد أجمل من كلمات زوجته آن في احدى قصائدها الشخصية التي تتحدث فيها عن الحب بمعناه الكبير . . . ومنها سوف يضع أساس مقطوعته الموسيقية الجديدة » .

ربما كان هذا التزواج بين الشعر والموسيقا هو سر الاهتمام المفاجىء بالزوجين اللذين يعيشان بعيدا عن الأضواء ، وربما أيضا كان هذا المعنى الذي اكتشفه النقاد في حديث سيفسكي وهو يقول : « الموسيقا هي التي تستطيع أن تعطي المرء القدرة على الهرب من نفسه . . ان هذا الدور الذي يقوم به الكاتب أو الموسيقار وسط تلك العواصف السياسية التي لا تهدأ هو الطريق الوحيد الذي يحتاج الفنان الى السير فيه وخصوصا في واشنطون » . وربما أيضا لأن الشاعرة التي تحب الأطفال وتكتب لهم هي ابنة لندبرج □

البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة ١٧٧ .

قال قتادة في معرض الحديث عن سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يسأل عن البر ، فأنزل الله هذه الآية ، فدعاه النبي فتلاها عليه .

وقال المفسرون في معنى الآية انه ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا ، ولكن البر هو ما ثبت في القلوب من طاعة الله ، وان من كانت فيهم الخصال التي تحدثت الآية عنها ، لا من ولى وجهه قبل المشرق والمغرب واهتم بالقشور والمظاهر ، هم الذين صدقوا الله في ايمانهم ، وحققوا قولهم بأفعالهم . ووصف القرطبي هذه الآية بأنها من أمهات الاحكام اذ تضمنت ست عشرة قاعدة : الايمان بالله ، وبالجنة والنار ، والملائكة والكتب المنزلة والانبياء ، وانفاق المال فيما يعن من الواجب والمندوب ، وايصال القرابة وترك قطعهم ، وتفقد اليتيم وعدم اهماله ، والمساكين كذلك ، ومراعاة ابن السبيل والسائل ، وفك الرقاب ، والمحافظة على الصلاة ، وايتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر في الشدائد ، فمن عمل هذا كله فقد وصفه الله بالصدق والتقوى وبأنه جاد في الدين ، وهذا غاية الثناء

فان كانت هذه الآية من سورة البقرة قد أتت ببيان جلي واضح لما يطالب الله المسلمين به ، فقد جاءت الآيتان ١٥١ و ١٥٢ من سورة الانعام ببيان جلي واضح لما حرمه الله على المسلمين (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ، ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون) .

ومع هذا الوضوح الذي لا وضوح بعده في هذه الآيات الكريمة التي نصت على ما أمرنا الله به وما نهانا عنه ، نجد البعض في مجتمعاتنا الاسلامية قد نصبوا أنفسهم قيمين على سائر المسلمين يدعون ان الله قد فرض عليهم ما لم يفرضه ويحرمون ما لم يحرمه ، ويخلقون جوا من الارهاب والتزمت قد كاد يفلح في خنق كل فكر اسلامي مستنير . وقد عرفت أقطارنا في القرن السادس عشر من كفروا شارب القهوة ، وحكموا بهدم المقاهي في أرجاء الدولة العثمانية ، وبجلد من يرى وهو يحتسيها . ثم عرفت أقطارنا من كفروا اختراع الطباعة ، فظل استخدامها محرما فيها على مدى ثلاثة قرون كانت أوروبا قد أفلحت خلالها ربما بفضل هذا الاختراع ذاته ، في أن تسبق العالم الاسلامي في مضمار الحضارة .

وقد ابتلينا في السنوات الاخيرة بمن صار يرى جوهر الدين وحقيقة الاسلام في مسائل مثل لبس الجلباب وتقصيره الى ما فوق الكعبين ، وضرورة الاكل باليمين والشرب باليمين ، وضرورة حمل العصا واطلاق اللحى ، ويحرمون اقتناء الصور الفوتوغرافية ، وشرب الانسان وهو واقف ، ويستفظعون الاكل على المناضد ، والجلوس على الكراسي ، لأن الرسول صلوات الله عليه وصحابته لم يأكلوا على هذه ولم يجلسوا على تلك ، مركزين دعوتهم واهتمامهم على مثل هذه الأمور ، وكأنما هي من المسائل التي لا يجدر بالمسلمين أن يكترثوا الا بها .

والارجح عندي أن مثل هؤلاء الذين يغفلون فحوى الآيات القرآنية المذكورة ، أو يضيفون اليها الاوامر والنواهي ، يسيئون الى الدين عن قصد أو عن غير قصد ذلك أنه ما من شيء يضمن استمرار هذا التخلف وهذا الانحطاط قدر ما يضمنه ايهام المسلمين بأن هذه الامور هي قضية القضايا واس الاسلام . وقد استمال هؤلاء بعض المسلمين بفكرهم ونفروا البعض من الاسلام بأسره . وكلا الاستمالة والتنفير مما يسعى أعداء الاسلام الى تحقيقه . فانتشار هذه الجماعات كفيل بأن يعود بأمة المسلمين الى الوراء ، في حين يخطو غيرها من الامم خطوات واسعة في طريق التمدن والعمران . وتنفير شبابنا المثقف من الاسلام برمته كفيل بأن يزيد من تهلهل نسج أقوامنا وفقدانهم الصلة بمجتمعهم وتراثهم وهويتهم الحضارية .

فلو أن شبابنا تحول عن الاصغاء الى هذيان هؤلاء المضللين عن جهالة أو المضللين عن عمد وفساد نية ، الى النظر في آيات الله البينات، لقرأ في الآية الاولى تعريفا مستفيضا لماهية البر والصلاح والتقوى ، ولقرأ في الآيتين الاخيرتين تعريفا بينا لما حرم الله علينا ، ولوجد في وضوح عباراتها جميعا ما يغنيه عن سؤال غيره ، والوقوع في براثن من لا يري بهالخير . □

فضل العمامة

ذُكرت العمامة عند أبي الاسود الدؤلي فقال : جُنّة في الحرب ، ودثار في البلاد ، وكُنّة في الحر ، ووقار في النادي ، وشرف في الأحدوثة ، وزيادة في القامة ، وهي عادة من عادات العرب .

الرأي ، والرأي الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .



مستقبل النشر العلمي في الوطن العربي

بقلم : الدكتور محمد محمد الجوادى

أصبحت ظاهرة النجاح في مجال الدوريات الثقافية العربية تستحق التقدير ، وتطمئن الى مستقبل مزدهر بإذن الله. تنمو فعاليتها ، ويزداد توزيعها ، ويرتفع كذلك مستوى موضوعاتها بعدما ترتفع هي بمستوى القراء والجيل الجديد منهم خاصة ، ويبلغ أثرها في الحياة الجارفة والهادئة على حد سواء حدا لا يستهان به ، بل على العكس سوف يحسب له ألف حساب .

ومع أن كثيرا من هذه المجلات لا يزال الى اليوم يتلقى العون المادي من ادارات الاعلام في الوطن العربي ، وهو عون مشكور ، ويزيد في تقديرنا له أنه غير مشروط . هذه النقطة بالذات واضحة ومعلنة وصادقة الى أبعد الحدود ، وخصوصا في المملكة العربية السعودية ومعظم دول الخليج . ومع هذا فان الأمل في أن يأتي اليوم الذي تصل فيه هذه المجلات الى نقطة الاتزان أو التعادل في جانب التمويل الذاتي ، ليس بالأمل بعيد التحقيق . انما يلزمه شيء غير قليل من الادارة ، وتوجيه الادارة نحو الاعلانات ورسم سياسة بعيدة المدى ، والتعاون بين عناصر متعددة ، واقامة عامل الزمن الكفيل بأن يتحقق كل ذلك على نار هادئة ، نضمن معها سلامة النتائج وقوتها ، وان تكون فعاليتها على المستوى الذي يمكن الاعتماد عليه في تطوير استمرار وتجديد - بل توليد - الصحافة الثقافية العربية العامة ..

كل هذا لا شك في أنه قد أصبح واقعا ، أو على الأقل أحلاما لا يصعب الوصول اليها من على أرض الواقع .

لكن الخطوة التي يجب علينا أن ننظر في الكيفية التي سنخطوها بها هي مسألة النشر العلمي العربي . أعني في اختصار : الثقافة العلمية الخاصة !!

وهي تلك التي تتمثل في المجلات العلمية المتخصصة ، ألتي تصدر لأرباب مهنة معينة ، بل تخصص معين من مهنة معينة تتحدث بلغتهم الاصطلاحية الخاصة ـ وقد تكون الخاصة جدا ـ وتنشر أخبار الاكتشافات والمؤتمرات والندوات ـ الخاصة وقد تكون الخاصة جدا ـ ومراجعات الكتب والأسئلة والاستفسارات والتعليقات الخاصة ، وقد تكون الخاصة جدا .

هذه الخطوة لا تأتي في تلقائية وراء الخطوة السابقة ، ولكنها تأتي في تلقائية سببية ـ وزمنية أيضا بعد عدة خطوات : تكون هذا المجتمع العلمي الخاص على المستوى الوطني أو القومي ، وقد يكون هذا التكون هو الخطوة الأولى ، ولكنها ليست الوحيدة ، فلا بد من فعالية هذا المجتمع الحديث التكوين ، ولا بد من انتشار أفراده ووصولهم الى عدد ما ، يسمح بأن يكون فيه ومنه وبه الاكتشاف والتجديد والتحليل والنقد والرأي (العلمي التخصصي طبعا) والرأي الآخر .

ثم لا بد أن يكون بين هذا المجتمع من مقومات التماسك والترابط عوامل وحدة أخرى أكثر من اتفاق الزمان والمكان . . ولعل أبرزها هو وحدة اللغة ، بعبارة الشارع البسيطة أن يتكلم لغة واحدة . . ، ولا يقتصر معنى اللغة هنا ، على اللسان الذي يجمع أهل العلم فيه ، ولكن على مصطلحات هذا العلم ومقاييسه أيضا !!

وأخيرا وليس آخرا لا بد أن تكون هناك « المادة » التي تدور فيها أوسوف تدور فيها وحولها الصحافة المتخصصة ! « والاهتمام » الذي يدفع أهل العلم والتخصص الى البحث عن هذه المادة !! والبحث فيها !! وفي هذه الصحافة المتخصصة بالذات .

وبقدر ما تبدو هذه كلها مصاعب تقف أمام انشاء الصحافات العلمية المتخصصة أو نشأتها ، فإنها على الجانب الآخر هي الجوانب المميزة لهذا النوع من الصحافة ، والتي تجعل من الصعب أن يقوم جهاز أو وسيلة أخرى بما يمكن أن تقوم به !! واذن فهذه النقاط التي تبدو صعابا هي على الجانب الآخر مميزات هائلة متى أحسن استخدامها .

وعلى سبيل المثال فإن شركات الأدوية لن تؤثر الاعلان عن دواء جديد لمرض ما من أمراض القلب وعن مميزاته وتركيبه ونتائج التجارب (بالتفصيل) في صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية على الاعلان عن نفس الدواء في مجلة الطب المتخصصة ـ مجله القلب العربي (مثلا) . ، وهكذا .

وعلى الرغم من أن البعض قد يظن أن أمر اعلانات الشركات الكبرى وقف على أهل الطب وشركات الدواء ، فإن الحقيقة أن لكل مجال من العلوم ـ حتى العلوم البحتة ـ مجالها الذي تبرز فيه أنشطة تجارية على أرفع مستوى ، هي بحاجة الى الاعلان والاعلان الدائم عن نشاطها .

هذا كله بالاضافة الى الاعلانات المهنية من طلب الوظائف والاعلان عن المنح الدراسية والمؤتمرات والدورات الخاصة ، والكتب الجديدة ، والحاجة الى مؤلفين ومحررين ومراسلين ومندوبين ، وبيع المؤسسات وتأجيرها ، ونشوء الكيانات . الخ هذه الأنشطة الحيوية !!

ان واقع الأمر أن هذه المجلات العلمية المتخصصة ، أو النشر العلمي أو الثقافة العلمية الخاصة هي قضية السنوات القادمة في التنمية العربية (العلمية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء) ولعل هذا المقال أن يكون من العوامل التي تبعث على وضع الدراسات الكفيلة بتهيئة السبيل أمام النشر العلمي ، ليأخذ طريقه الى الحياة غير منقوص النمو ، ولا متأخرا عن موعده الذي حان أوانه .

ولكننا مع هذا ينبغي أن نأخذ العبرة من تجربة المجتمع العلمي في مصر في هذا المجال ، والتي ترجع الى ما قبل عام ١٩٢٠ ، حين أصدر علي باشا ابراهيم المجلة الطبية المصرية ، أو الى منتصف الثلاثينيات حين بدأ الدكتور علي مصطفى مشرفة ـ عميد العلوم العربي الاول ـ اصدار سلسلة المجلات العلمية المتخصصة ، بدءا بالمجلة المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية ! ولا يستطيع أن ينكر أحد ذلك النجاح والاستمرار الذي حققته مجلاتنا طوال الفترة الماضية ، على الرغم مما قد يعتورها ـ أو قد أعتورها بالفعل ـ من فترات أثرت فيها تأثيرا قاسيا . . ولكننا مع هذا لا نجد في هذا التاريخ أزمة كالتي تحيط بها هذه الأيام مع ارتفاع تكاليف الطباعة ، وعدول المؤسسات الصحفية الى طباعة الأوفست ، واشتغال المسئولين عن هذه المجلات عن المتابعة الصعبة لها يوميا . .

وبعد أن كانت مهمة اخراج هذه المجلات في الماضي القريب يقوم بها فرد من الأكفاء أصبحت مع الزمن وتعقيدات الحياة وتطورها في ذات الوقت ـ في حاجة الى جهاز كامل ، وهو ما لم تهيىء له جمعياتنا العلمية نفسها منذ زمن طويل ! ولن تستطيع قبل مضي وقت قد يطول .

ولقد تعاني بعض هذه المجلات اليوم وخصوصا تلك التي في مجالات العلوم ، من وقوفها جميعا ومرة واحدة في انتظار معونة مادية لتغطية الجزء الباقي من نفقاتها ، وهي نتيجة لوضع كنا نظنه مثاليا ، حين انشأنا مركزا قوميا للاعلام والتوثيق (في إطار المركز القومي للبحوث) يقوم أمر هذه المجلات جميعا على نمط واحد ، ولا شك أنه نجح في فترة من الفترات ، ولكنه أصبح اليوم كعنق الزجاجة .

كل هذا قد يقودنا الى التساؤل هل تصدر هذه المجلات بطريقة عرضية أم طولية ؟ وأيهما أجدى ! بعبارة أخرى ، هل الأولى بنا أن نصدرها عن الجامعات مع اختلاف التخصصات وتباينها في الجامعة الواحدة وعلى النحو الذي تصدر به مجلة الجامعة الأردنية ، أو مجلة جامعة حلوان التي تضم بحوثا في التكنولوجيا المختلفة جنبا الى جنب مع بحوث الاقتصاد المنزلي والتربية الموسيقية !! أم نصدرها عن الجمعيات العلمية الوطنية فيكون لدينا مجلة للقلب وأخرى للرمد وللتربية الفنية وللهندسة المعمارية ولتربية الدواجن ؟ وهكذا !!

وما هي جدوى أن تكون هذه المجلات على مستوى اللسان العربي كله ؟ وما هي أهمية هذه النقطة بالذات في مجال تكوين المدرسة القومية في العلوم المختلفة ، اذا ما آمنّا أن تكوين المدارس القومية في العلوم المختلفة هي من أنجح ـ ان لم تكن أنجح ـ الوسائل نحو تحقيق تقدم ذاتي حقيقي في هذه العلوم !!

كل هذه الأفكار في الحقيقة نرجو أن تتاح لها دراسة متأنية ، ولكنها غير متباطئة ، وفي ذات الوقت تعرض لنا جميعا الجوانب الكثيرة التي تحيط بهذه المسألة ومستقبلها ، في وقت أصبح من الواجب علينا وضع اللمسات الهامة في شخصيتنا القومية .

ولعل من أكثر هذه الدراسات الحاقاً أن نقيم ما هو موجود بالفعل في هذا المجال ، وأن نسجله ، وأن نجعله معروفا لدى كل المهتمين في هذه المجلات ، لا يكون صعبا على النفس أن تذكر ، مع صعوبة ذلك ، أن كثيرا منا لا يعرفون أن هناك مجلة علمية تصدر في تخصصهم في القطر المجاور لهم !! ولكن استمرار الوضع هكذا هو مأساة حقيقية .

وعلى صفحات هذا المقال ننشر احصائية مقارنة عن مجلات الطب الامريكية في فرع واحد هو فرع أمراض القلب (مع العلم أن هناك مجلات أخرى في جراحة القلب ، والصدر وفي أمراض الصدر والأوعية الدموية . . وفسيولوجيا وفارماكولوجيا وباثولوجيا ذلك كله) . . ومجلات أخرى في ذات المجال تصدر باللغة الانجليزية . أربع أمريكية ، وواحدة أوروبية ، وواحدة بريطانية وثالثة دولية وهذه المجلات ، في فرع واحد هو أمراض القلب ، والاحصائية تعرض لنا عدد صفحات هذه المجلة على مدار العام ١٩٨٣ . ، ولعل مطالعتها خير من ألف مقال يحدثنا عن السطوة التي يتمتع بها النشر العلمي اليوم . . أو عن أهمية هذا الذي نتحدث عنه .

ان طبيب القلب الذي يحرص على متابعة الجديد في اللغة الانجليزية وحدها ، وسوف يجد نفسه بين ما مجموعه اكثر من الفين وخمسمائة مقال جديد في عام واحد !! صفحاتها تزيد على ١٤ الف صفحة . وتكلفتها تزيد قليلا عن اربعمائة دولار (لسبع مجلات في اثنى عشر شهرا) . . كل هذا قد يجعل الأمر بعيدا عن تصديق كثير من القراء الكرام . . ولكننا مع هذا نؤكد لهم أن هناك واحداً وتسعين ألف اشتراك في هذه المجلات !! والمجلة الأمريكية لأمراض القلب تتمتع وحدها بثمانية وعشرين الف مشترك ! وهو الرقم الذي يمثل سقف التوزيع لكثير من مجلاتنا العربية الاسبوعية العامة . □

قيل لاعرابي : مالك لاتجاهد ؟

قال : والله اني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أسعى اليه راكضا . .

رؤيـــة للإســلام

بقلم : عبدالله زكريا الانصاري

الدكتور أحمد كمال أبو المجد كاتب اسلامي يفكر بروح العصر ، ويتناول الموضوعات الاسلامية تناولا عقليا ، ويعالج أمورها بحرية الفكر الذي دعا اليه الاسلام العظيم ، ونقول إنه مثقف في تفكيره ، مطلع على مايجري من معالجات طارئة وفهم مشوب بالخطأ في كثير من الاحيان . وفي مقالة « الحاجة إلى الاسلام في هذا الزمان » المنشور بمجلة العربي العدد رقم (٣١٩) نقاط في غاية الاهمية ، ودعوة الى « رؤ ية جديدة للاسلام » . ولابد من تجديد الرؤ ية للاسلام في كل عصر ومكان ، ذلك أن الاسلام روح يتجدد ، وجوهر لكل زمان ومكان ، وعلامات على الطريق للحاضر والمستقبل كما كان للماضي ، والتجديد معناه الفهم والتطبيق بما يتلاءم وحياة الانسان ، وفهمه أمور دنياه لفهم أمور اخرته ، والانسان موصول من دنياه بآخرته ، وحياته ، بل الحياة يطرأ عليها التغيير والتجديد دائما وأبدا ، لأنها حياة متحركة ، ليست جامدة ، والناس فيها تتلاءم طبائعهم في تصرفاتهم ، وفي عيشهم ، ولباسهم ، وفي أعمالهم أيضا ومايأتي به من متغيرات ، إذن فالرؤ ية الجديدة معناها الفهم الجديد ، والفهم الجديد يدعو إلى التغيير والتطوير والتجديد ، ولعل بعض الأفهام تشتبه في مفهوم الرؤ ية الجديدة ، أو التجديد والتطوير والتغيير للاسلام .

رؤية تتجدد

إذا قلنا ان الاسلام علامات على الطريق في كل زمان ومكان ، أدركنا معنى الاسلام من أنه رسالة عظيمة لاصلاح الخلل في الانسان مدى الحياة ، وليس في انسان معين من الناس ، أو في عصر خاص من العصور ، وأدركنا أيضا أنه حركة تجديد وتطوير ، وحركة تغيير لبعض المفاهيم التي قد لاتكون قابلة لملاحقة متغيرات العصر ، فالعصر الذي نعيشه هو عصر الفضاء ، وعصر العقل الآلي ، وما هو العقل الالي ؟ إنه عقل الانسان بلا جدال ، ولايدري ماذا سيكون عليه العصر القادم والعصور الأخرى ، ومن يدري ؟ ربما توصل عقل الانسان الى توفير الأسباب لكي يعيش إنسان الأرض فوق الكواكب الأخرى ، وربما تغير نمط عيش الانسان تغيرا جذريا لايمكن أن يخطر على بال في هذا العصر . إذن فالرؤ ية للاسلام لابد أن تتجدد أبدا مادامت الروح تتردد في الانسان ، ومادامت الحياة باقية ، وتلك دعوة يتحمل مسئوليتها الذين يدركون روح الاسلام ، ومعناه العظيم ، ويفهمون طبيعة الانسان وميله أبدا الى الهوى والانحراف عن خدمة الانسان والحياة ، اذا لم يجد له رادعا يردعه عن غيّه وضلاله . والاسلام العظيم جاء رادعا وهاديا إلى طريق الخير في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن الانسان كذلك لما أنزل الله سبحانه وتعالى رسالته على نبيه منذرا ومبشرا .

استغلال وادعاء

ذلك هو الفهم أو المفهوم الجديد للدكتور الأخ أحمد كمال أبو المجد في مقاله على ما أعتقد ، ولعل التمادي الذي وصل بالناس أوبالمسلمين على

الأصح ، حكاما ومحكومين ، في استغلال الاسلام العظيم لأهوائهم وميولهم الشخصية هو الذي دفع به الى كتابة مقاله هذا ، ذلك أن الذي نراه يجري في بلادنا الاسلامية لايمت الى الاسلام بصلة ، بل انه يخالف روح الاسلام في كثير من الأمور ، ويتمادى بعض الحكام في تصرفاتهم وفيما يأتون به من أحكام وأعمال وينسبون ذلك الى الاسلام ، ويتمادى بعض الناس من المسلمين في دعواتهم التي تأتي إرهابية في كثير من الاحيان باسم الاسلام . وهناك من يرفع راية البطش باسم الاسلام ، ومن يرفع راية التضليل باسم الاسلام ، حتى رأينا الاسلام يستغل لفرض الانظمة ، واصدار القوانين الظالمة ، وابتزاز أموال المسلمين ، الأمر الذي أدى إلى التعدد في الأنظمة ، وفي الجمعيات ، وفي الكتل ، وكل نظام يدعي أنه يمثل الاسلام الصحيح ، وكل جمعية وكتلة تدعي أنها تدعو للاسلام الصحيح ، حتى بدا الانحراف واضحا ، والزيف مكشوفا ، والغش صريحا ، والتضليل بارزا بروزا بينا .

ملاحظات ورأي

نقول إن مقال الدكتور أبوالمجد لابد أن يقرأه هؤلاء وأولئك ، ولابد أن يقرأه المسلم والمثقف والأديب ، وكل من يهمه أمر دينه وأمر دنياه ، على أن هنالك بعض الملاحظات عنت لي في أثناء مطالعتي لهذا المقال ، رأيت أن أبديها حسب فهمي لها ، ولست في صف الدكتور أحمد في فهمه وادراكه وثقافته ، لكنه رأي أبديه ، لعل فيه بعض الفائدة ، أو على الأقل نستفيد جديدا من جديده ، والجديد مرغوب ومطلوب ، فمابالك إذا أتى بمفهومنا لديننا الحنيف ، وكلنا عيال على ذوي الفهم و الاطلاع على الدين الاسلامي وعلى جوهره وروحه .

يقول الدكتور أحمد وهو يتكلم عن « الحقيقة الأولى » لواقع المسلمين :ـ

(ان الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الاسلامية لايمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام وحضارته وثقافته ونظامه القيمي . .)

ونقول : ـ ان الأدوات الحضارية مقطوعة الصلة بالاسلام يمكن اخضاعها لروح الاسلام ، أما الابتعاد عنها فأمر لا يرضاه الاسلام في مفهومي المتواضع . . . . أليست هي أدوات حضارية ؟ إذن لابد من أخذها أو أخذ جوانب منها لاثراء حياتنا ثم هضمها وبلورتها واخضاعها لمفهومنا ، والحضارات تأخذ وتعطي مهما كانت مقطوعة الصلة ، ولعل الحضارات مقطوعة الصلة تكون أثرى وأجدى وأنفع من تلك الموصولة ، والحضارة العقليه الراقية لاتخشى الأخذ من الحضارات الأخرى الراقية ، لاسيما إذا ما كانت حضارة تعالج صميم الحياة ، وتدعو لتقدمها وازدهارها وفوق كل ذلك ترفع شعار الأخلاق ، وتربط الانسان بخالقه ، خالق الحياة .

إن الأخذ من ثقافة الآخرين ليس معناه تقليدها ، إلا إذا كان الأخذ غير محصن ، فهنا لابد من الدعوة الى فهم حضارتنا ، وفهم إسلامنا ، وفهم ثقافتنا ، وتحصين دعاتنا بفهم جوهر الدعوة وفهم روحها ، ولاخوف بعد ذلك . . أما أن نقول إن « الخروج من أزمة التخلف لايتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام ، إلى آخره » ، فدعوة الى الابتعاد عن الحضارات الأخرى المتقدمة التي قد لاتدرك شيئا من حضارة الاسلام ، ومن ثم الدعوة الى الابتعاد عن الأخذ من الحضارات الأخرى مقطوعة الصلة بالاسلام .

لابد من الخوض في ثقافات الاخرين ، فان روح الاسلام كفيل باستخدامها لصالح الحياة ، وتلك ضرورة من ضرورات الاسلام .

تناقض وتساؤل

ويقول الدكتور أبوالمجد :ـ « إن استخراج أدوات النهضة . . وشروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية . . يغدو المسلك الأمثل ، إن لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لايتهددها خطر الاندفاع الذي ينخلع أصحابه من ذاتهم . . ولاخطر الرفض والتحفظ ، ومقاومة « الأدوات الجديدة » لأنها وافدة وغريبة وتحمل في طياتها مداخل متعددة للتبعية وفقدان الاستقلال وضياع الهوية » .

يتراءى لي هنا بعض التناقض في هذا القول فكيف نوفق بين شروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية والرفض ومقاومة الأدوات الجديدة ؟ فهل هي دعوة الى الانكماش على حضارتنا الذاتية ؟

ويقول : ـ « من هنا تغدو عملية تجديد الفكر الاسلامي « واستخراج » شروط النهضة من باطنه عملية بالغة الأهمية في التوجه للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلم المعاصر ، وتعيشها المجتمعات العربية والاسلامية القائمة » .

لاجدال في أن الحضارة الاسلامية حضارة متكاملة الجوانب ، لكن المشكلة تكمن في تجليتها من جديد وتقديمها للناس في وضوح كما يقول الدكتور أبوالمجد ، لكن مع ذلك فان الفكر الاسلامي لاينغلق على نفسه فهو يعطي مثلما يأخذ ، ولذلك فهو للناس عامة ، إنه دعوة لجميع الناس كافة لفهم الحياة ، وفهم الانسان الذي خلقت من أجله الحياة ودعوة تربط الانسان بخالقه خالق الحياة ، ولهذا لابد أن يخوض في غمار الحضارات الأخرى ، ويناقش كل فكر إنساني ، ويجادل كل دعوة إنسانية ، وان كانت لاتمت بصلة الى الفكر الاسلامي ، والفكر الاسلامي فكر عقلي يخاطب كل عقل ، ويبسط رسالته ، رسالة السماء ، وهل تخشى رسالة السماء من رسالات الأرض ؟

الفهم هو الأساس

المشكلة الكبرى في رأيي المتواضع تكمن في عدم فهم الفكر الاسلامي فهما منطقيا عادلا ، ولهذا تعددت الفرق الدينية ، وكل فئة سلكت سبيلا يختلف عن سبيل الفئة الأخرى ، وتتعدد الفرق تعددت المفاهيم ، وانصبت معظمها على شكليات الحياة ، وقام من يستغل هذا التعدد من الحكام والمتنفذين إلى أن وصلوا الى درجة الطعن والتكفير أحيانا ضد البعض الآخر ، فشل الفكر ، ومنع العقل من العمل ، وحرم اجتهاد الرأي ، وحرف مفهوم الرسالة ، وقُدِّس التقليد وليس القدوة ، والقدوة غير التقليد ، فاذا كان التقليد يتم بدون فكر عميق ، فان القدوة تتم بالفكر والعقل . فقام من يستغل المسلمين بالاسلام ، دون رادع يردعه ، بل إن ذوي الرأي والنظر تواروا عن الأنظار ، يبغون الأمان لأنفسهم .

كان أحدهم يقول ، أين نحن من عصر النجوم ؟ قلت إن عصر النجوم كان المفروض أن يكون عصرا إسلاميا رائعا ، لأن الاسلام يدعو اليه ، لكن الذين دعوا اليه ونفذوه لايمتون الى المسلمين ولا إلى الاسلام بصلة ، فكأنهم قرأوا دعوة الاسلام العظيم وراحوا ينفذونها ، ولهذا استغلت لغير صالح الانسان ، ولو كان المسلمون يدركون رسالة الاسلام ادراكا سليما لجعلوا عصر النجوم عصرا يخدم الانسان ، ذلك أن رسالة الاسلام تدعوا للتفكير في خلق السموات والأرض ، تفكيرا أخلاقيا لصالح الناس عامة .

ان رسالة الاسلام تدعو الى النمو الاقتصادي ، وتدعو الى التقدم الصناعي لصالح الانسان ، وتدعوا الى إعمار الكون .

ان الاهتمام بالمظاهر السطحية ليس من الاسلام في شيء ، وان إلهاء الناس بقشور الحياة ليس من الاسلام في شيء ، وإلهاءهم عن التفكير العميق في الحياة والكون ليس من الاسلام في شيء .

ونرفع صوتنا مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد في مقاله الرائع (الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان) ، وندعو معه إلى فهم الاسلام فهما صحيحا ونقول معه : ـ

« فهل يحمل بعض مثقفينا عبء رحلة جديدة على هذا الطريق الرائع ـ على وعورته ـ يجددون من خلالها للناس أمر دينهم ويصلحون بها كثيرا مما فسد من أمر دنياهم ؟ » .

ولانقول مع القائل أبدا : ـ

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادي !!!

● الضعفاء اذا ما حذروا لم يقتلهم الأقوياء اذا ما وثقوا قتلهم الضعفاء .

(مهابهارتا)

منتدى العربي

تعقيبات

حول «رحلة الخراساني إلى الموت»

في العدد ٣١٨ مايو ١٩٨٥ من مجلة العربي الرائدة، قرأت مقالاً عن أبي مسلم الخراساني، جاء في أسلوب قصصي، بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل، روى لنا فيه الأيام الأخيرة من حياة أبي مسلم الخراساني، وموقعه من الخلافة العباسية وأبي جعفر المنصور.

وقد أعجبني السرد والصياغة، وقد كنت أودّ أن تتوازن الصياغة مع الحقائق وصادق التاريخ، ولكن الكاتب خلط الأحداث وأبهمها، واستخدم الأماكن وأسماء الشخصيات استخدام من لا يعرف المدن القائمة، والمدن التي لم تنشأ، ولم يفرق بين قرانه وقرانة، مما جعل القارىء ينسى حلاوة القصص، ويحس بمرارة مزايلة الحقيقة، وحتى لا أكون متجنياً أو متحاملاً، أصحح ما وقع فيه من هفوات، ثم أعقب عليها ببيان جلية الأمر فيها، ولا أدري هل الأداء القصصي هو المسئول عن الخطأ، أو أن الكاتب لم يدرس تلك الحقبة القصيرة التي اتخذها محوراً لما قصده؟

وأول ما أبدأ به قوله: بدأ الرحلة من خراسان، في قافلة طويلة محملة بالهدايا، لعل الخليفة يرضى، محفوفاً بالفرسان لعله يرتدع، وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه، يردد في داخله بيتاً من الشعر:

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام

وفي هذا الكلام خلط بين موقفين، فحين بدأ الرحلة كان قادماً بإذن الخليفة أبي العباس السفاح، يأمل أن يحج وأن يكون أميراً للحج، ولقي الإكرام وإن لم ينل إمارة الحج، فقد كان المنصور أخو الخليفة يروم أن يحج في هذا العام ١٣٦ هـ، فأعطيت له إمارة الحج.

أما حين أنشد الشعر، فبعد أن رجع من حرب عبد الله بن علي، الخارج على الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور، وأراد الرجوع إلى خراسان، فحال المنصور بينه وبين مرامه، فحين بلغ «حلوان» من أرض فارس جرت المراسلات بين أبي مسلم والمنصور، وانتهت بإذعانه والقدوم إلى المنصور.

تقول الرواية أن نيزك صديقه حاول أن يثنيه عن عزمه، ولكن أبا مسلم كان يشعر بقوة قاهرة تجره إلى الذهاب، ولما ألح عليه نيزك تمثل أبو مسلم بالبيت الذي ذكره الكاتب. وكان ذلك سنة ١٣٧هـ.

ولتحظى الفكرة بالوضوح أقدم دليلاً يهتدي به في كشف تلك الفترة، ببيان خريطة الدولة في ذلك الحين، وأبرز الرجال القائمين على الولايات. حين استقرت الخلافة للسفاح سنة ١٣٢هـ، وقضى على بني أمية، كان عليه أن يختار ولاة لها، فجعل أبا مسلم الخراساني والياً على خراسان، واتخذ أبو مسلم «مرو» حاضرة لولايته، وهي التي كانت المرجع لرجال الدعوة والقواد قبل قيام الخلافة العباسية، وولى عمه عبد الله بن علي على الشام ومصر، وولى أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة، وما ولاها شرقاً إلى أرمينيا وأذربيجان. وكل من هؤلاء يدل على الخليفة بأعماله الكبيرة في سبيل الدعوة والدولة. أما أبو مسلم فهو صاحب الحظ الأوفر من بين الدعاة، مع أنه التحق بها بعد ربع قرن من إرسال الدعاة الأذكياء المخلصين، وبدأت الدعوة سنة مائة من الهجرة، بأمر الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقدم أبو مسلم عليه في السنة التي مات فيها سنة ١٢٥هـ، ولما قام بالأمر ابراهيم الإمام بعد أبيه، جعل من أبي

مسلم رئيساً على الدعاة ، وقال له القولة المعروفة « أنت منا آل العباس » ومن توجيهاته اليه : « إن استطعت أن لا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل ، ومن شككت في أمره فاقتله » وقد نفذ أبو مسلم وصايا ابراهيم الإمام بحزم وعزم وقوة ، وهو الذي أعلنها ، وأمر بلبس السواد ، ولأنه دخل الدعوة بعد تمهيد طويل وجهاد شاق ، قال سليمان ابن كثير عنه : « حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا وأجرى فيه الماء » وكان مصيره القتل بيد أبي مسلم ، لأنه شك في أمره بعد نجاح الدعوة وقيام الخلافة . فأبو مسلم في نفسه وعند عامة القواد والجنود صاحب الدعوة . على أنه ولد عام بدء الدعوة سنة ١٠٠هـ .

وأما عبد الله بن علي فهو عم الخليفة السفاح وأخوته وأخو واحد وعشرين رجلاً ، يصلح كل رجل منهم أن يكون رئيس دولة ، حزماً وإقداماً وبصراً بشئون الملك والسياسة ، وهو يدل بقيامه بحرب مروان بن محمد والانتصار عليه وقتله في مصر ، ويمني نفسه بالخلافة بعد السفاح ، لأن السفاح قال لمن حضره من آل العباس : « من انتدب منكم فسار اليه فهو ولي عهدي » فكان عمه عبد الله هو المجيب والمنتدب .

أما أبو جعفر فهو أخو الخليفة ، والآخذ ببيعته ، والقائد المظفر في حصار يزيد بن عمر بن هبيرة أحد عشر شهراً حتى سلم وطلب الصلح ، وبذلك تمت رياسة السفاح على الدولة من فرغانة الى عانة ، والأندلس كانت في فوضى وحروب بين القيسية واليمانية ، وهؤلاء الثلاثة يتنافسون ، والخليفة الشاب على وعي بما يدور في نفوسهم ، ووضع كلا منهم في المكان الذي يحبه ، حتى يضمن استقرار الأمور واستتباب الأمن .

ولما تولى أبو جعفر قضى على ثورة عمه الذي بايع لنفسه ، وأراد أن يولي أبا مسلم الشام ومصر ، ويترك خراسان فرفض أبو مسلم ، ومن ثم كانت المراسلات ، ودعوته الى أن يقدم على الخليفة بالمدائن أو رومية المدائن بعد أن توقف في حلوان . مات السفاح سنة ١٣٦هـ ، في الثاني عشر من ذي الحجة ، وأبو مسلم وأبو جعفر في العودة الى الخليفة .

يقول الكاتب : « وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين ، وأبا جعفر ولياً للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفاً في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير ، وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة » وهذه العبارة تحمل خطأين ، الأول : أن السفاح لم يعلن ولاية العهد الا في آخر حياته ، حين شعر بالموت في أثناء حج المنصور وأبي مسلم ، فجعل المنصور ولي عهده ومن بعده عيسى بن موسى بن محمد ، وهو ابن أخي السفاح ، وقد مات السفاح بالجدري في ريعان شبابه (١٠٤هـ ١٣٦هـ) وقد مكث في الخلافة أربع سنوات تقريباً .

والمنصور الفقيه كان ثائراً على بني أمية مع كل ثائر ولم يكن في بني العباس رجل مثله نشاطاً وترقباً لنجاح الدعوة ، اجتمع في مؤتمر بني هاشم سنة ١٢٦هـ لاختيار إمام يدعون له ، وخرج مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الذي استولى على كثير من أطراف الدولة في فارس وغيرها ، فعمل له والياً على « كورة اينج » وهي بين خوزستان وأصبهان ، وارتكب خطأً عوقب عليه ، فقد جمع الأموال وضمها لنفسه ، واتجه بها الى البصرة ، فقبض عليه سليمان المهلبي والي البصرة لبني مروان ، فأمر بضربه بالسياط . فقال أبو أيوب كاتبه ـ ووزير المنصور فيما بعد ـ : « أيها الأمير ، لا تفعل ، فان الخلافة ان بقيت في بني أمية فلن يسوغ لك ضرب رجل من عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم ، لم تكن لك بلاد الاسلام بلاداً » ، ولكن المهلبي لم ينتصح فضرب أبا جعفر أربعين سوطاً ، فارتمى أبو أيوب عليه ليمنع الضرب عنه . . وكان أبو جعفر يذكر تلك الحادثة ويتعض من ذكرها ، وقد خاض البلاد الاسلامية شرقاً وغرباً ، وذهب الى القيروان بأفريقية لاحضار زوجة أحد العباسيين التي مات عنها زوجها وأنجبت بنتاً ، وتعرض لطلب والي بني أمية ، واختبأ في قصر صهره الحميري هناك ، فهو ثائر جائل لا يكف عن العمل ، أما فقهه فكل أبناء علي بن عبد الله بن عباس على شاكلته ، كانوا أحفظ الناس للقرآن ، وأعمقهم فهماً له حين قامت دولتهم ، كما يقول ابن سعد كاتب الواقدي في الطبقات الكبرى ، وكيف لا يكونون كذلك وهم أحفاد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ؟

شيء واحد كان يؤلمه في أغلب ظني وهو أمه ، اسمها سلامة ، اشتراها محمد بن علي وأعتقها

وتزوجها ، وهي من صنهاجة المغربية . فكان أبو مسلم يذكره باسمها « ابن سلامة » .

وتحدث الكاتب عن « أبي سلمة حفص بن سليمان » وزير آل محمد الذي اتهم بحب « بني فاطمة » « العلويين » فقال : ان أبا مسلم أسرع باستدعائه ، ولم يتركه له فرصة لتوضيح أي شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه ـ يعني أبا جعفر ـ المذهول . . والتاريخ يقول : ان أبا مسلم كان في مرو حين قُتل أبو سلمة ، وان كان قتله بأمره وأحد رأي الإمام ، وكان قتله مأساة مثلت بالهاشمية ، أمر السفاح منادياً فنادى ان أمير المؤمنين رضي عن أبي سلمة ودعاه وكساه ، ولم يزل عنده حتى مضى من الليل أكثره ، ثم خرج أبو سلمة الى منزله يمشي وحده فعرض له « مرار بن أنس الضبي » ومن كان معه فقتلوه .

وأغلقت أبواب المدينة وقالوا قتل الخوارج أبا سلمة . وفي الغد أخرج فصلى عليه أخو الخليفة يحيى ابن محمد ، ودفن بالهاشمية ، فلم يشهد مقتله أبو مسلم ولا الفقيه المنصور ، وان اتفق المنصور معه على قتله حين استشاره في مرو .

وتمت بيعة أبي مسلم لأبي جعفر ، يقول الكاتب . وأمرُّ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى ، فقد استيقظ أبناء العم من « العلويين » وبدأ زعيمهم « عبد الله بن علي » يطالب بالخلافة لنفسه . وهذه العبارة تحتاج الى تصحيح سريع مريح ، ففي ذلك الوقت سنة ١٣٧ هـ لم تكن هناك عداوة بين العلويين والعباسيين ، وكان الشعراء يهتفون بخلافة بني هاشم . . وأمام من ؟ أمام عبد الله بن علي الذي وضعه الكاتب في العلويين ، جلس عبد الله بعد انتصاره وحوله جنوده من خراسان ، وبمجلسه بعض من بني أمية ، يبلغ عددهم أكثر من ثمانين رجلاً ، فقال شاعره :[1] .

أما الدعاة الى الجنان فهاشم
وبنو أمية من دعاة النار
من كان يفخر بالمكارم والعلا
فلهما يتم الأمر غير فخار

فعبد الله بن علي هذا عم السفاح وابي جعفر ، كان قد منى نفسه بالخلافة ، لأن السفاح صرح بولاية العهد لمن ينتصر على مروان بن محمد ، ولذلك خرج على المنصور وبايع لنفسه وحدث ما حدث ، ولم تنشأ العداوة بين العلويين والعباسيين الا سنة ١٤٥ هـ حين ثار « النفس الزكية » ودعا لنفسه بالخلافة ، وأغلب الظن أن كلمة « علي » في نسب عبد الله لبست عليه الأمر .

ويقول الكاتب عن استقبال أشراف العباس لأبي مسلم في المدائن : « كانوا كلهم تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره » ونقول للكاتب : في ذلك الحين سنة ١٣٧ هـ لم تكن بغداد قد بنيت لتكون حاضرة الخلافة ، فقد شرع المنصور في بنائها سنة ١٤٥ هـ ، وتوقف عن البناء لثورة « النفس الزكية » فلما قضى عليه عاد المنصور فأكمل بناءها ، فذِكرُ بغداد في حوادث ١٣٧ هـ مخالف لواقع الأحداث والتاريخ .

ويقول الكاتب : « لم ينس الخليفة شيئاً ، فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم ، وسأله أبو مسلم في قلق : يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ .

والأمير عيسى بن موسى بن محمد ليس خال الخليفة ، وإنما هو ابن أخيه ، وولي العهد من بعده ، وكان رجلاً جليلاً في بني العباس كما يقول الجاحظ ، وهو الذي قضى على العلويين والنفس الزكية وأخيه . أما سؤال أبي مسلم « يا عيسى أترى الخليفة يغدر بي » ؟ فلم يكن في الاستقبال ، وانما كان في اليوم الثاني ، وفي منزل عيسى بن موسى .

وبجانب ذلك بعض هفوات لا داعي لذكرها مثل حميد المروزي ونيزك الذي غير اسمه ، وأبو حميد هذا كان السبب في تعجيل بيعة السفاح ، وحديث الدعوة العباسية يطول فنكتفي بهذا .

ولا يفوتني أن أشكر للكاتب ما كتب ، فقد أغراني بالرجوع الى المراجع ، ونقد مقاله وبيان الحقيقة ، وكلانا شريك في جمع المعلومات وتنسيقها ، طلباً لتوضيح السِّير ، وإشاعة الثقافة الصحيحة . □

السيد حسن قرون

---

(١) أنشد الشعر سنة ١٣٧ هـ .

اقوال

افلاطون هو صديقي ، ولكن صديقي الاكبر هو الحقيقة .
اريسطو طاليس .

لا يبقى في الوادي الا حجاره .
الطاهر الوطار
الجزائر

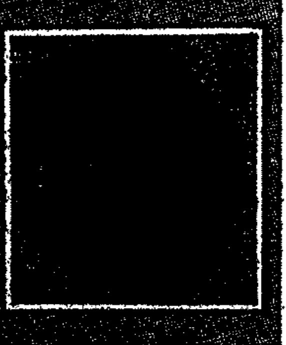


الابداع يأتي قبل أو بعد الاحداث الكبرى وليس في اثنائها .
عصام محفوظ
لبنان



« ما كل مثقف يصمت لأنه مقموع ، وما كل مثقف عربي مقموع يصمت ، وما من مثقف عربي يقوى أمام هذا القمع على أن يصمت ، فاذا صمت فذلك يقيناً لأنه ليس لديه ما يقوله ، أي تكون ثقافته ولو جاوزت الجوزاء جوزاً فارغاً » .
ـ أميل حبيبي

« شعر اليوم لم يعد ذلك الشعر الذي كان يزاحم على أبواب السلاطين ، أو الذي يكون أهم أهدافه الرسائل الأخوانية ، الشعر اليوم هو الشعر الحقيقي ، النابع من هموم ، والصاعد من هم ، ولا يزال له دور أكثر مما كان له في الماضي » .
ـ الشاعر عبد الله البردوني



« رأسمالي عاقل خير من اشتراكي جاهل » .

ـ كامل زهيري

الانسان العربي وبشكل خاص رجل السياسة هو طفل ! ومشكلته إنه يريد ان يتفرد بالحكم وينتزع السلطة من الآخرين ، بعبارة أخرى أن يحتكرها كلما اتيحت له الفرصة .
د . فاطمة المرنيسي
المغرب



« ما الذي يجمعني واليهود ؟ ليس هناك أي شيء تقريباً يجمعني ونفسي أنا ، ان علي أن اختبيء في زاوية ما راضياً بحقيقة اني قادر على التنفس » .
فرانتز كافكا

لم يكن غريبا أن يتصور الكثيرون أن مدينة هيروشيما اليابانية قد اختفت الى الابد عندما احترقت بهذا الجبل من النيران الذي خلفته أول قنبلة ذرية أطلقها الانسان من معقلها لتضرب المدينة وتقتل وتحرق كل اثر للحياة فيها .

لقد عاش اليابانيون يحتويهم الشعور بالتشاؤم والاحباط بعد ان رأوا عشرات الالوف من الاطفال والنساء والرجال يحترقون أحياء في ثوان معدودة تحت وهج الحريق المروع ، وما تلا ذلك من سقوط عشرات الالوف قتلى نتيجة اصابتهم بالاشعاع الذري الذي واكب الانفجار واستمر يعرض حياة أهلها للخطر لسنوات طويلة .. هؤلاء الذين لم يحترقوا في اللحظات الأولى للانفجار لانهم كانوا بعيدين عن دائرة الموت .

ولم يقتصر خطر الاشعاع على البشر ، لقد امتد لينفذ في بطن الارض وينفث سمومه في ترابها ، وقال الخبراء :

« لقد قتل الاشعاع الارض الطيبة ولن تنمو شجرة واحدة ولا نبتة في هيروشيما ، ان المدينة لن تكون صالحة للعيش فيها لسنوات وسنوات طويلة .. لقد ماتت ، ولن تعود اليها الحياة أبدا . ! »

وذهبنا اليها ، وفي رأسنا هذه الصورة .. وكانت المفاجأة ..

كانت هيروشيما تستعد للاحتفال بمرور أربعين عاما على الصيحة التي انطلقت تحت سمائها في أعقاب الحريق المدمر داعية الى السلام .. ووقفنا نتأمل المعجزة التي تحققت .. لقد رفضت المدينة ان تستسلم للجرح الدامي الذي أصابها فقامت تستعيد حيويتها ورفاهيتها . . .

لماذا هيروشيما ؟

ولكن لماذا اخترنا الذهاب الى هيروشيما ، ولماذا كان اصرار « العربي » على ان تكون هذه المدينة في مقدمة برنامج رحلتنا الطويلة الى اليابان ؟ لقد خرج العالم بعد الحرب العالمية الثانية أشلاء ممزقة .. في أوروبا وآسيا بصفة خاصة حيث بدأت الحرب وحيث انتهت .. كل المدن الكبيرة والصغيرة البعيدة والقريبة أصابها الخراب والدمار .. وعلى مدى الشهور التي انقضت وقف العالم كله يتذكر .. فقد كانت هناك مناسبة ستظل ذكراها محفورة في الأذهان .. كان التاريخ يقول ان أربعين عاما قد انقضت على نهاية الحرب التي ذهب ضحيتها الملايين من البشر ! .

ولكن تبقى بعد هذا هيروشيما رمزا لأبشع مأساة شهدتها البشرية .. حتى الذين لم يكونوا قريبين من مسرح الحريق الهائل المدمر .. وحتى الذين لم يكونوا قد أتوا بعد الى هذا العالم المضطرب الذي مزقته الاحقاد والاحداث الدامية .. حتى هؤلاء وهؤلاء يعرفون هيروشيما ويدركون حجم المأساة التي عاشتها هذه المدينة عندما ضربها الامريكيون بأول قنبلة ذرية فأحترقت بمن فيها وما عليها .. البشر والزرع .. والحيوانات والطيور .. البيوت والحياة التي انتزعت من جذورها - حتى صخور الجبال التي مرت امامها الاجيال ، وذهبت لتأتي من بعدها أجيال وأجيال .. حتى هذه الصخور تفتتت . وهي التي بقيت شامخة قرونا تتحدى الزمن !

حدثنا صاحبنا المسؤول الياباني الذي رافقنا في رحلتنا ، قال : « لقد أحصوا الذين احترقوا في هيروشيما من سكانها في اللحظات الاولى من الانفجار المروع ، فوجدوهم يزيدون على المائتي الف قتيل .. واحصوا الذين قضوا نحبهم بعد ان هدأ الحريق وانطفأت جذوته فاذا بهم يزيدون على المائة الف قتيل .. ماتوا جميعا تحت تأثير الاشعاع النووي الذي تسبب في اصابتهم بامراض قاتلة ..

« في الساعة الثامنة والربع من صباح اليوم السادس من أغسطس عام ١٩٤٥ ، كانت مأساة هيروشيما التي مازالت صورتها حية في أذهان اليابانيين وفي ضمير العالم كله .. وفي الشهر الذي مضى خرجت المدينة ، كما تعودت أن تفعل كل عام تحتفل بالسلام الذي تحمله أسراب الحمائم فوق أجنحتها وهي تحلق في سماء هيروشيما .. انها لن تنسى هذا التاريخ الذي انتهت فيه الحياة فوق أرضها ثم جاءت من بعده حياة جديدة ! »

صيحة السلام

من هنا .. من قلب هذه المدينة الجديدة التي قامت فوق أنقاض هيروشيما المحترقة ، ارتفعت الصيحة ، وسمع العالم كله دويها .. وهي صيحة تكررت وتتكرر مع مولد كل عام جديد في اليوم السادس من شهر أغسطس ، وقد انطلقت لأول مرة بعد مرور عام واحد على الحريق ، وكان اليابانيون لم يفيقوا بعد من هول المأساة التي عاشها اخوانهم في هيروشيما .. كانوا قد بدأوا يعودون اليها .. الى الأرض التي تحولت تحت أقدامهم الى رماد وحطام .. ونظروا حولهم فلم يجدوا شيئا .. كان كل أثر للحياة التي كانت،قد اختلط بالرماد الذي خلفه الحريق المدمر .. كانت الصورة قريبة لما يمكن أن يصنعه الشر الكامن في قلب الانسان عندما يتحالف مع التقدم العلمي الذي لايكون دائما لخير البشرية !

« قال مرافقنا : في السنوات الاولى بعد الطوفان كان العائدون يلتقون في ذكرى احتراق هيروشيما ليصلوا من أجل هؤلاء الذين دفعوا حياتهم ثمنا لمولد سياسة السلام أو المسالمة في هذا العالم الواسع الذي مازال يعيش تحت شبح القنابل الذرية والهيدروجينية ..

« ثم تحولت الصلاة من أجل ضحايا هيروشيما ، الى صلاة من أجل السلام .. وشدت الاجتماعات التي تقام سنويا في ذكرى احتراق هيروشيما الألوف من زعماء العالم المحبين للسلام فجاءوا ومازالوا يجيئون ليشاركوا عمدة المدينة في صلاته : « لاهيروشيما بعد اليوم » . الى أن كانت ذكرى مرور ربع قرن على مأساة هيروشيما ، في عام ١٩٧٠ ، عندما شهدت المدينة لأول مرة أضخم تجمع من نوعه للسلام في الفترة مابين الحادي عشر من نوفمبر واليوم الثاني من ديسمبر .. وخلال تلك الاسابيع الثلاثة ، كان المدعوون من العلماء والفلاسفة ورجال الفكر وقادة الحركات السلمية في اليابان وفي العالم الواسع من حولها يلتقون في هيروشيما .. لقد أصبحت معبد السلام »

وانتصرت ارادة الانسان

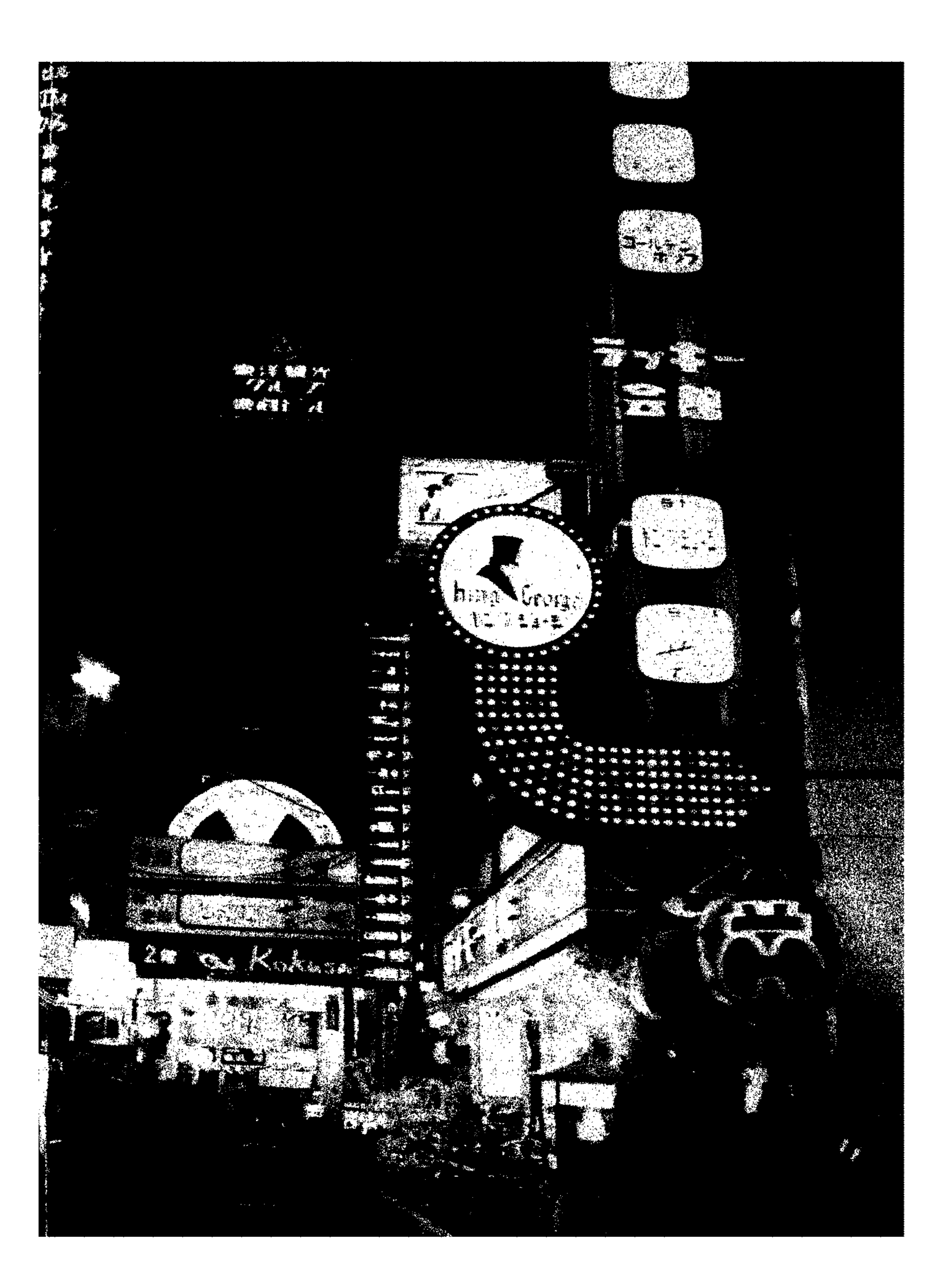
ويمضي المرافق في حديثه :

« وفي هذا المؤتمر ، كان مولد هيروشيما الجديدة قد اكتمل أو كاد .. لقد تحققت المعجزة وقامت المدينة الحديثة الجديدة في أقل من ربع قرن فوق الرماد والحطام والركام ! »

« ولم يكن غريبا ان تنتصر ارادة الانسان وهو يرى كل شيء من حوله مهددا بالزوال .. الأرض التي يقف عليها والسماء التي يستظل بها وحتى وجوده نفسه .. وكان عملا شاقا متصلا لابد أن يشارك فيه كل من كتبت له الحياة بعد الحريق .. حتى الذين لم تكن تربطهم بالمدينة المحترقة صلة من بعيد أو من قريب .. كلهم جاءوا اليها وكلهم ساهموا في اعادة بنائها .. فقد كانت اليابان كلها تئن من الجرح الدامي الذي أصابها ابان الحرب..وكان لابد أن تصحو من هذا الرقاد الذي كانت تغط فيه ، وبدأت بناء



- خريطة تبين موقع هيروشيما في قلب الجزر اليابانية التي تسبح في المحيط الهادي .

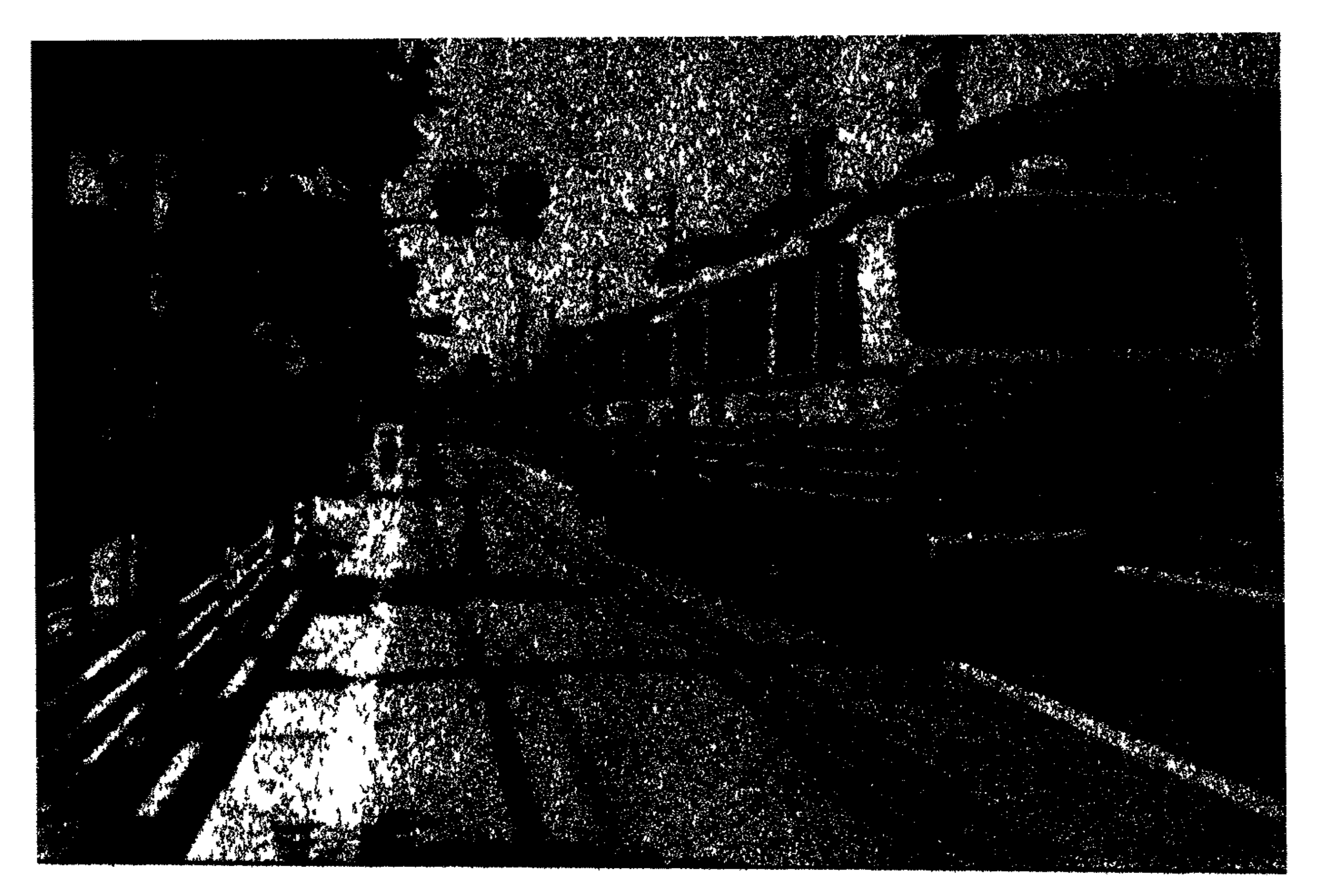

ラッキー



ـ صلاة من أجل السلام

ـ الهروب من الجحيم .. أم رغم عنها .

ـ الجرس يدق للسلام مرة كل عام .



ـ احد شوارع هيروشيما الحديثة خلال النهار   انه يكاد يخلو من المارة ، لأن الجميع في أعمالهم

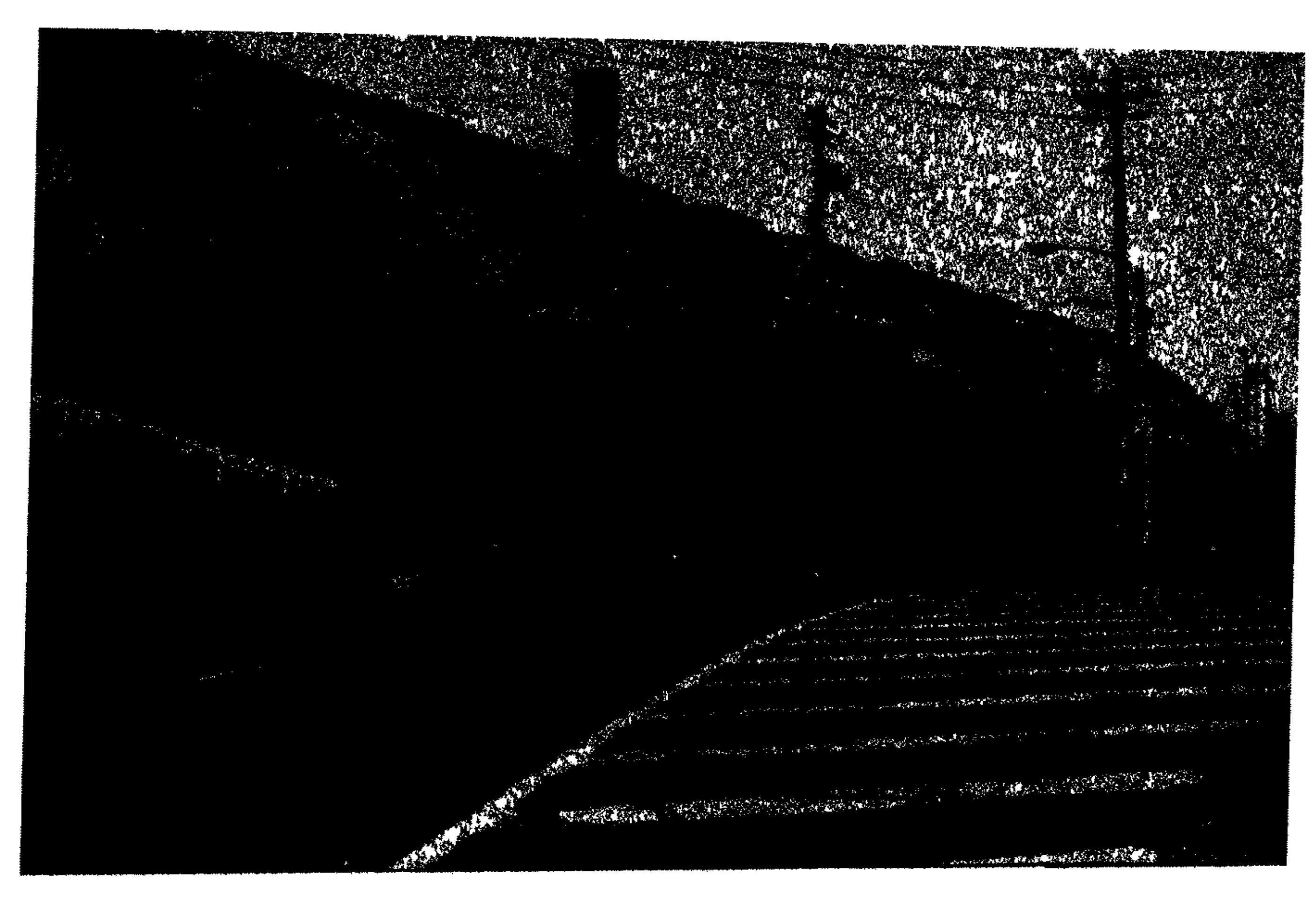
نفسها وبناء الحب من أجل السلام وبناء الانسان الياباني الجديد الذي نزعوا عنه الروح العسكرية وغرسوا في وجدانه الحب من أجل السلام والبناء والحياة . . »

ومن وراء نافذة الطائرة التي حملتنا من طوكيو العاصمة وثاني أكبر مدينة في العالم رأينا معالم المدينة الجديدة . . مدينة هيروشيما بعد رحلة استغرقت ساعة وبعض الساعة . . وفاق ما رأيته كل ما كان يدور في رأسي منذ تلك اللحظة التي بدأنا نستعد فيها لزيارة هذا البلد البعيد الذي يسبح بجزره في المحيط الهادي ، بعد أن عاد الهدوء الى أمواجه العاتية التي ابتلعت مئات الالوف من البشر في الحرب التي شوهت وجه البشرية !

وكنا كلما ازداد اقتراب الطائرة من الارض وهي تستعد للهبوط ازدادت دهشتنا . . هل يمكن أن تكون هذه هي هيروشيما ؟ ان الصورة التي بقيت عالقة في ذهني على مدى هذه السنين التي أعقبت الحرب العالمية الثانية هي صورة الفراغ المخيف الذي تخلف عن القنبلة الذرية . . والتي نقلتها كل صحف العالم وبعدها لاشيء . . هل كان تقاعسا من جانب أجهزة الاعلام عندهم ؟ ربما . . ولكن الاحتمال الاكبر هو ان اليابان لم تنفتح على العالم العربي الا في السنوات الاخيرة . . وربما كان هذا أحد الاسباب التي أخفت عنا وجه اليابان الجديد رغم هذا الزخم الهائل من السلع والمنتجات اليابانية التي امتلأت بها الاسواق العربية من الراديو الترانزستور الى السيارة .

كل شيء جديد !

وكان لقاؤنا أخيرا بهيروشيما . . مدينة جميلة كادت بيوتها تختفي وراء الأشجار الخضراء الباسقة والزهور والحدائق . . مدينة حديثة . . كل شيء فيها جديد حتى الناس الذين تلقاهم في طريقك . . انهم يمثلون جيلا جديدا من الشباب والأطفال الذين جاءوا الى



ـ البيوت الحديثة في هيروشيما قامت عند سفح الجبل في صفوف متراصة فوق بعضها بعضا .

هذه الارض بعد الطوفان .. قليلون هم الذين عاشوا مأساة هيروشيما ورأوا المدينة تحترق .. ولكن كلهم يعرفون قصة هيروشيما .. بعضهم جلس ينصت اليها وهي تنقل اليهم على السنة الذين كتبت لهم الحياة .. وبعضهم رأوها ماثلة أمامهم من خلال الصور والتماثيل التي امتلأ بها متحف السلام في هيروشيما .. والاغلبية عرفوا تفاصيل المأساة أمام البيت الذي دمره حريق القنبلة وتركوا ماتبقى منه وسط حديقة السلام التذكارية في قلب المدينة وقريبا جدا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الفناء ..

والبيت لايمكن أن تخطئه عين .. انه يقف هناك في مكانه وكان من أجمل المباني التي شيدت في هيروشيما قبل الحرب .. ولايملك من يمر أمامه الا ان يتوقف ويتساءل : « ولماذا أبقيتم عليه ؟ » ويجيء الجواب « حتى لاننسى ! » ومع هذه المقدمة القصيرة تتابع القصة الكاملة للمأساة يرويها لك حارس الحديقة اذا كنت زائرا ولم تسمعها وحتى الذين قرأوا عنها وسمعوها تجدهم على استعداد دائما لان يسمعوها مرة ثانية وثالثة ، كلما مروا بالبيت الذي أحرقته القنبلة ووقفوا يتأملون مايحمله من ذكريات ..

ونجول في أنحاء هيروشيما .. الاشجار الوارفة ولون الزرع الاخضر .. لون الحياة يضفي على المكان صبغة خاصة .. على كل مكان ذهبنا اليه خلال رحلتنا القصيرة التي لم تستغرق اكثر من أربع وعشرين ساعة ، كانت تحتضنه وتحنو عليه الأشجار التي زرعوها ونمت وكبرت حتى باتت تغطي بفروعها وأوراقها كل شيء حولها .. لقد عادت الحياة الى الارض التي احترقت ونفذ الاشعاع القاتل الى اعماقها !

البيوت الصغيرة شيدت عند سفح الجبل في صفوف متراصة تعلو بعضها فوق بعض .. العمارات الشاهقة والفنادق الأنيقة والمطاعم التي تنتشر في كل شارع .. في كل متجر كبير .. وحتى في دور الحكومة ، تقدم لروادها الوجبات في



— مدينة يجري كل شيء فيها على عجلات .. [illegible] في هيروشيما اكبر مصنع لانتاج الدراجات .



[illegible]



مواعيدهما . . وهي تهتم بوجبة الغداء ، لان يوم العمل يبدأ في الصباح ولاينتهي الا قبل غروب الشمس بقليل . . وليس هناك متسع من الوقت يسمح للعاملين والموظفين بالذهاب الى منازلهم لتناول الغداء والعودة الى أعمالهم مرة أخرى . . ثم ان الزوجة أيضا تعمل . . والاطفال في مدارسهم ، أو في دور الحضانة ، وشمل الاسرة لايجتمع الا عند الغروب . .

دور المرأة !

والمرأة في اليابان ليست عضوا خاملا في المجتمع . انها تشارك الرجل في المصنع وفي الحقل وفي شتى مجالات الحياة قبل الزواج وبعد الزواج . . وربما كان دورها هنا في هيروشيما أكبر وأهم منه في أي مكان آخر . . فقد ساهمت مساهمة فعالة في اعادة الحياة الى هذه المدينة التي ماتت ثم بعثت الى الحياة من جديد . .

والفتاة اليابانية تتزوج ولكنها تفضل ان تدخل هذه التجربة بعد سن النضوج ، وهو عندها حول الخامسة والعشرين . أما متوسط سن الشاب الذي يقدم على الزواج فهو يرتفع قليلا الى الثامنة والعشرين . .

قال لنا صديقنا الذي رافقنا خلال رحلتنا الى هيروشيما : ان الاحصائيات تقول أن هناك عرسا يتم كل أربعين ثانية في اليابان وأن معظم الزوجات يفضلن الاستمرار في عملهن بعد الزواج . . وهذه الاسر الصغيرة الجديدة غالبا ماتكتفي بطفل واحد أو طفلين على الاكثر . . ولذلك فان نسبة الزيادة في تعداد السكان لاتزيد على سبعة من عشرة في المئة ، أي أكثر من نصف في المائة قليلا . .

ويقام تسعون في المائة من حفلات العرس في معابد الشنتو[1] ، وقد زرنا أحد هذه المعابد الشهيرة بمدينة هيروشيما ، وهو يقع على الجانب الآخر من شاطىء الخليج الدافىء الضيق الذي تجري فيه العَبّارات التي تربط بين قسمي المدينة اللذين تفصل بينهما مياهه . . معبد كبير يأتي اليه الزائرون من كل مكان . . وقد بقي على ماهو عليه باستثناء بعض الدمار الذي أصابه من الانفجار الذري ، ولكنه صمد وأعيد ترميمه رغم مرور ثمانمائة عام على بنائه وتوسيعه في القرن الثاني عشر الميلادي . .

وحول المعبد الكبير رأينا قطعان الغزلان تمرح في هدوء وتشارك الزائرين الطعام الذي يحملونه معهم . . ان الغزال هنا حيوان مقدس وهو يتكاثر وينتشر في المنطقة المحيطة بالمعبد على شاطىء الخليج مباشرة . . ثم هو لايكتفي بالطعام الذي يقدم اليه ، وانما يشارك أيضا في مهرجان البحر الذي يقام أمام المعبد في اليوم السابع عشر من شهر يونيو من كل عام ، عندما ترتفع مياه الخليج ويزداد المد ويبدو المعبد كله وكأنه يسبح في البحر . .

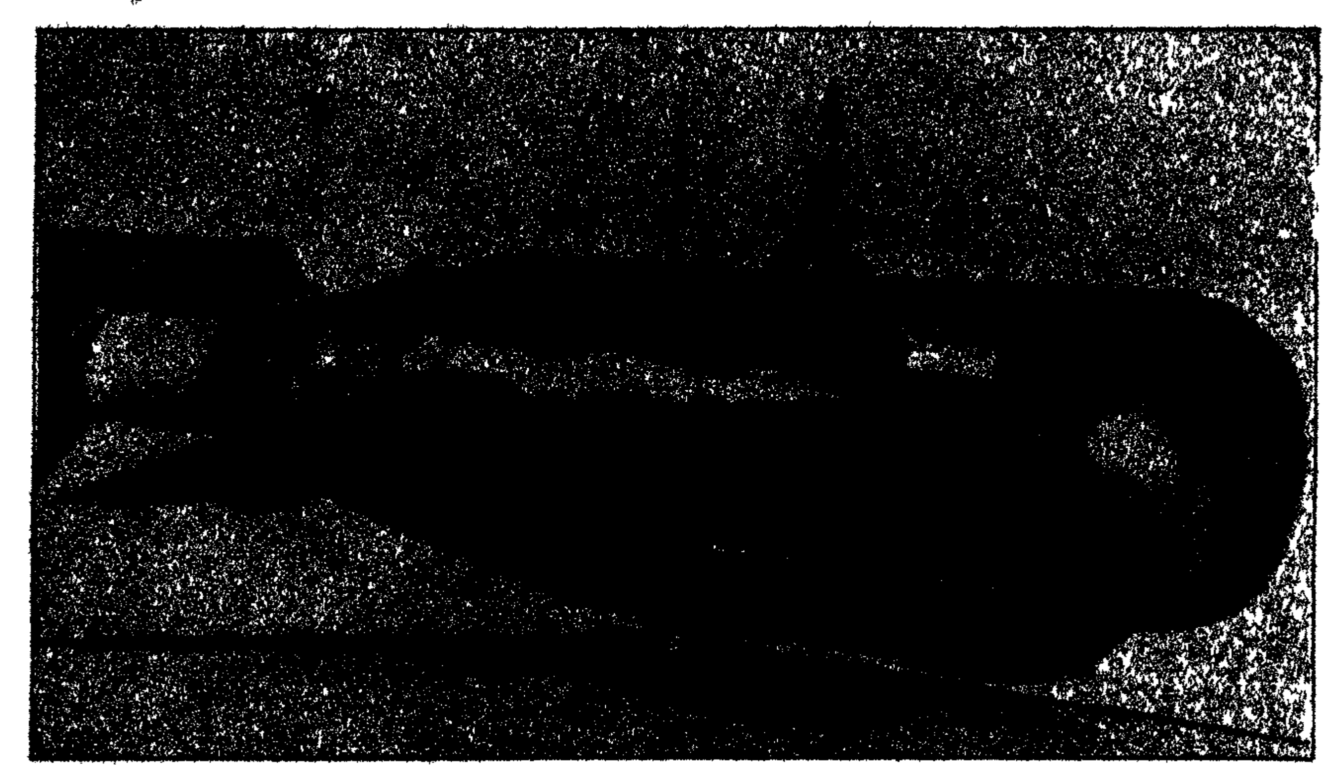
وتضاء الانوار وتعزف الفرق الموسيقية الحانها ويرقص الزائرون على أنغامها الهادئة وترقص الغزلان طربا . .

ونترك المعبد ونستقل العَبّارة عائدين الى المدينة . وكانت الشمس قد أوشكت على الغروب . . ولا أدري لماذا ولا كيف قفزت الى رأسي فجأة كلمات قرأتها لارنست هيمنجواي عندما قال : « اذا أردت أن تتعرف على شعب ، فاخرج الى الشارع عندما يغوص قرص الشمس في الأفق ويلف الظلام المدينة التي جئت اليها تبحث عن الحقيقة ! »

ولم نعد الى الفندق ، لقد مضينا نجول في شوارع هيروشيما بالليل . . كان هذا « العالم الجديد » من حولنا يسبح في الاضواء . . الشباب يغني للحياة الجديدة . . الطرق الواسعة تضيق بالدراجات التي تتزاحم للوصول الى قلب المدينة الذي ينبض بالحياة . . المحال التجارية والمطاعم ودور السينما واللهو تزدحم بروادها الكبار والصغار .

---

(١) الشنتو ، ديانة اليابان الأصلية وهي تقوم في المقام الأول على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة والقوى الطبيعية ، والكلمة بمعناها الحرفي تعني الطريق إلى الآلهة . ولكن الشنتو ليس لها مؤسس ولا عقيدة ، ولا تعاليم مكتوبة ومع هذا فقد عاشت طويلا في اليابان . ثم جاءت البوذية والكونفوشية ، وتأثر اليابانيون بتعاليم كونفوشيوس فيلسوف فلاسفة الصين أكثر من الصينيين أنفسهم .



ـ القنبلة الذرية التي القيت على هيروشيما منذ اربعين عاما كانت تحوي في جوفها كيلوجراما واحدا من الذرة التي اشعلت ابشع حريق على الارض

الضحكات . . . الابتسامات على الوجوه . . أنها فرحة الحياة !

أين نحن ؟

ونمضي في رحلتنا نتأمل صور الحياة الجديدة من حولنا . . كل شيء فيها يقول انها قد تكون احدى مدن أوروبا . . فهي قريبة الشبه بمدن المانيا وسويسرا . . ولولا هذه « الشخصيات » الغربية التي كتبت بها أسماء المحال التجارية والشوارع والميادين التي تنتشر في كل مكان وتحمل كلها اسم « السلام » لقلنا أننا ضللنا الطريق وأن الطائرة قد حطت بنا في مكان آخر بعيد تماما عن اليابان التي عرفناها من خلال ملابس أهلها وتقاليدهم وعاداتهم . . اللغة اليابانية وحدها هي التي مازالت تميز هيروشيما وغيرها من المدن اليابانية عن أية مدينة أخرى . . حقيقة أن الحضارة الغربية بدأت تزحف على اليابان منذ منتصف القرن التاسع عشر أو أكثر أو أقل ولكن الزحف لم يكتمل ولم يتأثر به الياباني الا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبداية دخول اليابان عصر البناء الحديث . . بناء اليابان الجديدة فوق الدمار الذي أحدثته الحرب وحوّل اكثر من ٧٠٪ من مدنها الى انقاض وأشلاء . .

هنا في هيروشيما ، ومع الطفرة الهائلة التي حولتها من تراب محترق اختلط باشلاء ودماء الضحايا والاشعاع المميت ، الى واحدة من أكبر المدن الصناعية في اليابان . . هنا في المدينة التي كانت مسرحا للدمار الذري الذي أعلن عن بداية عصر الذرة في الحرب والسلام تقوم اليوم احدى أكبر الشركات لصناعة السيارات في العالم . .

وهنا أيضا قامت المصانع لانتاج الدراجات الهوائية والنارية . . ووجد أهل هيروشيما في الدراجة أفضل وسيلة عملية للتنقل ، فأصبحت المدينة كلها تجري على عجلات . . وفي كل شارع ، في كل مكان يتسع لاقامة موقف للدراجات استطعنا أن نرى صورة لحجم هذا الاعتماد الكبير على الدراجة التي

- احتفال بعرس في هيروشيما : العريس ، مع أصدقائه يؤرجحونه في الهواء بأمر التقاليد !

- لاجئون من هيروشيما .



- عجوز : لا زال وجهها يحفظ المأساة .



- لم تكن هناك وقت الانفجار .



- راهب بوذي لا يكف عن الصلاة

ـ تحية . . وزهور وابتسامة للحياة .







ـ اثنان من المحاربين القدامى . . وأقدامهم على الأرض .

ـ أسطة جاسمي على الطريق .

يستخدمها معظم أهالي المدينة .. الشباب والشيوخ .. النساء والاطفال من مختلف الأعمار .!

عودة الى الأرض

ان اقتصاد المدينة التي أرادوا لها الموت ، لايعتمد على الصناعة وحدها ، فقد عاد أهلها الى الارض أيضا وراحوا يستصلحونها ويزيلوا عنها آثار الدمار والحريق والاشعاع السام المدمر .. وأصبحت اليوم من أكثر أراضي اليابان الزراعية عطاء .. انها تنتج الان جميع أنواع الفاكهة وفي مقدمتها اليوسفي الذي تصدره الى مختلف انحاء البلاد .. وكل انواع الزهور في بلد يعشق أهله الورود والرياحين والاشجار الخضراء الوارفة التي تظلل كل شبر من الارض بقي شاغرا ، حتى ليخيل اليك وانت تنتقل ببصرك خلال جولتك بين شوارعها ومبانيها الحديثة أن الاصل هو الزرع ، وأن المباني من حوله انما جاءت بعد البساتين والحدائق وصفوف الاشجار التي تلقي بظلالها على جانبي الطرق الفسيحة التي تتقاطع في شكل هندسي رائع بطول المدينة وعرضها عبر الكباري والجسور التي أقيمت فوق مياه الخليج وفوق أحد فروع نهر اوتا الذي تتدفق مياهه الحلوة في قلب المدينة .

وفي هيروشيما كان لقاؤنا بالمعنى الكبير الذي تحمله كلمة السلام التي اصبحت أغنية ونشيدا وصيحة مايزال صداها يدوي كل عام مع ذكرى اليوم الذي ماتت فيه المدينة .. في الميادين ، ووسط الحدائق العامة ، حول الارض الفسيحة التي تحيط بمتحف هيروشيما الذي يحكي قصة مأساتها .. وفي كل مكان يمكن أن تصطدم عين الزائر به ، رأينا ترجمة رائعة شارك فيها العديد من الفنانين اليابانيين وغير اليابانيين .... هؤلاء الذين جاءوا ويجيئون مع مولد كل عام من الاعوام الاربعين التي مضت والتي سوف تجيء .

السلام .. السلام

هناك النصب التذكاري الذي أقيم قريبا من المكان الذي سقطت فيه قنبلة الموت وقد حفروا عليه باللغة اليابانية عبارة تقول « كتب من الماضي » وتحوى هذه الكتب أسماء كل الذين أحرقتهم القنبلة الذرية ثم عبارة تحمل صلاة ورجاء : « لترقد كل الارواح هنا في سلام .. لاننا لن نعيد الشرور التي ارتكبت » .

ثم المقبرة الجماعية التي تحوي رفات اعداد لاتحصى ولاتعد تحت مرتفع أقاموا فوقه نصبا ، ومن حوله أشجار خضراء وارفة تظلل المكان الذي اختلطت فيه الاجساد المحترقة بأديم الارض التي تكسوها الحشائش الخضراء ..

وعند تمثال أطفال القنبلة وقفنا نستمع الى قصة الطفلة الصغيرة التي احترقت بعد تعرضها الى الاشعاع الذري وهي ذاهبة الى مدرستها في الصباح لحظة القاء القنبلة واندلاع الحريق الهائل .. لقد كانت مأساتها هي التي حفزت أهالي هيروشيما الى اقامة هذا النصب التذكاري في الحديقة العامة للسلام تعبيرا عن أملهم في قيام عالم يسوده السلام بعيدا عن شبح القنابل الذرية .

قال لنا مرافقنا : « ومع هذا الامل تدوي دقات هذا الجرس وترتفع الصلوات من أجل السلام ، في ذكرى احتراق هيروشيما في السادس من اغسطس كل عام !

ثم أشار بيده الى الجرس الذي مضى يدق على مدى هذه السنوات الطويلة انه يتدلى تحت قبة شيدت من الاسمنت المسلح لتحميه من مياه الامطار حتى لايعلوه الصدأ وتخفت دقاته التي يريدون لها أن تبقى قوية عالية تدوي تحت سماء هيروشيما ..

وتماثيل أخرى كثيرة امتلأت بها المدينة التي تعيش المستقبل وتصلي من أجله ، ولا تنظر أبدا الى الوراء .. تمثال المدرسة التي تحمل طفلا احترق في الجحيم الذي نزل الى الارض .. تمثال رجل وامرأته وطفلهما يصلون من أجل السلام .. وآخر لأم مع طفليها في محاولة للهرب من هذا الجحيم ! وأخيرا « نافورة » السلام التي تتدفق منها المياه وتتجمع حولها الحمائم والاطفال !

ثم ماذا ؟ قال لنا مرافقنا الياباني الذي يتحدث الانجليزية بطلاقة وهو يشرح لنا معنى السلام الذي أعادت اليابان في ظلاله بناء نفسها من جديد : « لقد استسلمت اليابان في الحرب العالمية الثانية بعد ضرب هيروشيما ، ثم ناجازاكي بالقنبلة الذرية .. ولكن



ـ جانب من المتحف الملحق بمعبد الشنتو الذي نجا من الحريق المدمر .

ليس معنى هذا ان اليابان قد ركنت الى الاستسلام . . بالعكس . . ان هناك فارقا كبيرا بين السلام والاستسلام واذا كنا قد استسلمنا ، فلأننا أردنا ان نجنب أنفسنا وأعداءنا مزيدا من الدمار والقتل . . ان لدينا اليوم جيشا قويا . . ونحن قادرون على الدفاع عن أنفسنا ضد أي عدوان . . ولكننا أبدا لن نكون البادئين بالعدوان . . لقد ارتكبت اليابان أخطاء كثيرة ابان الحرب ، ولكنها لن تتكرر . . ثم نحن لانملك القنبلة الذرية ، ولن نمتلكها ، فنحن لانريد أن نصنع بأحد ماصنعه أعداء الامس بنا ، ومن أجل هذا ندعو الى قيام عالم جديد تعيش فيه البشرية بعيدا عن شبح هذا السلاح المدمر الذي سيقضي على الحياة كلها في أي حرب ذرية !!

وتبقى بعد هذا قصة هيروشيما . . المدينة التي عادت الى الحياة من جديد . . ترى كيف بدأت الحياة في هذه البقعة من الأرض ؟

أقرب تاريخ لهذه البداية كان منذ أربعة قرون أو في عام ١٥٨٩ على وجه التحديد عندما شيد أحد امراء الاقطاع في اليابان واسمه نيروموتو موهري قصرا عند مصب نهر اوتا وأطلق على القصر اسم « هيروشيما » . . وبعدها بدأت المدينة تنتعش واشتهرت بين اليابانيين باسم « مدينة القصر » ، ثم راحت تنمو وتتسع كواحدة من أجمل مدن اليابان !

ثم كانت الحرب العالمية الثانية التي انتهت بدورها ، بعد ان تحولت هيروشيما الى ترسانة عسكرية . . وكان تحول « مدينة القصر » الى مخزن للاسلحة والعتاد الحربي ، هو السبب المباشر في اختيار الامريكيين لها ، دون سائر المدن اليابانية لضربها بأول قنبلة ذرية . !

. . ثم بدأت الصحوة !

هيروشيما كانت قمة المأساة التي تعرضت لها اليابان في الحرب فقد كان الدمار فيها شاملا كما ذكرنا لم يبق منها شيء ولو صغيرا يوحي بالحياة التي كانت تنبض بها هذه المدينة الصغيرة قبل الجحيم الذي احترقت فيه . . ولكنها لم تكن وحدها فقد كان الدمار ، كما ذكرنا ، قد عم أجزاء كبيرة ومساحات هائلة من مدن اليابان وقراها . . في الريف والحضر . . في المصانع والمزارع ، كان حجم الكارثة التي حلت بالبلاد اكبر من كل تصور . .

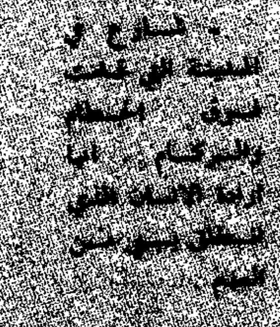






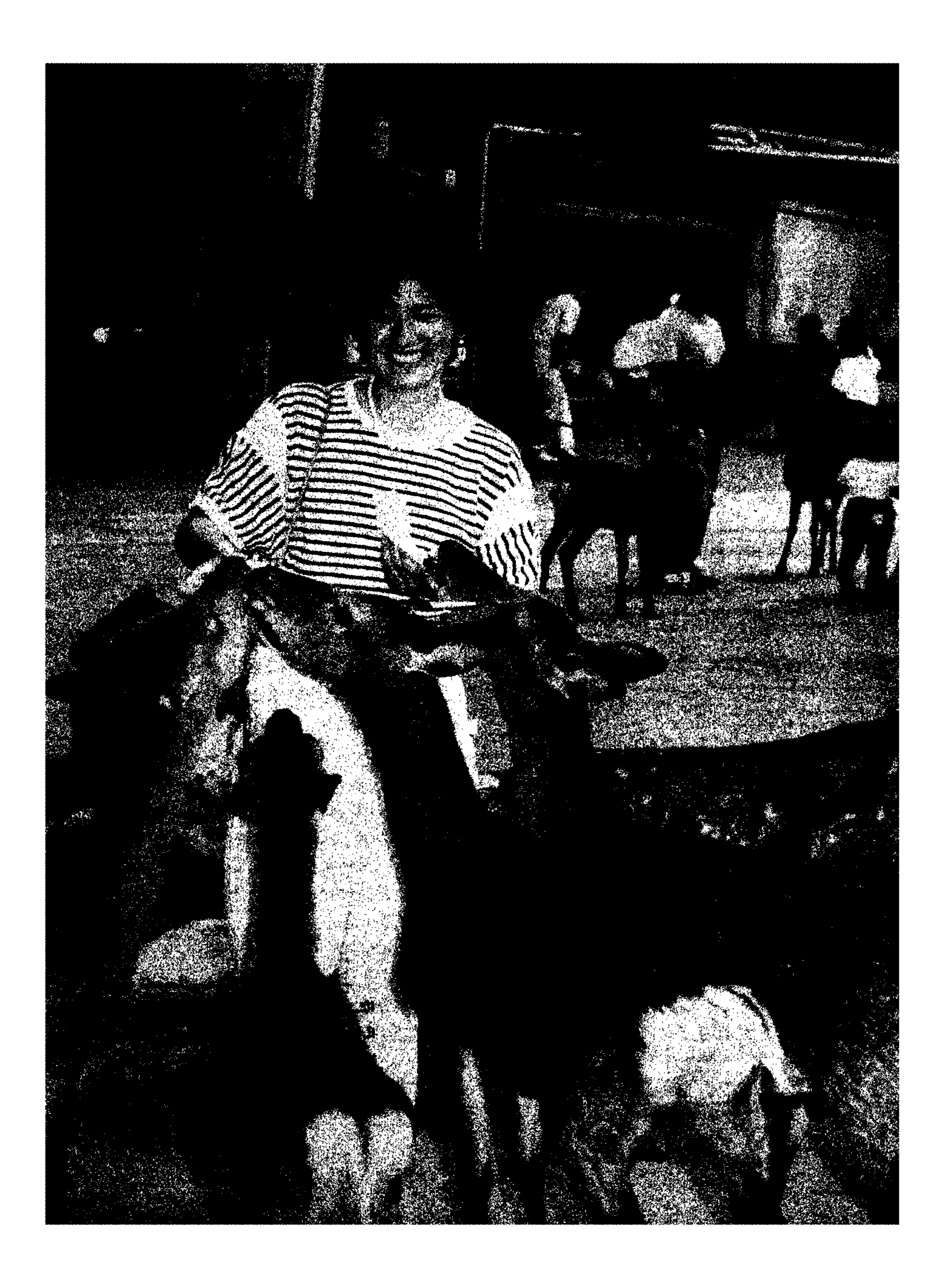
• الزي الشعبي . . أ[illegible] الأطفال !

• الشرفات التي تشرف على مياه الخليج والربط بين شطري المدينة



• شوارع في المدينة التي عرفت الشرق . . [illegible] بالسلام والتركمان . . أما [illegible] الأسواق التي [illegible] [illegible]





ولكن كانت هناك دولة ومن ورائها شعب يرفض الهزيمة . . وقام الاثنان كومة رجل واحد ، وكان الهدف الملح والعاجل هو اعادة بناء وتعمير البلاد وانقاذ الاقتصاد القومي الذي اصيب بانهيار شامل . .

في البداية كانت الحاجة الى لقمة العيش تزداد الحاحا ، فالشعب جائع والمواد الغذائية شحيحة . . وبدأت الحكومة على الفور في تنفيذ برنامج توزيع الغذاء على الاهالي . ثم كانت المشكلة الثانية التي تمثلت في التضخم المالي الذي أحدثه اصدار الاوراق المالية بلاحساب في اثناء الحرب وكانت من أعقد المشاكل التي واجهت اليابان .

وكان الموقف العصيب يتطلب نهضة قومية شاملة ، ولكن من أين تبدأ وكيف ؟ واتجهوا أول ما اتجهوا الى الارض والى الاصلاح الزراعي ، من واقع المنطق الذي يقول إن المعدة الخاوية لاتعمل،وازداد الاهتمام بالزراعة نتيجة لانخفاض نسبة النمو الزراعي حتى في الفترة التي سبقت نشوب الحرب مباشرة نتيجة لنزوح أعداد هائلة من المزارعين الى المدن تاركين الريف يلفه الاهمال والنسيان ، فلما أعادوا توزيع الارض على المزارعين الذين أصبحوا ملاكها الجدد قوى التصاقهم بها واعتمادهم على نتاجها،وتضاعفت رغبتهم في العمل في الارض التي نسوها وهجروها . .

كانت البداية اذن في الارض ومع الزرع ولكنهم لم يهملوا الصناعة ، وعمدت الدولة الى توزيع أموالها التي كانت تتركز في المدن ، لتشمل الريف أيضا بعد أن انخفض عدد العاملين في الزراعة من ٤٥٪ ١٩٥٠ الى ١٩ ٪ فقط عام ١٩٦٧ ، نتيجة للحاجة الملحة الى الايدي العاملة في المناطق الحضرية حيث تتركز كل المصانع اليابانية . .

واستطاعت السياسة الجديدة للاصلاح الذي واكب حركة البناء والتعمير في كل أنحاء البلاد ، ان تحقق زيادة ملموسة في الانتاج الزراعي أغنت اليابان عن استيراد الكثير من المواد الغذائية التي كانت تنفق الملايين في سبيل توفيرها لعامة الشعب . .

ومضت عجلة الانتاج تدور ، وسياسة الاصلاح الاقتصادي تنطلق حتى وصلت باليابان الى ما وصلت اليه الآن من تقدم في مجال الصناعة،تقفز بها الى الصفوف الاولى بين الدول الصناعية الكبرى . . والحديث يطول وليس هذا مجاله . . وسوف نعود اليه في مجال اخر .

اعظم مباراة !

المهم أن هيروشيما ، كان لها النصيب الأوفر من هذه الاصلاحات ومن الجهود التي بذلت لاعادة الحياة اليها من العدم ، وربما نجد في بعض النتائج التي تحققت صورة لحجم هذا المجهود الذي شارك فيه اليابانيون ليصنعوا الحياة الجديدة على هذه الارض التي احترقت منذ أربعين عاما . .

لقد كان تعداد سكان المدينة حوالي ٣٥٠ الف نسمة لم يبق منهم احياء أكثر من خمسين ألف ممن شاء حسن حظهم أن يكونوا وراء الجبل الذي حماهم من وصول الاشعاع الذري اليهم . . وكانت مساحتها لاتزيد على ٦٥٠ كيلو متر مربع وقت الحريق المدمر . .

واليوم يعيش في هيروشيما أكثر من مليون نسمة . . ولم تعد مساحتها كما كانت عليه ، فقد اتسعت رقعة الارض في بلد تشكل فيه سلسلة الجبال أكثر من ٧٠ ٪ من كل مساحة الجزر اليابانية المأهولة ، فقد لجأوا الى هذا الجبل نفسه وراحوا يقتلعون أحجاره المحترقة ويجرفون صخوره وترابه ويردمون بها أجزاء من الخليج . . وزادت مساحة اليابس وأصبحت هيروشيما اليوم تقوم على أرض تصل مساحتها الى ٧٥٠ كيلو متر مربع . .

وبعد خمس سنوات من اليوم ، سوف تشهد هيروشيما أهم حدث في تاريخها بعد خروجها الى عالم الوجود من العدم الذي صارت اليه ، فسوف تقام على أرض هيروشيما الدورة الاولمبية للالعاب الرياضية ، بعد كوريا في العام المقبل . . هكذا سوف تتاح الفرصة للعالم كله أن يشهد قصة صمود الشعب الذي أعاد بناء اليابان . .

قصة البلد الذي سقط جريحا ، ثم عاد يقف من جديد ويضمد جراحه وينطلق . . انها أعظم مباراة فاز فيها الفريق الياباني ضد الهزيمة والدمار . □



الهدية..

هــو الحُـبُّ من شـتى دواعيـهـمُ أدعى … فـلا تَمنحى الأصواتُ من حولنا سَمْعا

وإن مــرت الأيــامُ خـلواً مــن الهــوى … فــلا تحسبى الأيام قــد أحسَنَتْ صُنعـا

فـــما كُــلٌ مــن الـقى علـينــا تحيــة … محباً ، ولا من غـابَ ضـاقَ بنـا ذَرْعا

هـو الحبُّ يدعــونا الى الفــوزِ بـالمُنى … فيـاخيرَ من يَدعـو الى خير مـا يُدعى

يــدور بنـا حــولَ النجــوم مــداعِبـا … وإن جدّ فالعشاقُ من حـولـه صـرعى

دعــانا الهوى همسـاً وقـال لَنـا : ائتيـا على الـرغم أو طـوعـا ، فجئنـا لــه طـوعـا

فــوالله لا ينــأى عـن الحُـبِّ عـاقـلٌ … يــرى نفحــاتِ الله تــدعــوه للرّجعى

هــنيئـاً لـقلبينــا فـقــد شَــعَّ فـيهـما … غــرامٌ غــدا زاداً لأفئـدَةٍ جــوعــى

فَهَيّــا معى نـسعى الى الغــايـةِ التي … تُضيء لهـا الأيـام والـرويح والمسعى

كــأن الــذى بينى وبـينــك سـابقٌ … وجــودي ، فلما جئتَ كنت بـه أوعى

تجيئـيـن لى مـن كــلِ حــلمٍ مـليئـةً … بما يُسعد الأرواح أو يمسـحُ الدمعـا

وكنتُ أجُـرُّ العمــرَ ـ قبلكِ ـ متعبـاً … فــمن لــيلةٍ وَجْـلى الى لــيلةٍ وَجـعى

أبِىّ جَفـافَ الصــدرِ بـالغيمـةِ التي … ســتمـطرهُ وعـداً فـتمــلؤه زَرْعــا

وتَــأتــينَ لى مــن عــاليـاتٍ مشيــرة … الىّ بــأنْ أرقـى اليـكِ وأن أسـعى

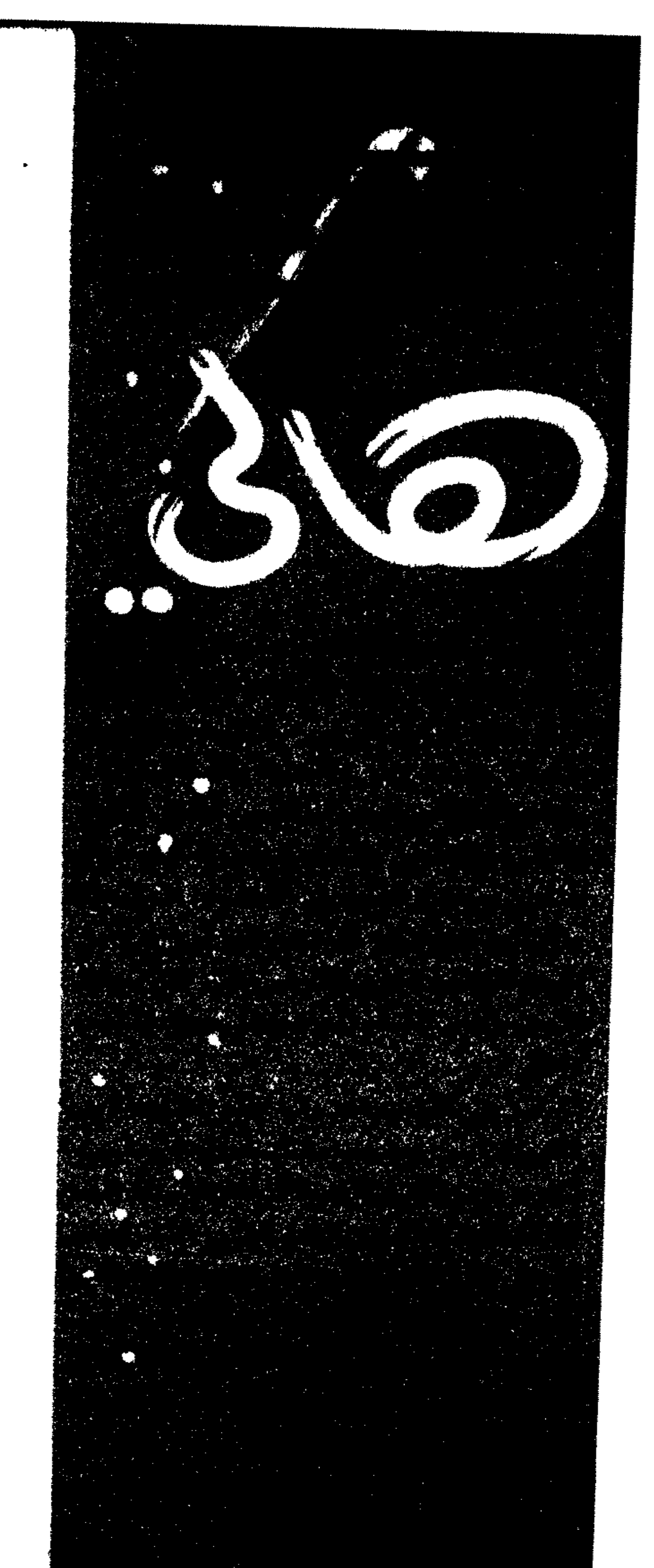
أتــدرين يــا عصـفــورة الحُب ، كـلما … خفقت جناح الـوصل حلق بى سبعا

أفيـضي علينــا من عـطايـاك نغتـن … فـانْ تصدق الأمطارُ لا يكـذبُ المرعى

المذنبات

جبال جليد في الفضاء

اعداد : رؤوف وصفي



يقترب مذنب هالي من كوكب الأرض في شهر نوفمبر القادم .. كرة هائلة متألقة من الغازات تجر وراءها ذيلا يبلغ طوله عشرات الملايين من الكيلو مترات فما هي المذنبات ؟ ومن أين أتت ؟ ومم تتكون ؟ وهل هناك احتمال أن تصطدم بكوكب الأرض ؟ ..

أقزام المجموعة الشمسية :

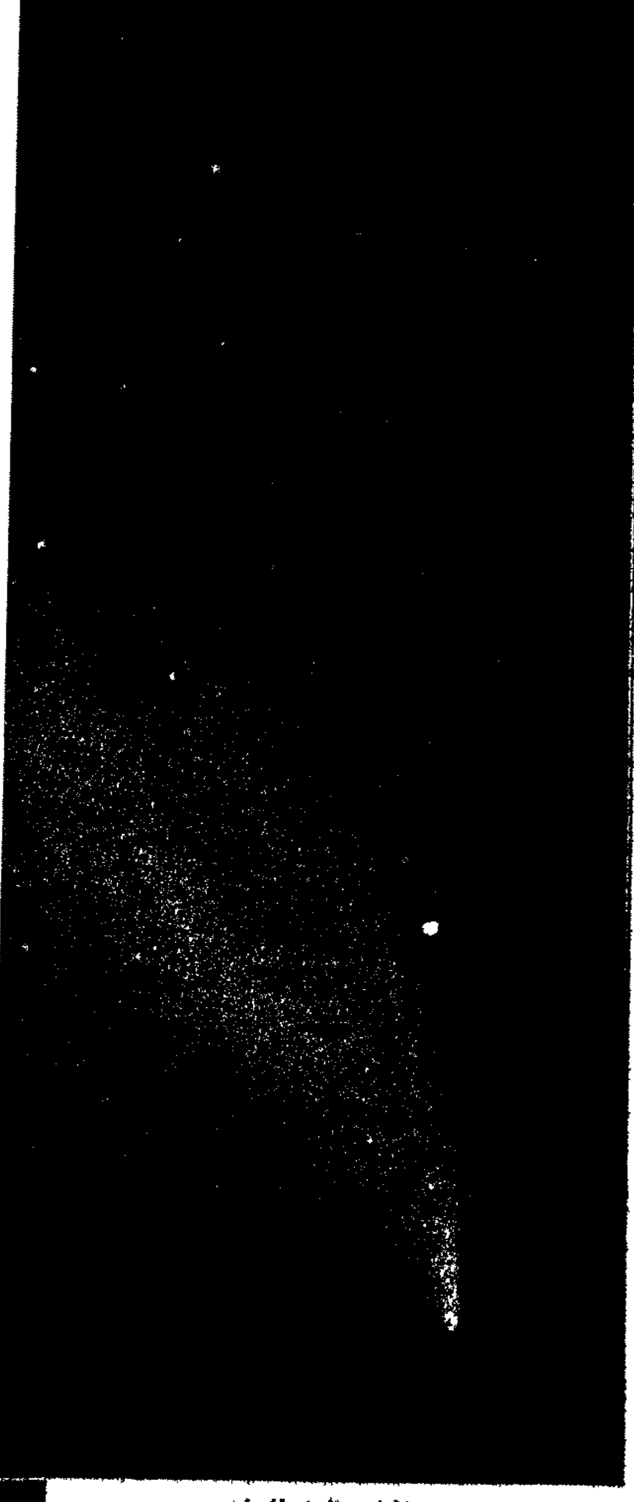
تتكون المجموعة الشمسية من الشمس وتسعة كواكب ـ وهي حسب بعدها عن الشمس ـ (عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشتري ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو) ، وكذلك نحو خمسة وأربعين قمرا طبيعيا تدور حول هذه الكواكب على أبعاد مختلفة . وبجانب هذه الأجرام العملاقة ، هناك عدد من الأجسام القزمة تتخلل المجموعة الشمسية هي المذنبات والكويكبات والشهب والنيازك .

ان أي نظرية تتعرض لدراسة أصل المجموعة الشمسية لا بد أن تعنى بدراسة هذه الأقزام الفضائية ، ذلك أن البعض منها يأتي من مناطق في الاطراف البعيدة للمجموعة الشمسية ، ومن ثم يحتوي على مواد لم تتغير منذ تكوين المجموعة الشمسية منذ حوالي ٦ , ٤ بليون [١] سنة ، ولهذا كانت دراسة هذه الاقزام بالغة الأهمية للعلماء ، للتعرف على المراحل الأولى لتكوين المجموعة الشمسية . وستقتصر دراستنا في هذا المقال على المذنبات

وتعتبر المذنبات من أعجب الأجسام الفضائية التي تجوب نظامنا الشمسي ، ويرجع هذا الى الطريقة الغريبة التي تظهر بها ثم تختفي وكذلك بسبب تغيير بعض المذنبات لمظهرها

وتثير المذنبات عند ظهورها في السماء خوف الناس ، أكثر من أي جسم فضائي آخر . فالمذنب يبدو متألقا ويجر وراءه ذيلا طويلا جداً ، قد يمتد عبر الأفق ، ومن ثم يبدو شكله مروعا ، كإبرة فضية هائلة تشق نسيج الفضاء .

وظن الناس قديما أن المذنب نذير شؤم ، وأن ظهوره في الفضاء يعني دمارا فوق كوكب الأرض ، حيث تصادف حدوث حروب وكوارث طبيعية عند ظهور المذنبات في السماء .



ـ المظهر العام للمذنب .

---

(١) البليون : ألف مليون (١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ويكتب هكذا ١٠٩ .

كما اعتقد الناس أن للمذنب شعراً طويلاً ينسدل وراءه [٢] ، ولم يكن العلماء قد اكتشفوا بعد طبيعة ذيل المذنب .

وعندما تقترب بعض المذنبات من الشمس ، يمكن لأي مشاهد فوق كوكب الأرض أن يرقبها بوضوح ، بالعين المجردة في أثناء الليل وخصوصا قبيل الفجر .

لقد تم اكتشاف حوالي ألف مذنب ، وفي الوقت الحاضر يتم اكتشاف مذنبات جديدة بمعدل خمسة الى عشرة مذنبات في العام ، ويطلق عليها أسماء مكتشفيها مثل مذنب كوهوتيك (عام ١٩٧٣) ومذنب وست (عام ١٩٧٥) وغيرها .

كرة الثلج القذرة

يتكون المذنب من غلاف غازي (يعرف بالذؤابة) يتخذ الشكل الكروي ، ويضم في مركزه مادة تعرف بالنواة ، ويسترسل من الغلاف الغازي ذيل طويل ، يمتد الى مسافات هائلة وراء المذنب .

ويمكن تقسيم المذنب الى : الرأس والذيل . ويضم الرأس ، النواة والغلاف الغازي . وتمثل النواة كتلة المذنب ، ويبلغ قطرها من ١٥ ـ ٣٠ كيلومتراً ، وهي مكونة من جزيئات مجمدة من الماء وثاني أكسيد الكربون والنشادر والميثان ، وكلها مختلطة بالغبار ، ومن ثم أطلق على النواة : كرة قذرة من الثلوج .

ويرى العلماء أن النواة مكونة من عدة أجزاء من الصخور ملتصقة ببعضها ومواد هشة ، بها مسام كالاسفنج ، وتحتوي على تجاويف غازية متفجرة .

ويكمن سر المذنب في نواته ، ولكن بسبب صغر حجمها فان من الصعوبة دراستها بمراصد كوكب الأرض ، ومن ثم يلجأ العلماء الى الدراسة الطيفية [٣] للغازات التي تنشأ عن تحلل النواة عند اقترابها من الشمس . وقد اتضح من هذه الدراسةوجود الكربون والنيتروجين والأيدروجين والاكسجين بين هذه الغازات .

وفي الموطن البعيد للمذنبات على مسافة شاسعة من الشمس ، فان هذه الغازات تتجمد مكونة غازات الميثان والنشادر والثلوج .

واتضح للعلماء أنه على بعد حوالي ثلاث وحدات فلكية [٤] من الشمس ، تصبح النواة ساخنة الى حد أنها تطلق كميات من الغازات ، ومن ثم يبدأ المذنب في تكوين الغلاف الغازي والذيل ، ويمكن معرفة نسبة تبخر الغازات من النواة الى الغلاف الغازي من كمية الضوء التي تمتصها الغازات ثم تعيد اشعاعها ، وهذا بدوره يوضح كمية الطاقة الشمسية التي تمتصها النواة حتى تسخن وتطلق الغازات .

وتأكد العلماء أن النواة تتكون من مواد هشة ، عندما شاهدوا من خلال مراصدهم نوى حوالي خمسة وعشرين مذنبا وقد انقسمت الى أجزاء ، سواء في أثناء اقترابها من الحضيض الشمسي ، أو عند مرورها بالقرب من كوكب المشتري ، ويرجع هذا الانقسام في النواة الى شقوق تحدثها القوى المدية الناتجة عن قوة جاذبية الشمس أو كوكب المشترى .

ويرجع هذا الانقسام في النواة أيضا الى أنها تتكون من مواد مجمدة ، أصبحت ضعيفة بسبب اطلاقها للغازات ، ومن ثم تحدث بها الشقوق فتنقسم .

وقد استطاع العلماء الحصول على عينات من غبار الفضاء ـ يعتقد أنها من حطام المذنبات ـ واتضح عند تحليلها أنها غنية بالكربون وذات لون أسود ، ومن ثم استنتج العلماء أن نواة المذنب مغطاة بطبقة سوداء من الكربون على الأقل ، عندما تكون مجمدة في موطنها البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ولكنهم لم يتأكدوا تماما من هذا الأمر ، حيث ان الغلاف الغازي الذي يحيط بالنواة يكون شديد التألق ، ومن ثم

---

(٢) اشتقت الكلمة الانجليزية Comet أي مذنب من الكلمة اليونانية Koma وتعني الشعر .

(٣) أي تحليل الضوء للتعرف على العناصر التي تكون مصدره .

(٤) وحدة لقياس المسافات داخل المجموعة الشمسية ، وهي تعادل المسافة بين كوكب الأرض والشمس أي حوالي ١٥٠ مليون كيلومتر .

يصعب رؤية النواة من مراصد كوكب الأرض .

وقد تتركز هذه الطبقة من الكربون فوق سطح نواة المذنب بعد تبخر طبقات الثلوج عندما يبتعد المذنب عن الشمس ، وهذا يفسر اطلاق كميات هائلة من الغبار عندما يعود المذنب للاقتراب من الشمس ، ولهذا يتحيل العلماء أن المذنب يشبه جبلا من الجليد يسبح في الفضاء وهو مغطى بطبقة من الغبار الأسود .

الغلاف الغازي المتألق

أما الغلاف الغازي للمذنب (اللؤابة) فهو عبارة عن سحاب رقيق يحيط بالنواة وقد يبلغ قطره حوالي مائة ألف كيلومتر أو أكثر .

ويتكون الغلاف الغازي للمذنب كما يلي : عندما يقترب المذنب من الشمس تبدأ المواد المجمدة في النواة في الذوبان والتبخر بسبب الرياح الشمسية (*) . أي أن الغلاف الغازي يتكون من مادةالنواة التي تحولت الى غازات وغبار ، وقد يفوق حجمها كوكب الأرض بعشرات المرات .

ويبدو الغلاف الغازي متألقا ذلك أن الذرات التي تتحرر من نواة المذنب الصلبة ، تتعرض للاشعاعات الشمسية التي تحولها الى ذرات مثارة ، أي أن الاشعاعات الشمسية وخصوصا فوق البنفسجية تؤثر على الذرات فتغير من تركيبها الداخلي ، وتنطلق منها الالكترونات . ويطلق على الذرات التي فقدت أو اكتسبت الكترونات : أيونات ، ويكون لها القدرة على الاشعاع والتألق .

أما السبب الثاني في تألق الغلاف الغازي فيرجع الى انعكاس أشعة الشمس على جزئيات الغاز والغبار المكون لها .

ويتوقف مدى تألق الغلاف الغازي على كمية الذرات فيه ، وعلى نوعيتها ، وأيضا على الأشعة فوق البنفسجية التي تمتصها ، وفي بعض الأحيان يزداد تألق الغلاف الغازي أكثر مما لو كان يعكس أشعة الشمس فقط .

واكتشف في عام ١٩٧٠ أن هناك سحابة هائلة من الأيدروجين تحيط بالغلاف الغازي للمذنب ، وقد يبلغ قطر هذه السحابة أكثر من مليون كيلو متر ، وربما تكون قد تكونت من تحلل جزئيات الماء في النواة بتأثير الاشعة فوق البنفسجية ، للاشعاع الشمسي ، ويفقد المذنب جزءا من مادته في كل مرة يقترب فيها من الشمس ، وبعد دراسةمدى تألق خطوط الابتعاث (٦) في الغلاف الغازي والاشعاع من هالة الأيدروجين لتي تحيط به ، اتضح للعلماء أن المذنب يفقد عدة أمتار من سطح نواته في كل مرة يقترب من الحضيض الشمسي . وقد ينتهي المذنب تماما بعد حوالي ١٠٠٠ دورة حول الشمس .

وتختلف المذنبات فيما بينها في الحجم ، وكمية الغبار ، وربما في التركيب الكيميائي أيضا ، وهناك الكثير من المتغيرات بحيث يكون من الصعب التنبؤ بما سيكون عليه شكل المذنب وتألقه في المستقبل .

ذيل المذنب . . والأيونات

إن كتلة المذنب ـ التي تتركز في النواة ـ ضئيلة الحجم جدا ، فهي غير قادرة على الاحتفاظ بالغازات والغبار في الغلاف الغازي بقوة الجاذبية .

وبسبب تلك الجاذبية الضعيفة بين النواة والغلاف الغازي ، تتمكن الرياح الشمسية من دفع الغازات والغبار من الغلاف الغازي ، بعيدا عن المذنب ، ليتكون منها ذيل طويل قد يبلغ طوله مائة وخمسين مليون كيلومتر أو أكثر .

ويبدو ذيل المذنب دائما في عكس اتجاه الشمس ، سواء كان المذنب يقترب من الشمس أو يبتعد عنها ، وذلك لأن الرياح الشمسية تضغط بقوة على الذيل الى الخلف ، فيظل دائما في الاتجاه المضاد للشمس ، ويمكن أن نشبه هذا بفتاة ذات شعر طويل تواجه

(*) سيل من الجزئيات ذات الشحنات الكهربية (غالبا بروتونات والكترونات) وتصدر من اكليل الشمس .

(٦) الخطوط التي تتخلل ألوان الطيف لمصدر ضوئي معين .





مذنب وست (١٩٧٥).

مذنب هوماسون (١٩٦٢)

الانفجارات التي تحدث في نواة المذنب عندما تقترب من الشمس .

الكويكبات

المذنبات

عطارد

الزهرة

الأرض

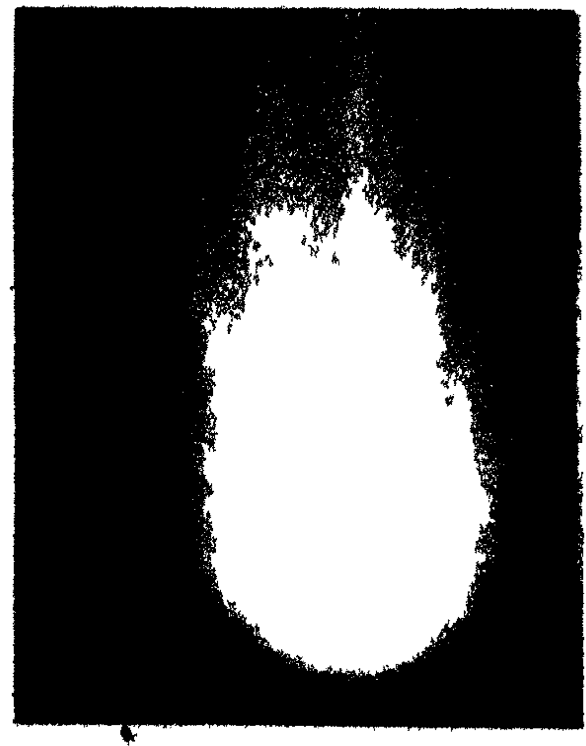
المريخ

المشتري

زحل



صورة لمذنب كوهوتيك (١٩٧٣) (التقطها معمل الفضاء (سكاي لاب) بالأشعة فوق البنفسجية).





رأس مذنب هالي (١٩١٠)

الريح ، فيندفع شعرها الى الخلف أي عكس الريح ، وحتى اذا استدارت بجسمها فان شعرها يتجه الى أمام وجهها ، أي عكس الريح أيضا .

وقد أثبت العلماء أن قوة الدفع التي تؤثر على ذيل المذنب تنتج عن عدة عوامل ، منها ضغط فوتونات (٧) أشعة الشمس ، التي تصدم جزيئات الغلاف الغازي ، وهذا ما يطلق عليه (الضغط الاشعاعي) بالاضافة الى تأثير الرياح الشمسية . وفي واقع الأمر ، فان معظم المذنبات لها ذيلان يتفقان بأن كليهما بعكس اتجاه الشمس ، ولكنهما يختلفان في المظهر . فأحدهما ذيل عريض من الغبار يتكون من جزيئات الغبار ـ التي تعتبر شوائب في مادة النواة ـ والتي تنطلق عندما يتبخر جزء من المادة المجمدة في النواة بتأثير الضغط الاشعاعي . وكنتيجة لاستمرار دوران المذنب حول الشمس فان ذيل الغبار يميل الى الانحناء وراءه .

ـ مذنب مركس (١٩٥٧) يلاحظ ذيل الغبار (المنحني الى اليمين) والذيل الغازي « المستقيم » .

أما الذيل الثاني فيطلق عليه الذيل الغازي (أو الذيل الأيوني) ، ويتكون من الأيونات التي تطلق من الغلاف الغازي ، ليتكون منها ذيل رفيع خلف المذنب بتأثير الرياح الشمسية ، وهو يتخذ شكلا مستقيما . ويحتوى الذيل الغازي على ذرات مؤينة (أي الكترونات ونوى ذرات) التي تتفاعل مع الرياح الشمسية ، فتعجل من ابتعاد الايونات عن الشمس ، فيتكون منها الذيل الغازي (الأيوني) .

وبينما تكون ذرات الجزيئات في الغلاف الغازي متعادلة كهربياً ، فان الجزيئات في الذيل الغازي مؤينة ، حيث أن كل جزيء قد فقد الكترونا ، ومن ثم أصبح ذا شحنة كهربية موجبة ، وبالتحليل الطيفي اتضح أن الذيل الغازي للمذنب يحتوى على أول وثاني أكسيد الكربون والنيتروجين ، وبسبب قوة الرياح الشمسية فان سرعة أيوناته تبلغ عند رأس المذنب حوالي كيلومتر في الثانية ، أما بالقرب من نهاية الذيل فتبلغ تلك السرعة عدة مئات من الكيلومترات في الثانية ، ومن ثم يتخذ الذيل الغازي الشكل المستقيم

ومن أشهر المذنبات التي كان الذيل فيها واضحا ، مذنب (مركوس) في عام ١٩٥٧

صائد المذنبات

تتخذ المذنبات مدارات مختلفة حول الشمس ، وهي اما من القطع الناقص (بيضاوي) أو القطع المكافيء ، أو القطع الزائد .

ويتخذ القطع الناقص (البيضاوي) مدارا مغلقا مهما بلغت استطالته ، أما القطع المكافيء والقطع الزائد فمدارهما يتباعد الى مدى بعيد جدا . أى أن المذنبات تتخذ مدارات طويلة أو مدارات قصيرة في رحلتها حول الشمس .

وتقضي المذنبات ـ التي لها مدارات طويلة حول الشمس ـ زمنا طويلا جدا قد يبلغ آلاف السنوات أو أكثر بعيدا عن الشمس ، ومن ثم فانه من النادر أن

(٧) أحد الجزئيات الأولية الذي يتحرك بسرعة الضوء (حوالي ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية) .

يرى الناس مذنبا يعود الى الاقتراب من كوكب الأرض خلال الفترة الزمنية القصيرة لحياة الانسان .

وفي كل دورة تفقد بعض المذنبات بعضاً من طاقتها بسبب حدوث اضطراب ما ، قد يكون الاصطدام بعضها بعضا أو التأثر بجاذبية النجوم القريبة ، ومن ثم تتخذ لها مدارات قريبة من الشمس .

وهناك بعض المذنبات ذات المدارات القصيرة التي تأتي الى المجموعة الشمسية كل عدد من السنوات ، ذلك أن مداراتها قد انخفضت منذ زمن طويل ، بسبب قوة جاذبية المشترى

وعندما يمر المذنب بالقرب من كوكبي المشتري ورحل ـ وهو في طريقه نحو الشمس ـ فان مداره يتغير كثيراً ، فقد يبطيء الى الحد الذى لا تبقى لديه طاقة للعودة الى موطنه البعيد عند أطراف المجموعة الشمسية ، ومن ثم يستمر المذنب في مدار حول الشمس ، داخل مدار كوكب المشترى

ولهذا فقد أطلق على كوكب المشترى (صائد المذنبات) .

أصل المذنبات :

من أين تأتي المذنبات ؟

ان النظرية التي تلقى قبولا لدى معظم علماء الفضاء في الوقت الحاضر ، هي تلك التي جاء بها العالم الهولندي جان أورت في عام ١٩٥٠ ، بعد دراسة طويلة لمدارات المذنبات حول الشمس . وتقول النظرية ان هناك سحابة هائلة مكونة من حوالي ٣٠٠ بليون مذنب على مسافةتبلغ سنتين ضوئيتين [٨] من الشمس ، وقد أطلق عليها (سحابة أورت) نسبه الى اسم مكتشفها ، ويبلغ نصف قطرها حوالي سنة ضوئية .

ولكن كيف تكونت في الأصل ؟

تقول احدى النظريات ان المذنبات نشأت مع ميلاد المجموعة الشمسية ، أي منذ حوالي ٤,٦ بليون عام كما سبق واشرنا . ومن ثم تكونت (سحابة أورت) منذ هذا الزمن الموغل في القدم . وترجع نظرية أخرى أصل المذنبات الى المادة التي بين النجوم . فمن المعروف أن الفضاء بين النجوم يحتوى على ذرات وأيونات وجزيئات وجسيمات من الغبار ، واذا تم تجميد هذه المادة التي بين النجوم وضغطها في شكل كرة ، فان تركيبها الطبيعي سيماثل تماما نواة المذنب . وترى هذه النظرية أن الشمس وهي تدور في الفضاء حول مركز المجرة (طريق التبانه) ، فان مجال جاذبيتها يدفع بالمادة ما بين النجوم الى منطقةمحددة تبعد عن الشمس عدة آلاف من الوحدات الفلكية ، وهذا يؤدى مع مرور الزمن الى تراكم هذه المواد فوق بعضها ، حتى تكون منها في النهاية (سحابة أورت) .

وتقول نظرية ثالثة ان المذنبات تأتي من بقايا السديم الأصلي الذي كون المجموعة الشمسية ، والذي يقع خلف مدار كوكب بلوتو

ويتساءل العلماء عن السبب الذى يدفع المذنب الى ترك موطنه في سحابة أورت والاتجاه الى الشمس ؟

هناك عدة نظريات تحاول تفسير هذا الأمر ، فتقول احدى النظريات أن للشمس رفيقاً خفياً هو النجم (نيميسيس) الذي يستغرق حوالي ٢٦ مليون عام ليكمل دورة حول الشمس ، وهذا النجم المعتم يقترب كثيرا من سحابة أورت ، ومن ثم يدفع ببعض المذنبات نحو المجموعة الشمسية وتستمر هذه المذنبات في مداراتها .

وتقول نظرية أخرى بأن هناك كوكبا عاشرا في المجموعة الشمسية أطلق عليه (الكوكب اكس) وهو يتخذ مدارا بيضاويا حاداومائلا ، ويتغير هذا المدار بسبب قوة جاذبية كواكب المجموعة الشمسية الاخرى ، وكل ٢٨ مليون عام يمر الكوكب اكس بشريط من المذنبات خلف مدار كوكب نبتون فيدفع بعضها نحو كوكب الأرض . بينما ترى نظرية ثالثة أن دوران المجموعة الشمسية حول مركز المجرة هو السبب في قدوم المذنبات الى نظامنا الشمسي . □

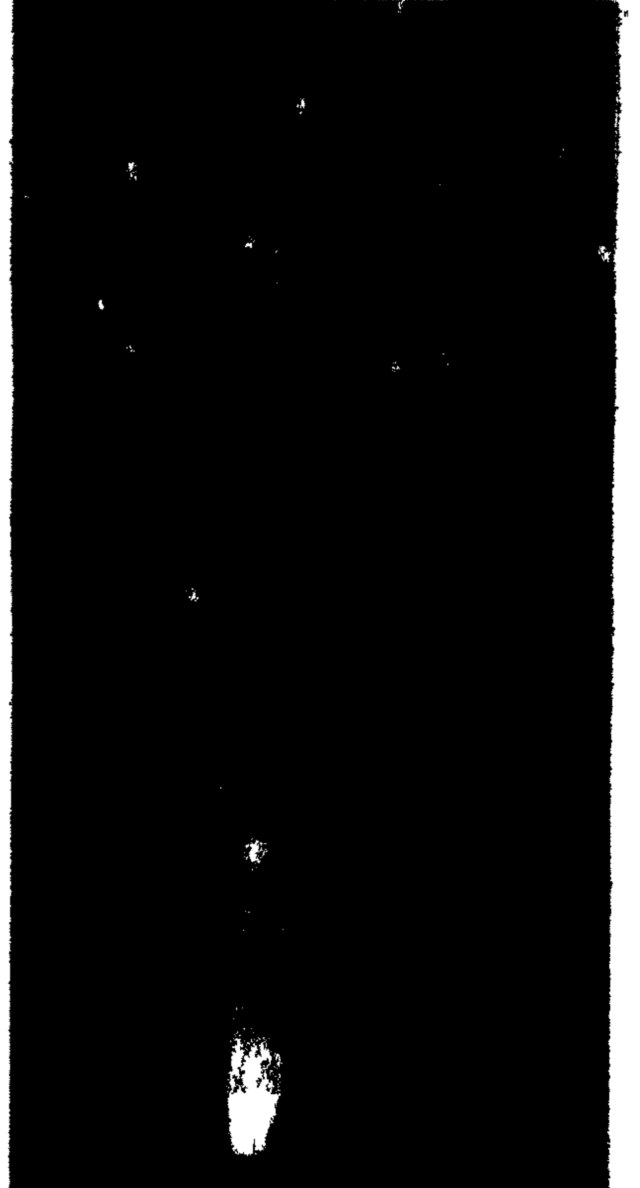
---

(٨) السنة الضوئية : وحدةلقياس المسافات في أعماق الكون ، وتعادل ما يقطعه الضوء فى سنة كاملة ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلو متر

مذنب هالي

زائر من أعماق الكون

اعداد : المهندس سعد شعبان



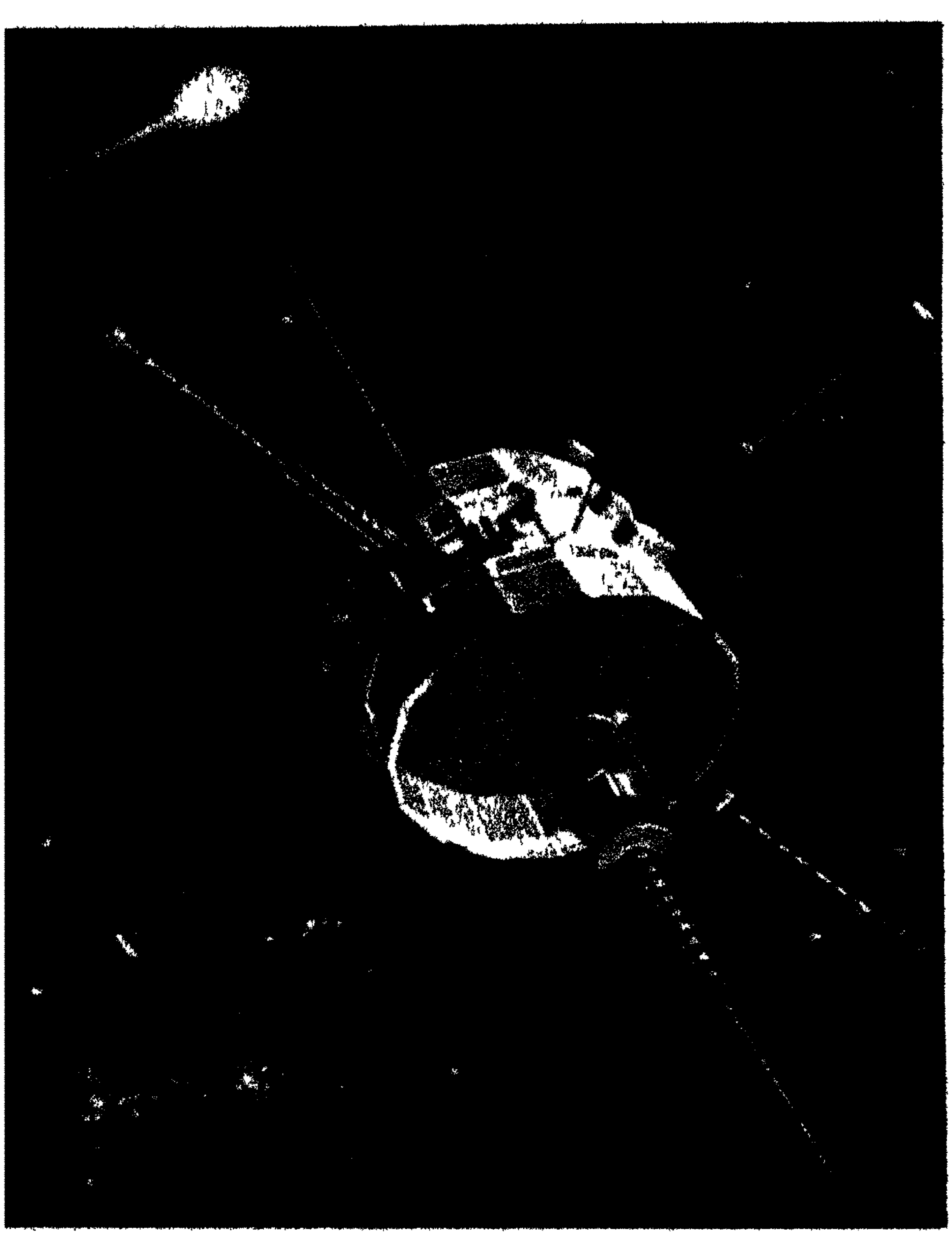
ـ تحليل لطيف المذنب هالي عام ١٩١٠ .



ـ السفينة جيوتو ستكون على بعد ٥٠٠كم من المذنب .

ظاهرة فلكية نادرة ستظهر في السماء في أوائل عام ١٩٨٦ ، وسبب ندرتها أن حدوثها يتكرر في دورة منتظمة كل ٧٦ عاما ، هذه الظاهرة هي « المذنب هالي » .

ولقد كانت آخر مرة ظهر فيها هذا المذنب في سماء الأرض في عام ١٩١٠ . ومعنى ذلك أنه لايحدث في عمر الانسان الواحد ـ الا نادرا ـ امكان مشاهدة هذه الظاهرة أكثر من مرة واحدة .



ـ القمر الأمريكي اكسبلورر (الكاشف) سيوجه نحو المذنب .

لقد سبق الاجدادنا عبر مر العصور أن شاهدوا هذا المذنب بالعين المجردة وبتكرر ذلك بإيقاع منتظم كل ٧٦ سنة . وسبق لبعضهم أن شاهدوا مذنبات أخرى ، ولكن بمناظير مقربة ، فكثير من المذنبات يتجول في الفضاء على هيئة فريدة تميزه عن سائر الاجرام الكونية ، فكل مذنب يجر خلفه ذيلا يمتد لعدة ملايين من الكيلومترات ، الأمر الذي يجعله واضحا وسهل المراقبة .

النجم ذات الشعور

والمذنبات ظاهرة فلكية ، نادرة الحدوث للمشاهدين لها على الأرض بالعين المجردة ، ولكنها بالنسبة للفلكيين حدث عادي ، قد لايظهر لمناظيرهم بين أجرام السماء كل يوم . والمذنب جرم كوني معروف بشكله المميز لأن كل مذنب يجر وراءه ذيلا شفافا ، ولذلك أطلق البعض عليه اسم « النجم ذات الشعور » . ولاتحمل المذنبات رسائل ولا دلالات ، الا في كونها كسائر المخلوقات في هذا الكون العجيب . غير أن « مذنب هالي » تفرد بالشهرة لأنه أمكن رؤيته بواسطة الملايين من سكان الأرض بالعين وبالمناظير عبر كثير من الحضارات . ولم يلتصق اسم العالم الفلكي البريطاني « أدموند هالي » بالمذنب الذي شوهد عدة مرات الا منذ عام ١٧٥٨ ، لأنه هو أول من أشار الى تكرار دورته كل ٧٦ سنة . فالثابت أن الصينيين شاهدوا هذا المذنب عام ٢٤٠ قبل الميلاد ، وأنه رئي بعد ذلك ٢٤ مرة مؤكدة حتى عام ١٩١٠ . الرسام الايطالي « جيوتو دي بوندون » قد رسم المذنب على جدران إحدى الكنائس عام ١٣٠١ ميلادية وأطلق عليه أسم « نجم بيتلهام » . وأتت دقة ملاحظة هالي في اكتشاف تكرار ظهوره في أعوام ١٥٣١ ، ١٦٠٧ ، ١٦٨٢ أي كل ٧٦,١ سنة ولذلك فقد توقع بأنه سيظهر عام ١٧٥٨ .وأسر بذلك لاستاذه « اسحاق نيوتن » بما يتوقع ، مستندا الى ما اكتشف الأخير عن قوانين تحكم ميكانيكا حركة الاجرام السماوية . ولكن الأجل لم يمهل « ادموند هالي » حيث توفي عام ١٧٤٢ . وفي عام ١٧٥٨ صدق ماتوقعه وظهر المذنب في السماء ، فأطلق عليه اسم « هالي » احتراما لصدق نبوءة هذا الفلكي الذي كان استاذا للهندسة بجامعة اكسفورد وأدلى بمعلومات لم تكن معروفة عنه من قبل . وكان ضمن المراصد الفلكية التي أسهمت بجهد بارز في هذا الأمر مرصد حلوان بمصر نظرا لما تتمتع به سماؤها من صفو أغلب أيام العام . وتمتع الأحياء آنذاك برؤيته بالعين المجردة لعدة شهور .

وقد رصد الفلكيون رأس المذنب هالي عام ١٩١٠ وكان قطره ٥٥٠,٠٠٠ كيلومتر بينما كان قطر الهالة المحيطة به ٩٧٠,٠٠٠ كيلو متر ، وكان ذيله ممتدا الى مسافة ٤٨ مليون كيلو متر . وعندما اقترب المذنب من الأرض ، كان رأسه يبعد عنها مسافة ٨ ملايين كيلو متر ، وحفت نهاية الذيل بالارض وظل العلماء يتابعون رصده وتصغيره حتى صار على مسافة ٨٥٠ مليون كيلومتر من الشمس ، فصعب على عدسات المراصد متابعته بعد ذلك ، فودع على أمل عودته بعد ٧٦,١ عاما أي في عام ١٩٨٦ .

وسيكون « المذنب هالي » ، زائر الأرض على أقرب مسافة من الشمس يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ ، وأقرب مايكون من الارض مرتين ، أولها في نوفمبر ١٩٨٥ والثانية يوم ١١ ابريل ١٩٨٦ .

وقد اكتشف العلماء من زياراته في المرات السابقة ، والقياسات التي أجريت مؤخرا أن مادة الذيل تحوي غازات متعددة مثل ثاني أوكسيد الكربون ، والميثان والنشادر ، كما تحوي مواد صلبة كالنحاس والكربون والسيليكون والحديد والمنجنيز والكارميوم . ويأمل العلماء أن يتجمع لديهم قدر هائل من التفاصيل في زيارة المذنب المقبلة والتي يمكن أن تتيح رؤيته حتى شهر مايو ١٩٨٦ . ولقد استطاعت بعض المراصد الفلكية الأرضية رصده قبل عدة شهور اذ تمكن مرصد جبل بالومار في كاليفورنيا الامريكية في ١٦ اكتوبر ١٩٨٢ من رؤيته وهو مازال يشق طريقه في الفضاء متجها نحونا بسرعة تقرب من ٥٢٠ كيلومترا في الساعة .

نجم المذنبات

انفرد المذنب هالي بالشهرة دون غيره من المذنبات ، لقربه من كواكب المجموعة الشمسية فيسهل رؤيته لعدة شهور بالمراصد الفلكية الأرضية ، كما يمكن رؤيته بالعين المجردة لعدة أيام . ولقد كان آخر عهد الفلكيين بالمذنب هالي عام ١٩١٠ ، واستعد مئات العلماء في عديد من دول العالم على مدى ٦٠٠ يوم لعمليات رصد وقياس وتصوير وتسجيل أثرت في البحث العلمي .

تجارة المذنبات

بعد أن مضى على بدء عصر الفضاء قرابة الثلاثين سنة ، بدأت الدول المتقدمة في بحوث الفضاء ، والفلكيون في كل بقاع العالم لرصد عودة هالي بالاساليب والأجهزة التي أتاحها عصر الفضاء والتي لم تكن معروفة عام ١٩١٠ ، ومن أهمها الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، الأمر الذي سينهي الجهل بأي شيء غير معلوم عن هذا المذنب ، وسيفتح الباب على مصراعيه لمعرفة أسرار ظاهرة المذنبات عامة .

ولم تقتصر الاستعدادات للقاء المذنب هالي عام ١٩٨٦ على العلماء والفلكيين وهواة الرصد الفلكي ، بل امتدت الى البارعين في التجارة قبلهم . ولأنهم لايستطيعون أن يبيعوا الوهم والخرافات والاقراص الواقية من الأمراض في عصر أصبحت تجول في سمائه آلاف من الأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، فقد أغرقوا السوق الأوروبية بدعايات عن التلسكوبات الفردية التي يمكن مشاهدة المذنب بها . الى جانب ذلك صنعت آلاف من فانلات الشباب (تي شيرت) التي عليها رسم المذنب وأسمه ، وبدأت بعض شركات السياحة التسويق لبيع تذاكر لرحلات طائرة جامبو الضخمة التي ستقلع بهواة المشاهدة في رحلة طويلة من اليابان الى استراليا ، ليتيسر لهم الاستمتاع برؤية المذنب من الجو . لكن ماهو اكثر اهمية أن الدول المتقدمة أطلقت منذ عدة شهور عدداً من سفن الفضاء والأقمار الصناعية ، للالتقاء بالمذنب عن قرب للقياس والتصوير والتسجيل ، بل ومس الذيل لمعرفة كل شيء عنه . ولقد اتفقوا على تنسيق هذه الجهود خلال مؤتمر عقد مؤخرا في بودابست . وهذه الدول هي : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي واليابان وانجلترا والمانيا الاتحادية بالاضافة الى منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية «ايسا» وشاركت دول أخرى بجهود فرعية في تصنيع أجهزة تحملها هذه السفن هي فرنسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا وبولندا وسويسرا وايرلندا .

لم يتمكن العلماء الامريكيون من اقناع المسئولين بتخصيص ميزانية لاطلاق سفينة جديدة لهذا الغرض . ولذلك ستتوجه سفينة الفضاء «بيونير» التي اطلقت الى الفضاء عام ١٩٧٨ لتترك مهمتها بالقرب من كوكب الزهرة ، وتقترب نحو المذنب هالي في ٩ فبراير ١٩٨٦ . ويوجد على سطح هذه السفينة جهاز تحليل طيفي قادر على تحليل الاضواء الصادرة من المذنب في نطاق حزمة الأشعة تحت البنفسجية . وبالاضافة الى هذا ستتوجه السفينة (ICE) التي توجد حول القمر الآن في مهمة اضافية لرصد مذنبين معا هما (جياكوبيني - زينر) في سبتمبر ١٩٨٥ ثم توجه بعد ذلك نحو المذنب هالي في مارس ١٩٨٦ .

أما العلماء السوفييت فسيعتمدون على السفينتين «فيجا - ١» ، «فيجا - ٢» اللتين سبق اطلاقهما في ديسمبر ١٩٨٤ نحو كوكب الزهرة ، بحيث توجهان بعد الانتهاء من مهمة جس تربة الزهرة نحو المذنب هالي ، في أواسط شهر يونيو ١٩٨٥ لتكونا على مقربة منه في أوائل شهر مارس ١٩٨٦ . وستحلق السفينتان على بعد ١٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب ليخترقا ذيله بسرعة تقرب من ٨٥ كيلومترا في الثانية ، لكي تعمل الأجهزة الدقيقة التي شاركت في صنعها كل من المانيا الغربية وفرنسا وبعض الدول الاشتراكية في رصد العناصر العلمية اللازمة . وسيتيح ذلك الفرصة النادرة للحصول على صور ملونة لأجزاء المذنب وذيله

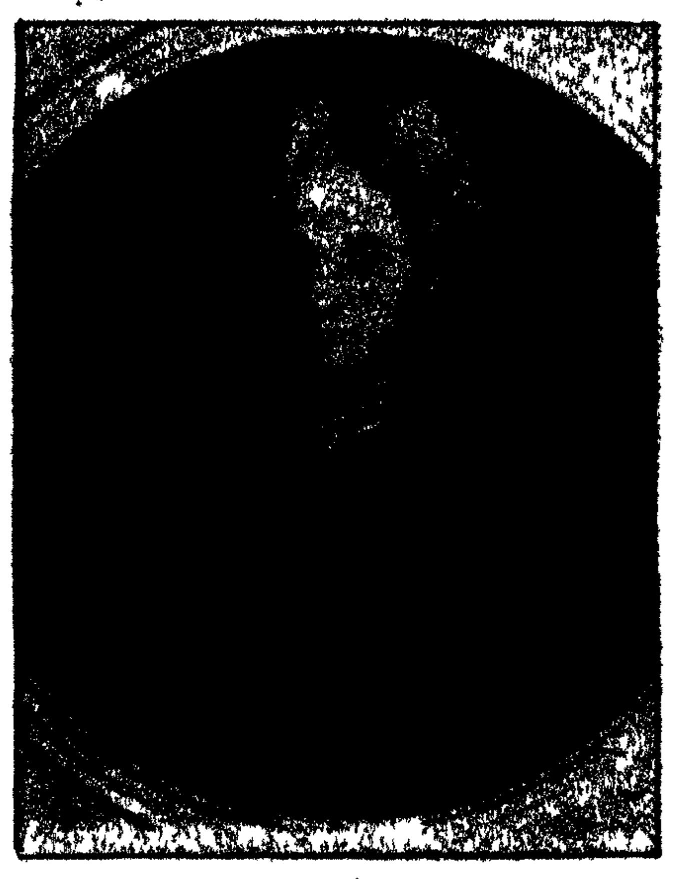
بالضوء العادي وبالاشعة تحت الحمراء . وستبث هذه الصور من السفينتين الى الأرض بشفرة خاصة عن طريق أجهزة شاركت في صنعها المانيا الشرقية . وسوف يعمل السوفيت على مراقبة المذنب كذلك من المحطة المدارية (ساليوت ـ ١) التي تحلق في الفضاء منذ عدة سنوات .

وتمثلت الجهود اليابانية في اطلاق قمرين صناعيين الاول تحت اسم « كوكب ـ ١ » في يناير ١٩٨٥ ، والثاني تحت اسم (MST — 5) سيطلق في أغسطس ١٩٨٥ . وقد زود الأول بأجهزة لقياس الرياح الشمسية المتأينة وأجهزة للتصوير بالاشعة فوق البنفسجية عندما يمر على بعد ٢٠٠,٠٠٠ كيلومتر من المذنب في ٨ مارس المقبل .

وقد بادرت منظمة أبحاث الفضاء الاوروبية « ايسا » الى اطلاق سفينة الفضاء « جيوتو » في يوليو ١٩٨٥ حاملة اسم الرسام الهولندي « جيوتو » الذي سبقت الاشارة اليه ، لكي تلتقي بالمذنب وتخترق ذيله على بعد ٥٠٠ كيلومتر من الرأس في يومي ١٢ ، ١٣ مارس ١٩٨٦ . وبذلك ستتمكن دون السفن الاخرى من التقاط صور دقيقة لمكونات المذنب ستصل الى ايضاح كل ماتزيد أبعاده عن ٥٠ مترا من مكونات رأسه أو ذيله . وقد اتفق مع السوفيت أن تعمل السفينتان الروسيتان « فيجا ـ ١ ، ٢ » كمنارات فضائية لمساعدة السفينة جيوتو في الاقتراب من هدفها بدقة .

وهناك جهد أوروبي آخر ، هو ارسال معمل الفضاء الاوروبي سبيس لاب (Spacelab) محمولا فوق متن مكوك الفضاء الامريكي في وقت يتزامن مع الالتقاء بالمذنب للقيام بالقياسات اللازمة . وكان نفس المعمل قد ارسل في رحلة سابقة للمكوك ومعه طاقم من العلماء . وقد قضت منظمة « ايسا » مايزيد على عشر سنوات في تصنيع هذا المعمل وتزويده بأدق الأجهزة العلمية .

انفردت المانيا الاتحادية بتجربة مثيرة اجريت في أول يناير ١٩٨٥ وتمثلت في اطلاق أربع عبوات تحوي مسحوق الباريوم المشع والنحاس من قمر صناعي



ـ الفلكي أدموند هالي .

الماني ، لكي يتكون منها مذنب صناعي مشع على ارتفاع يقرب من ١٠٠ ألف كيلو متر . وقام قمران صناعيان أحدهما بريطاني والآخر امريكي برصد اشعاعات سحابة الباريوم التي أخذت شكل ذيل مذنب ، وذلك لدراسة تأثرها بالرياح الشمسية والمجال المغناطيسي للأرض . ولقد ظهر المذنب المشع بنجاح ورصده القمران الصناعيان بل لقد تمكنت طائرة ارجنتينية من رؤيته كذلك ، ولكن تعذرت رؤيته من الأرض بسبب الغيوم .

من العرض السابق يتبين لنا أن سفن الفضاء والاقمار الصناعية التي خصصت لرصد المذنب هالي ، وضع فيها حشد من الأجهزة الدقيقة كأجهزة تحليل الطيف ، وكاميرات التصوير في نطاق حزم الاشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية والضوء المرئي ، فضلا عن أجهزة قياس للمجال المغناطيسي الأرضي ، ودرجات تأين الرياح الشمسية (البلازما) .

وقد استعدت المراصد الفلكية الأرضية ، وخصوصا الامريكية مثل مرصد « جبل بالومار » في كاليفورنيا ، ومرصد «قمة كت » في اريزونا ، ومرصد « جبل هويكنز » ، ومرصد « جبل ولسون » للقيام بواجبها في الترقب لرصد المذنب هالي . ولم تكتف بعض الدول بما لديها فشرعت في اقامة مراصد جديدة بعدسات ومرايا أكثر قدرة على التوغل في الفضاء ، ونخص بالذكر منها استراليا التي اقامت مرصدا حديدا بالتعاون مع بريطانيا قطر عدسته ١٥٠ بوصة ، كما اشتركت مجموعة من الشركات الاوروبية في اقامة مرصد جديد في جنوب اسبانيا .

كيف يمكن رؤية هالي

يحضرني تساؤل لابد أنه يطرح نفسه على أذهان القراء ، فما الهدف من كل هذه الاستعدادات ؟ .
ان الغاية الكبرى هي معرفة سر من اسرار الكون، لكي يستطيع العلماء بعد ذلك ان يضعوا حدا للغز المحير عن نشأة الكون العظيم الذي لانشغل منه قدر نقطة فوق هذه الصفحة .

وقد يكون الى جانب جهود العلماء ، دور للهواة وخصوصا الشباب الناشئين ، أقلها أدراك عظمة ماخلق الله حولنا من فضاء فسيح حار فيه القدامى ، فقالوا انه محدود ، ولكنه بلا حدود !! .

ولقد ضرب أحد الهواة المثل في العصور الوسطى على أهمية دور الهواة اذ كان معروفا ان المذنب هالي سيقترب من الأرض عام ١٧٥٨ تدليلا على صدق ماتنبأ به الفلكي « ادموند هالي » كما اسلفنا من قبل . لكن أحدا من الفلكيين لم يستطع رؤية المذنب هالي رغم تحفزهم واستعدادهم للملك . وكان من سخرية الاقدار أن استطاع الفلاح الالماني « يوهان باليتش » أن يرى المذنب يوم ٢٥ ديسمبر ١٧٥٨ بمنظار صغير للهواة من مدينة درزدن . ولكي يتمكن أي هاو من رؤية المذنب فلن يكلفه ذلك غير اقتناء تلسكوب صغير قطر عدسته يقرب من ٦ أو ١٠ بوصات . ويمكن أن تبدأ المشاهدة من شهر نوفمبر ١٩٨٥ حتى منتصف شهر ابريل ١٩٨٦ .

وخلال هذه المدة سيختفي جزء من المذنب ليلة يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما يكون في دورته حول الشمس . وبعد ذلك سيمكن مشاهدته لأيام معدودة بالعين المجرده قرب يوم ٩ فبراير ١٩٨٦ عندما تصفو السماء وتختفي السحب . وعلى الذين سيقومون بذلك أن يتذكروا أن ظهور المذنب لايصاحبه أي أصوات ، وأن حركته بطيئة بين النجوم ولاتلحظ الا ليلة بعد ليلة ، ولكن يميزه عن النجوم ذيله الطويل . □

وصية أب لابنته

أوصى عبد الله بن جعفر ابنته وهي تزف فقال : يابنية وإياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، وياك والمعاتبة فانها تورث البغضاء ، وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي أن ازين الزينة الكحل واطيب الطيب الماء .



الحامل التي تعاني من الضغط النفسي والتوتر العصبي يكون

تعلُّم الطفل وهو جنين

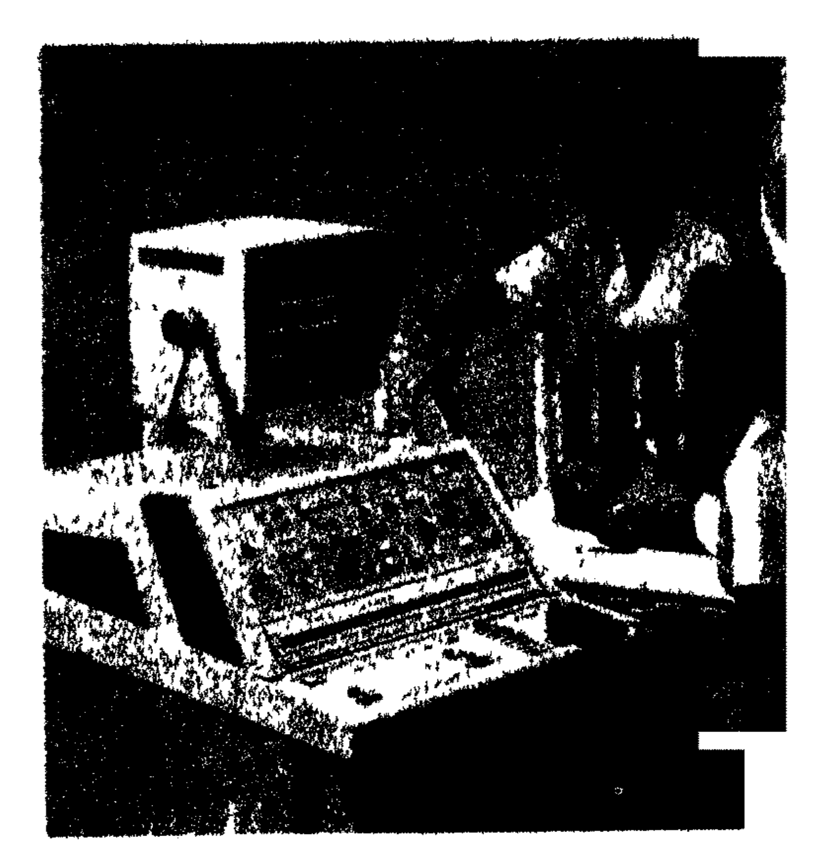
بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

طفلك هذا الكمبيوتر الصغير ، أكدت النتائج العلمية المثيرة والهامة ، التي توصل اليها العلماء بعد تجارب سلوكية وطبية أجروها على الأطفال ، وهم مازالوا في الرحم حتى لحظة الولادة وبعدها ، ان تعلم الطفل يبدأ قبل ولادته - وهو جنين - فهو يرى ويسمع ويفهم ، وهو مهيأ وراثيا لعقد صداقات مع أي شخص بالغ يحنو عليه !.

اذا كان كل طفل ينبغي له ان يمضي تسعة أشهر داخل رحم أمه ليتكامل نموه الجسدي ، ولكي يكون على استعداد وقدرة كاملين لمواجهة الحياة الجديدة ومتطلباتها وظروفها . واذا لم يتعرض وهو جنين الى أية عوامل ضارة ، فإنه عادة يكون مستعدا في الشهر التاسع لرحلة الولادة نحو النور .

فماذا يعرف الأطفال حديثو الولادة عندما يخرجون الى الدنيا ؟ وكيف يبدأ هؤلاء الأطفال في استخدام وتنظيم هذه المعلومات ، خلال شهورهم او سنواتهم الأولى ، لكي يشقوا طريقهم نحو المستقبل ؟.

ان نتائج الأبحاث العلمية الحديثة تتحدى المفاهيم الأولية لكيفية تنشئة الأطفال ، وكيف يكون



وليدها ميالا الى الجبن والخوف ويفتقد الثقة بنفسه

تعليمهم ، بل وماذا ستكون قدرتهم عندما يكبرون ، فلقد أثبتت الأبحاث الأخيرة في علم الوراثة أن هناك خصائص نفسية وذهنية ، كالذكاء والشخصية والمزاج ،وأخرى بدنية كلون الشعر والجلد والعينين وملامح الوجه وغيرها ، تعتمد على تمازج وتفاعل الجينات الآتية من الوالدين في تكوين الطفل النفسي والبدني .

فالخلية الأولى المندمجة ، او البويضة المخصبة من اندماج خليتين جنسيتين ، تتضمن كل منهما نصف العدد المقرر من العوامل الوراثية ، وتؤدي عملية الاندماج والتوحد الى تكامل العناصر الوراثية في الخلايا ، وهي محمولة على خيوط صغيرة جدا مجتمعة في نواة خلية تسمى الكروموسومات ، ويكون عددها في الخلية الكاملة الاعتيادية ثلاثة وعشرين زوجا متقابلا ، اي ستة واربعين كروموسوما ، وتتناثر على امتداد تلك الخيوط داخل النواة عناصر الوراثة الأساسية على شكل حبيبات صغيرة متخصصة تدعى بالجينات ، وهذه الجينات تحمل الرموز والمكونات الأساسية في عملية انتقال الصفات والمميزات الوراثية ، وتتكون عادة من مادة كيميائية معقدة التركيب تدعى D.N.A وهي مجموعة من الأحماض الأمينية ، تحمل في تركيبها تفاصيل الصفات الوراثية ، ويعتقد أن الخلية البشرية الواحدة تحتوي على مليون جين ، وقد يكون أقل من هذا العدد مما لا يؤثر على النمو الطبيعي للطفل .

ويعتقد ان مادة D.N.A ذات تركيب لولبي ثنائي متصل ببعضه ، ويتألف من مادتي السكر والفوسفات ، ولكل جزء من هذا التركيب المعقد خصائص أخرى في عملية الانقسام والوراثة .

وحتى لا يجرنا الحديث الى الدخول في تفاصيل التركيبات المعقدة لعناصر الوراثة في كل طفل وليد ، والتي لا تهم الا الباحثين والمتخصصين ، نقول ان هذه الجينات هي اللمسات الدقيقة التي تتحكم في تكوين هذا الكمبيوتر الصغير ، ألا وهو الطفل وكما يقول د . وليم كيسين ، استاذ علم النفس الذي اجرى دراساته على الأطفال اكثر من ثلاثين عاما ، معربا عن اعجابه بالطريقة الحماسية التي يستقبل بها الطفل الوليد للحياة .. « انه يكاد أن يلتهم العالم . . . » .

لغز التعلم داخل الرحم :

حقا انه للغز ، لأن الأطفال يظهرون مرارا بعض المهارات والأفعال المختلفة التي يبدو لنا انه لا أساس لها في خبراتهم الماضية .

ففي مركز « هارفارد » للدراسات السلوكية ، اطفال في عمر اسبوعين ووجهوا بمكعبات ، واحيانا بمجرد أن ظل مكعب بدأ في التحرك ببطء ناحيتهم ، وفي اللحظة التي يشعرون فيها انهم على وشك التعرض لما يطلق عليه علماء النفس « رد الفعل القوي التجنبي » تجدهم وقد استداروا جانبا ، وحاولوا تجنب الصدمة على الرغم من عدم وجود خبرة سابقة تجعلهم يفكرون بأن الشيء المقترب قد يصطدم بهم ! أما إذا تحرك هذا المكعب او ظله في مسار منحرف عن الأطفال وقد يخطئهم ، فإنهم يتابعون حركته بعيونهم ، ولكنهم لا يظهرون أي علامة للانزعاج ! .

وفي جامعة أدنبره توصل العلماء من خلال تجاربهم المستفيضة الى واحدة من أهم النتائج ، وهي أن الأطفال يستطيعون ادراك نوع الأطفال الآخرين بمجرد نظرة ، بل انهم يفضلون رؤية الأطفال من نفس نوعهم ، فكيف يفعل الأطفال ما يفعلونه ؟ . . انه أمر غاية في التعقيد ، ولكنه يؤكد ان الطفل يبدأ في تعلم طرق السلوك وهو مازال في الرحم .

ومما يؤكد هذا المفهوم - وهو أن صغار الأطفال من الممكن ان يبدأوا في تلقي التعليم - قد دفع طموح الآباء والأمهات لقرون عدة الى الاهتمام بهذه الظاهرة ، مثلما حدث في سن الثالثة « لجون ستيوارت ميل » هذا الفيلسوف الانجليزي عندما درس اللغة اليونانية في هذه السن المبكرة ، كما بدأ « موزاوت » في العزف على آلة الهابسيكورد ، وعزفت مؤلفاته الموسيقية في عواصم اوروبا وهو في الثامنة .

وفي بحث مستفيض اجراه المفكر الأمريكي « ويب جريسون » حول بصمات الأمهات الوراثية على شخصيات الأبناء ، يقول: ان الأم الصالحة هي القدوة الصالحة لأبنائها والعكس صحيح .

فوالدة دكتاتور المانيا النازية الغاشم « أدولف هتلر » التي كانت تدعى كلارا كانت هي الزوجة الثالثة لوالد هتلر ، وهو ابن عمها ، وكان يكبرها بأكثر من ٢٣ عاما . فبعد وفاة زوجته الثانية بادرت كلارا بخدمة ابن العم ، وكانت تناديه بالعم « أليوس » . . وأحبها العم وتزوجها . . وكانت حياتها الزوجية كئيبة غير موفقة ، فقد كانا على خلاف مستمر ، وعندما غدا هتلر في سن الشباب طلبت منه والدته ان يلتحق باحدى الوظائف الشاغرة بإدارة الجمارك في فيينا عاصمة النمسا اسوة بوالده ، ولكن هتلر عارض هذه الفكرة ، لأنه كان يزمع ان يكون فنانا ، اذ انه كان لا يرغب في الجلوس امام مكتب حكومي يقوم بانجاز الاعمال الروتينية . فقد كان يرى ان هذه الروتينية في العمل هي العدو الأول للتفكير والابتكار والابداع ، وتغلب هتلر على والديه ، فاكتسب روح النضال والشراسة والصبر ، وقد تضامنت هذه الصفات مع صفة الشراسة في اعماقه ، فكونت شخصية دكتاتور المانيا النازية ، وكان هتلر يتصف بالروح الشريرة القاسية الناقدة ، وقد يرجع ذلك كما يعتقد المؤرخون الى حقيقة هامة ، وهي ان والدة « هتلر » أي « كلارا » كانت قد اصيبت بمرض السرطان ، وعالجها طبيب يهودي يدعى د . بلوك ولكنها توفيت ، وكان هتلر لم يتجاوز الثمانية عشر من عمره بعد ، ومن هنا كانت عقدة هتلر من اليهود ، وتدبير المذابح الجماعية لهم فيما بعد . ثم تأتي المرأة الثانية في حياة هتلر وتكون يهودية ، تلك التي خدعته وفجرت براكين حقده .

وعلى النقيض من ذلك كانت حياة الزعيم الانجليزي « سير ونستون تشرشل » فقد كانت حياة والديه مملوءة حبا وتفاهما ، كما انه ولد وترعرع في اسرة انجليزية ارستقراطية ، وكانت امه تتميز بالشخصية القوية والعلاقات الاجتماعية الطيبة ، وبعد ولادته استمرت تهتم به الى درجة انهم كانوا يطلقون عليه انه « ابن امه » ، وحتى هو نفسه قال في مذكراته « ان علاقته بأمه لم تكن علاقة ابن بأمه ولكنها كانت علاقة « ابن بأخيه » فقد كان متفاهما معها الى اقصى حدود التفاهم . . كما انه يعترف بأنها هي التي دفعته الى نجاحه في السياسة ، وانطلاقه في آفاقها التي دفعته الى مقدمة المراسلين الحربيين في المملكة المتحدة ، ونجح كما لم ينجح احد من قبل ، وهكذا كانت والدة تشرشل هي المرأة العظيمة وراء نجاحه ، نظرا لأنها وفرت له سعة ادراكها وقوة شخصيتها الجو الأسرى الأمثل المؤسس على الحب والتعاون والاخلاص .

اذن صدق أحد الحكماء عندما قال ان تربية الطفل يجب ان تبدأ قبل ولادته بعشرين عاما ، وذلك بتربية امه ، فالأم هي المدرسة الحقيقية ، وشخصية الأم تنعكس على شخصية الأبناء تلقائيا ، إن لم يكن وراثيا . فان كانت سوية كان شخصية الابن قوية طيبة ، اما اذا كانت غريبة الأطوار ففي هذه الحالة تكون شخصية الابن ضعيفة معقدة .

ذكاء الطفل ترجمة لحنان امه :

ان الفكرة في إمكان تعلم الطفل وهو جنين تنحصر في امكانية تقويم شخصية وسلوك الوالدين من قبل وفي اثناء الحمل ، فالأبحاث الجارية عن قدرة الطفل على الرؤية والسمع والمعرفة في نفس لحظة الولادة ،

الاستسقاء الدماغي » وهي حالة مرضية تنتج من زيادة السائل النخاعي في الدماغ » وذلك بادخال انبوبة الى رحم الأم ومنها الى دماغ الجنين لكي يسحب السائل الزائد . . ومما ساعد على هذه الابتكارات هو الكمبيوتر ، الذي باستطاعته ان يقلد صوت الأم بالسهولة التي يحصى بها عدد المرات التي يمص بها الطفل ثدي امه ، أو يقيس بها حركة العين .

التشخيص المبكر :

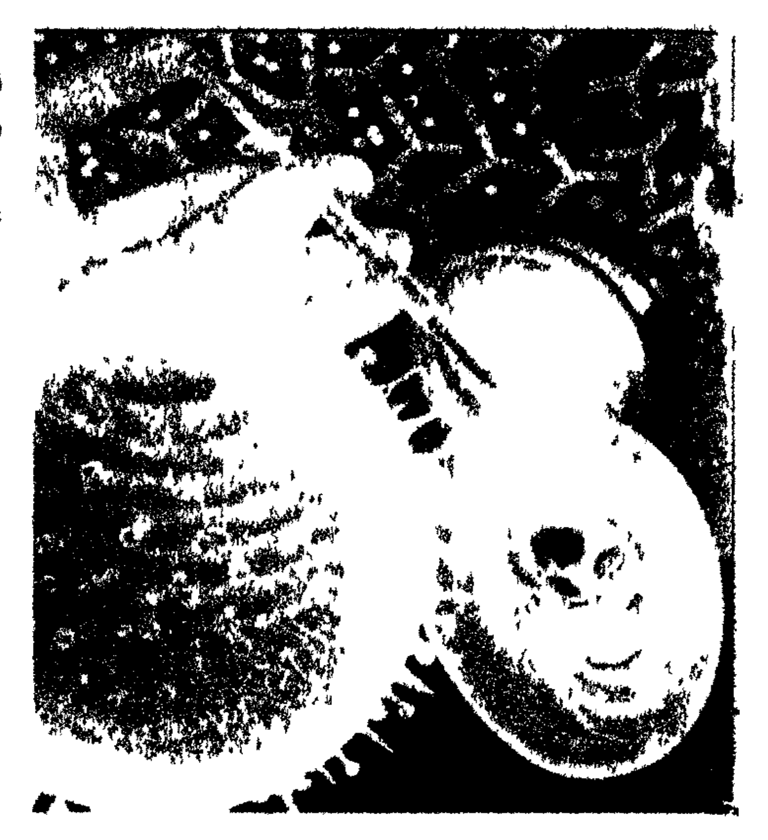
والحقائق العلمية تؤكد أن شخصية الانسان تتحدد داخل الرحم ليس فقط بسبب العوامل الوراثية ، ولكن بسبب العوامل البيئية المحيطة بالأم الحامل ايضا ، التي تؤثر سلبا أو ايجابا على تكوين الجنين وهي عوامل تنشأ من ممارسات او فهم خاطيء للوالدين بالبيئة .

فمثلا ثبت علميا ان الحامل التي تعاني من ضغط نفسي وتوتر عصبي وقلق ومخاوف يكون وليدها ميالا الى الحزن والخوف ويفتقد الثقة الطبيعية بنفسه .

وقد تم اجراء تجارب على إناث الفئران الحوامل ، حيث وضع بعضها في أقفاص مزدحمة جدا ، مما خلق جوا غير مريح ، ووضعت مجموعة اخرى في اقفاص مريحة ، وبدراسة المجموعتين وبفحص الذرية التي عاشت امهاتها في جو مزدحم قبل فترة النضوج ، وجد أنها بطيئة الحركة وتستغرق وقتا طويلا كي تصل الى طعامها بالمقارنة بالفئران الأخرى .

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية وتكوين الجنين في التوازن الهرموني للأم : « الهرمونات » وأهمها هرمون التستيرون (هرمون الخصية الذكرى) وهو موجود لدى الأنثى بكميات قليلة ، وهرمون الغدة الدرقية (الثيروكسين) الذي يؤثر على النمو ، ومادة « الادرينالين » التي تفرز في حالات التوتر العصبي والغضب ، وهي مادة تستطيع ان تعبر « الخلاص » من الأم الى الجنين بسرعة .

وبناء عليه فإن اية اضطرابات هرمونية ، او أية زيادة في مادة الادرينالين لدى الأم ، قد تؤدي الى امراض جسدية ونفسية لدى الجنين ، الذي يصبح وليدا مصابا بمرض ما نفسي او عضوي .



ـ علاج مرض الاستسقاء الدماغي للجنين يتم بسحب السائل الزائد

تجعل المسئولية الملقاة على الوالدين اكثر جسامة . . فهذه النتائج سوف تغير من الطريقة التي يرى بها الناس اطفالهم ، ومن الأسلوب الذي يكلمونهم به ، وما يتوقعونه منهم ، وهذه التغييرات وان كانت بطيئة ، الا أنها ستغير ايضا من الأطفال انفسهم ، الذين سيصبحون يوما رجال الغد .

والعقبة الوحيدة التي طالما عرقلت البحوث الطبية على الأطفال ، هي عدم قدرتهم على الكلام ، وانهم غير قادرين على ان يقولوا لنا ما شاهدوه او فكروا فيه وهم أجنة . لكن التكنولوجيا الحديثة جعلت بالامكان ابتكار تجارب كانت في حكم الخيال ، فمثلا جهاز الفيديو مكن علماء النفس والاطباء من تسجيل اهتزاز الطفل ، وبيان أنه غالبا ما يتحرك بايقاع منتظم مع صوت امه ، ومكنهم ايضا من علاج مرض

كذلك فإن تعاطي العقاقير في اثناء الحمل ، وبشكل خاص المنوم منها (الباربيتورات) وبعض الأدوية التي تستخدم لسد الشهية (الأمفيتامين) تؤثر على تطور الجنين بالضرر ، أو تسبب له تخلفا وتشوهات بالجهاز العصبي المركزي .

ومن العادات السيئة التي اكتسبتها امرأة اليوم وخصوصا الحامل انها لا تأبه لما يقدم لها من نصيحة بخصوص التدخين ، والآثار المدمرة لمادة النيكوتين ، وبصرف النظر عن مادة النيكوتين التي تسري الى دم الأم الحامل عن طريق التدخين والتي تعد عاملا هاما في كثير من المشاكل ، فقد حدث من خلال دراسة عامة تم فيها فحص اطفال لأمهات كن يدخن عشر سجائر او اكثر يوميا خلال فترة الحمل ، وبمقارنتهم باطفال لم تدخن امهاتهم اطلاقا ، وجد أن اطفال المدخنات اقل وزنا « ربما لعدم انتظام تناولهم للطعام بسبب التدخين » . . وانهم ورثوا اضطرابات في شخصياتهم من امهاتهم اللاتي كن يدخن بسبب عوامل نفسية قاسية .

ولاشك ان من أهم وأخطر الأسباب - قاطبة - تأثيرا على الشخصية هي تغذية الأم الحامل ، فمن المعروف ان عددا لا يستهان به من الأمهات في كافة دول العالم الثالث يعانين من سوء التغذية ، بشكل مفزع في فترات يكون فيها مخ الجنين في تطور سريع ، وفي حالة تسمح له بالتأثير العضوي ، ولأن الخلايا العصبية تنمو باطراد وبسرعة ، في الفترة من الشهر السادس للجنين الى الشهر الثامن عشر من عمر الوليد . ولأنها تحتاج الى تغذية دائما بالبروتين والجلوكوز ، ولأنها ايضا اذا ماتت فلا تعوض ، فإن الوليد ، تتأثر قدراته الذهنية سلبا ، وينخفض ذكاؤه ويقل انتباهه ويضعف تركيزه ، وتنحط قدراته الاجتماعية ، ويكون سلوكه وتصرفاته مختلفين عن حالتها الطبيعية .

كذلك فإن نقص كمية الأكسجين التي يستنشقها الطفل عند ولادته لسبب او لآخر ، ثبت انها مقصورة على مجرد الاحساس بالجوع ، ولكن التجارب الحديثة بنيت على ان مثل هؤلاء الأطفال ليسوا فقط قادرين على الاستجابة للكثير من المؤثرات ، ولكن لديهم ايضا تفضيلات محددة في كل شيء ، فقد أثبت أحد علماء الأعصاب ان الطفل الذي لا يزيد عمره عن ١٢ ساعة ، والذي لم يتذوق من قبل حتى لبن امه ، سوف يتلمظ برضا عندما نضع قطرة من الماء المحلى بالسكر على لسانه ، ولكنه يقشعر امام قطرة من عصير الليمون . . وانه يتحرك مبتسما عندما نضع قطعة من القطن بها رائحة الموز تحت أنفه ، ولكنه يتأفف ويمتعض من رائحة البيض النتن . .

ويبدو ان الوليد يخرج من ظلام الرحم بحاسة بدائية من النظر سرعان ما تنمو ، حيث يبدأ في النظر الى كافة الأشياء وكأنه يستكشف ما حوله ، وحتى عندما نطفيء النور ، كما اظهرت اجهزة التصوير بالاشعة الحمراء ، أن عيون الطفل تتسع لكي يستأنف اكتشافاته لكل ما حوله ، وفي الأسبوع الثامن يصبح قادرا على التمييز بين اشكال المرئيات والوانها ، وعادة ما يفضل اللون الأحمر ثم الأزرق . ثم يبدأ في شهره الثالث في تكوين الرؤية المجسمة .

وعلى الرغم من طبيعة هذه التجارب ، فانه من الممكن ان يكون لها فائدة علمية مباشرة ، لأن بعض الأطفال يعانون من امراض العيون مثل اظلام عدسة العين (الكتاركتا) ، او خلل شديد في البصر ناتج عن اختلاف انكسار الضوء داخل العين ، وكلها تستفيد من العلاج كلما بدأ مبكرا ، وقد أكدت الأبحاث الأخيرة ان اي خلل في قوة ابصار الطفل قد تؤذي تلك الأجزاء من المخ النامي والذي يعتمد على المعلومات البصرية ، وتلف المخ هذا قد يصبح مستديما ان لم يتم علاج البصر مبكرا .

قارئو الشفاه :

وعلى خلاف العيون فإن أذني الطفل تؤديان وظيفتهما حتى قبل الولادة ، والطفل الوليد يأتي بجهاز متكامل للسمع . . ومن بداية الثمانينيات اثبتت الدراسات ان الأطفال ينامون ويستريحون ويفضلون الأصوات النسائية ، بل انه في خلال اسابيع قليلة يستطيعون تمييز اصوات امهاتهم . ورغم ان الأطفال بصفة عامة لا يستطيعون التكلم الى عمر سنة ، فإن عالم النفس « بيتر ايماس » قد بين ان الأطفال الى عمر شهر واحد قادرون على التمييز بين الأصوات بمختلف اللغات ، وهم لديهم قدرة عشوائية لكي يصنفوا الأصوات في طبقات مختلفة .

وارجاع أصول اللغة الى الطفولة المبكرة يعتبر اقترابا هاماً لفهم ذكاء الطفل . . ومفتاح السر في هذا الاكتشاف هو رغبة الطفل لتقليد حركات وجه الأم .

وهو ما تقوله استاذة الصوتيات « باتريشيا كول » فقد مدت تجاربها الى اللغة ، وقامت بعرض فيلمين لوجوه تقول . . « آه » . . و « آي » ثم وضعت بين الصوتين مكبرا للصوت يصدر ايا من الصوتين ، فظهر ان الأطفال وجهوا انظارهم الى الصورة التي تتطابق مع الصوت الصادر . . وهذا معناه ان الأطفال قادرون على اكتشاف العلاقة بين حركات الفم وبين الأصوات التي يسمعونها ، وتعلق قائلة : « ان الاطفال هم اساسا قارئو شفاه » اما عالمة النفس « اليزابيث سيلكي » فقد عرضت امام اطفال في عمر اربعة شهور اثنين من الأفلام تبدو فيهما لاعبتان تقفزان بطريقتين مختلفتين ، وكل حركة لها صوت مطابق لها ، ثم أدارت شريط الصوت ، واستطاع الأطفال ان يطابقوا الفيلم الصحيح مع صوته ، مما يعني ان لديهم قدرة متقدمة لكي يحددوا مادا يتفق مع الآخر .

هذب نفسك يتهذب نسلك :

ستخلص مما سبق من آراء ـ وكما أكدت أغلب الأبحاث ـ مدى أهمية علاقة الطفل بوالديه ، أو أي شخص آخر يعوله ، فليس على الأم ان تطعمه وتحبه فقط ، ولكن عليها اذا ارادت ان تهذب نسلها فلتهذب نفسها وكذا الأب ، فقد فحص « رونجير لويس » النمو العقلي لمائة طفل في سن ثلاثة شهور ، وسجل رد فعل الأمهات لعلامات الضيق عند اطفالهن ، وقد تعجب بشدة عندما وجد أن الأطفال الذين عوملوا بحب وحنان قد تعلموا اكثر عندما اعيد اختبارهم في سن عام ، وهذا النوع من « الحنان » هام جدا « للنمو العاطفي » .

ويقول د . جيرالد يونج من المركز الطبي في مانهاتن بالمانيا الغربية : « اذا اردت ان تخمن ماذا سيصبح الطفل في سن السابعة ، انظر أولا الى خلفيته الاجتماعية والاقتصادية ، فالمسألة ليست صعوبة اقتصادية او سوء تغذية ، لأن المؤشر الاجتماعي الاقتصادي هو تنبؤ قوي على القدرات الذكائية ، كأي متغير آخر ، ولكنه لا يعمل من فراغ ، فهو يمثل الطريقة التي يعيش بها الناس ، ويتصلون ببعضهم بعضا ، والاسلوب الذي يعاملون به اطفالهم » .

هذا وقد اجرى فريق من علماء النفس بجامعة ويسكونسين تطبيقا هاما لهذه النظرية ، وقد صدمتهم حقيقة ان كثيرا من الأطفال المتخلفين عقليا لديهم امهات متخلفات ، فاختاروا اربعين طفلا كان مستوى ذكاء امهاتهم اقل من ٧٥٪ ، ووضع عشرون منهم في مركز رعاية يومي ، ومن عمر ثلاثة شهور بدأوا يأخذون رعاية كاملة بجانب انواع اخرى من الأنشطة ، وفي الوقت الذي وصلوا فيه الى سن المدرسة ، كان متوسط اختبار ذكائهم اكثر من ١٠٠٪ ، ولا يوجد متخلف واحد . اما العشرون طفلا الذين لم يأخذوا اي رعاية ، كان متوسط ذكائهم ٨٥٪ ، واعتبر ٦٠٪ منهم متخلفين كما ان كثيرا من الأبحاث العلمية الحديثة المعتمدة تؤكد ان ما كان يعرفه الآباء باستمرار ، سواء بالفطرة او الاحساس العام ، او مما تلقوه عن والديهم ، بأن الاطفال يحتاجون ويتأثرون بالحب والاهتمام والتعليم ، والأبحاث تقرر ليس فقط اهمية هذه الاحتياجات ، ولكن الضرر الذي قد ينشأ عندما لا تلبي مثل هذه الاحتياجات .

ان تنشئة الطفل مليئة بالألغاز ، ولكن أن يكون لك طفل يعني لأغلب الناس فعلا من افعال الايمان ، فهو يمثل عقيدة بأن الأشياء الجميلة سوف تأتي ليس فقط لأنفسهم ولكن للعالم . . هذه هي العقيدة التي يشاركهم فيها عدد لا نهاية له من باحثي الأطفال الذين ذاتها يتساءلون . هل من الممكن انشاء مجتمع افضل بأطفال اكثر صحة ؟

والاجابة التي تتفق عليها . . . نعم . . . لأن جذور الشخصية البيولوجية مسئولية كل ام . . . فهي المسئولة عن صحتها وصحة جنينها . . اما المجتمع فهو مسئول عن توفير الرعاية والغذاء اللازمين . . والأب مسئول عن توفير الراحة والاطمئنان والجو النفسي الآمن والملائم ، حتى يأتي الوليد القادم في صحة نفسية وبدنية جيدة . . ففي نفس لحظة الولادة ، عندما ينبثق رأس مظلم الى العالم . . حينئذ فإن كل طفل يحقق عقيدة ان الأشياء الجميلة سوف تأتي . . ثم تأتي الصرخة الأولى . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي



كلمة مشتقة من أصل لاتيني ، وأقرب ترجمة عربية لها هي « جذرية » وتطلق على الذين يريدون التغيير من جذوره ، سواء كان التغيير اجتماعياً أو اقتصادياً أو سياسياً ، رغم عدم واقعية الفصل بين الأنساق الثلاثة التي تعبر كلها عن نظام وفلسفة قائمين في مجتمع ما .

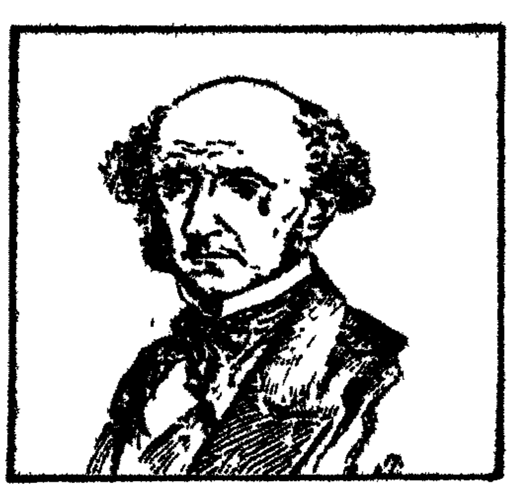
وتعبير « راديكالية » يطلق اليوم على المتطرفين بشكل عام سواء نحو اليسار أو نحو اليمين . وعلى الرغم من أن شيوع استخدام المصطلح يطلق على المتطرفين اليساريين أكثر من غيرهم ، الا أن المصطلح أول ما استخدم كان يطلق على المتطرفين الى اليمين . ولقد ظهرت الكلمة أول مرة في ثورة (١٧٩٧) في بريطانيا حينما استخدمها « جيمس نوكس » مطالباً باصلاح راديكالي ، ثم عاد واستخدمها حزب « الهويج » - الأحرار فيما بعد - في المطالبة باصلاح دستوري راديكالي يعطي الحق في الانتخاب لكل المواطنين دون تفرقة سواء كانوا يملكون أو لا يملكون .

وفي اطار الفلسفة السياسية أطلق المصطلح على النظرية الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تؤمن بالحرية في كل أشكالها وخصوصاً حرية التجارة وحرية الفرد والايمان بالعقلانية (أي أصحاب الاتجاه الليبرالي*) ، كما تؤمن النظرية بالمشاركة الاجتماعية ، وكان أعلام هذه النظرية من الفلاسفة والمفكرين : جون ستيوارت ميل ، هنري جيمس ، جريمي بنتام ، وهكذا كانت النشأة حتى في اطارها الفلسفي تعبيراً عن اتجاهات أقصى اليمين السياسي .

وقد شاع المصطلح كتعبير عن مطالب قوى اجتماعية اعتباراً من عصر الثورة الصناعية ، فمع ظهور الطبقة الجديدة التي تغير فيها شكل الثروة ، وملكية أدوات الانتاج بدأت الطبقة (الصناعية) تعارض قيود طبقة ملاك الأراضي (الاقطاع) واستبداد طبقة النبلاء أصحاب الوصاية والسلطة على النظام السياسي ، ولقد وصل الأمر الى الحد الذي وقف فيه الراديكاليون الى جانب الثورة الأمريكية

* راجع قاموس العربي عدد ٣٢١ اغسطس ١٩٨٥

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



● جون ستيوارت ميل

عندما نشبت حرب الاستقلال الانجلو أمريكية .

ولقد ساهمت أفكار الثورة الفرنسية ١٧٨٩ ، وثورة ١٨٣٠ في تحول استخدام المصطلح من تعبير عن اليمين السياسي الى اليسار السياسي ، فلقد انتشرت الأفكار التي كانت تدعو اليها الثورة الفرنسية في الجزيرة البريطانية ، وعندما شهدت بريطانيا أزمة اقتصادية فيما بين أعوام ١٨٣٠ ـ ١٨٣٣ خرج العمال الى الشوارع ، وظهرت للراديكالية جريدة « حامي الفقير » وسقطت وزارة المحافظين وجاء الأحرار للحكم ، واستمر ضغط الراديكالية من أجل اصلاح سياسي ودستوري واجتماعي . وصل الى حد الصدام والمظاهرات ، الأمر الذي دفع بالحكومة الى تفويض الجيش لفض الثورة .

وعرفت هذه الثورة بثورة الراديكالية التي اسفرت عن « قانون الاصلاح العظيم » يونيو ١٨٣٢ ، وتعد تجربة الراديكالية في فرنسا دليل الذين يرون ان الراديكاليين هم اليساريون فقد تكونت مجموعة الراديكالية الاشتراكية ومجموعة اليسار التقدمي وكلتاهما منشقة عن الراديكاليين ، وعندما أعلن حزب الراديكاليين في عام ١٩٠١ شن حملة على نفوذ رجال الدين ، كما طالب بالتأميم وفرض ضريبة على الايراد العام ، ولم يكتب نجاح كبير لتجربة الراديكالية في فرنسا لضعفهم تنظيمياً ، واعتمادهم على أسماء لامعة كثيرة مثل أميل زولا ، كليمنصو وموريس سارو ، وفي التاريخ المعاصر منديس فرنسي والجنرال ديجول حتى عام ١٩٥٨م . وهكذا نجد أن المصطلح بدأ تعبيراً عن قوى اليمين ثم تحول الى التعبير عن القوى السياسية لأقصى اليسار التي ترغب وتطالب بالتغيير الجذري كحل وحيد للاصلاح . ☐



قال بنيامين فرانكلين :

إن الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل أمان مؤقت ، لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

مَنْ سَلَّمَ الطفلينِ للجلاد ؟

« صبرا » و « شاتيلا »
طفلان فوق التل
يستسقيان الطل
طفلان من حنظل
في حومة الجندل
كانا قد اغتيلا

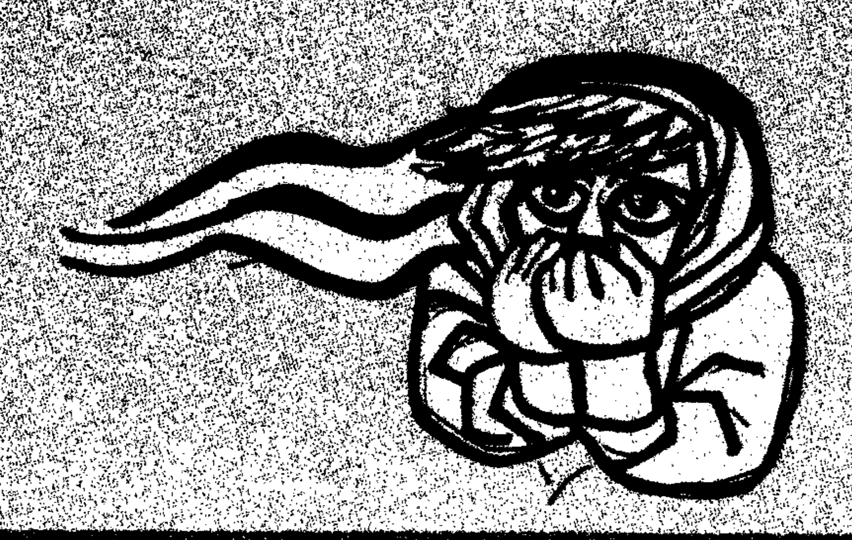
* * *

الليل يجيء
والغول يجيء
الغول القابع في الأنواء
الغول الرابض في قصص الجدات
يتبعثر في أفكار الصبية كل مساء
يتربص - فوق التل - بوقت النوم
يتحسس لحم القوم

* * *

في ذات ظلام
(اذ كان القمر اختنق . . . فنام)
ما بين الليل / الغبش . . الليل / الصمت / الهمس
خرج الليل / الزئبق - بحرا - فوق ذراع « يهوذا »
لما جاء يقبل باب خيم أهل الأرض





شعر : عبد الستار سليم

(يربدُّ الأفق .. يسيل على آثار .. قد تركتها
ـ فوق تراب الأمس ـ أصابع طفل غض) .
فيماتق وجه يهوذا .. الليل و / القار
ويصفع وجه التل .. الليل و / النار
واحتدّ الغول (القابع في قصص الجدّات)
على قصص الجدّات فثار .

* * *

يستيقظ الطفلان
والأرض مذعورة
قد هشم الصورة
غول .. بألفي رأس
من ـ ياهول البأس ـ
يستصرخ الطفلان ؟
قالت كتب التوراة
« من يَقتُلْ .. يُقتَلْ » .
من يسرقْ ... يحرقْ
قال التلمود .. بمفتتح الاصحاح
يا شعب الله ..
ميراثك فاحمل .. واستقطع
أوردة الخلق
قال التلمود بمختتم الاصحاح
لحم الأيام مباح
اقتل ..
اسرق ..
احرق ..
كتب التوراة يا شعب الله .

* * *

(تعليق)
الحق أقول لكم
من تحت هزيم الرعد .. ولمع البرق ..
وصوت تصاريف الجلاد
يزداد عنادا رَحِمُ الأم
ويظل دفينا هذا النم
الحق أقول لكم
ان غيض النبض
وراحت مزق اللحم الطفليّ الرعشات
تستاف تراب الأرض
سيجيء الوقت
يتفجر من أعلى أنهار الصمت
وتفيض بحيرات الصحراء
كي تغسل أردية لزجة
من فرط الموت

من قصة شعبية عمانية :

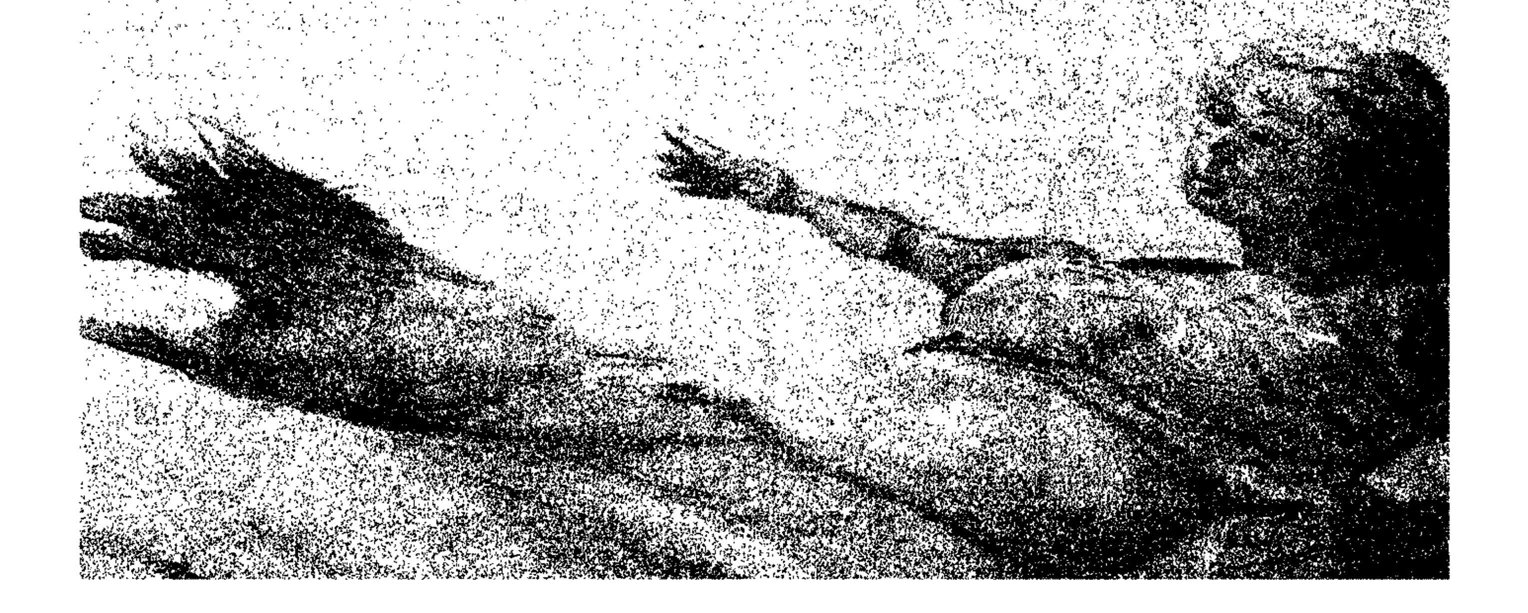


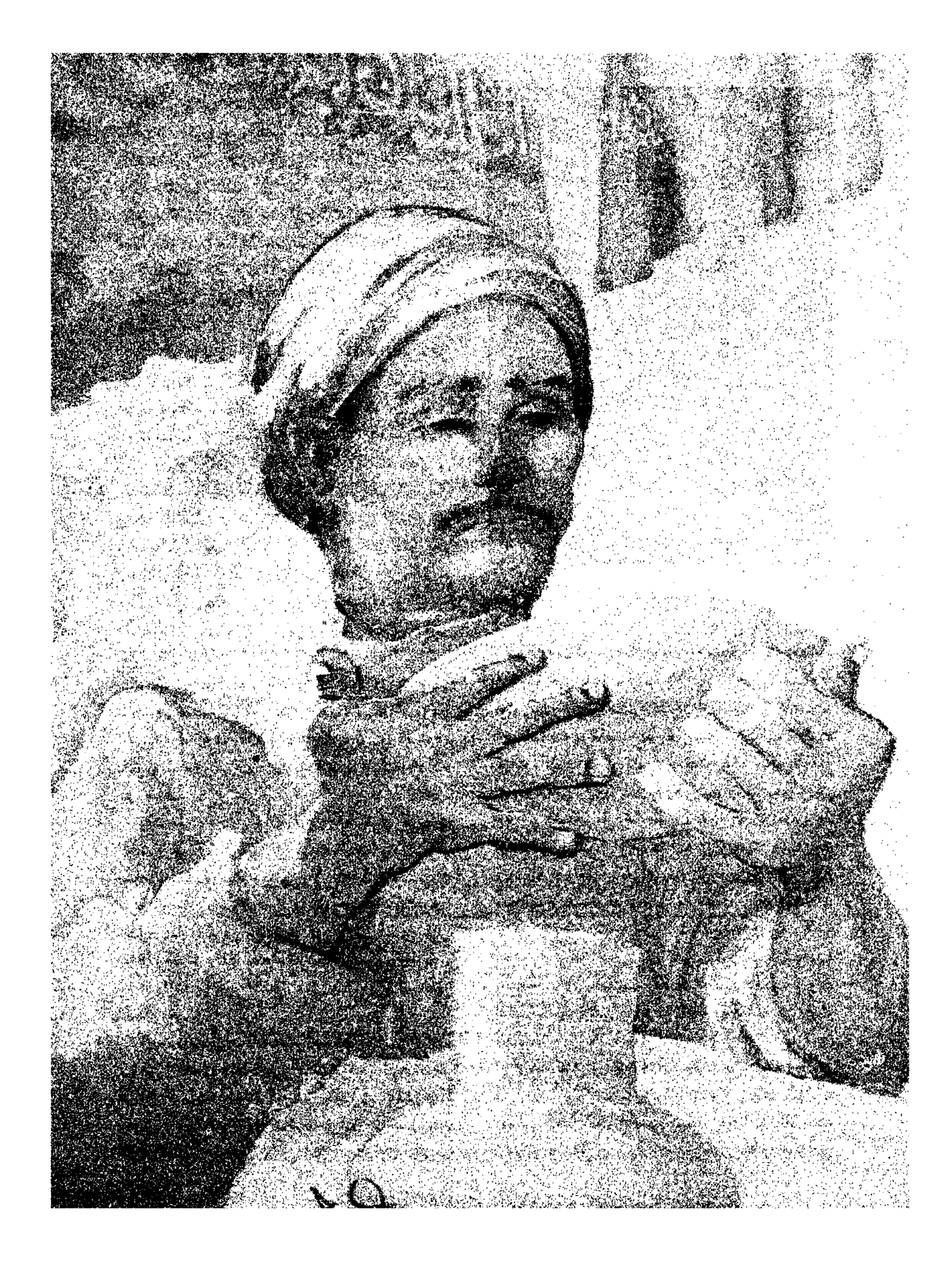
بقلم : يوسف الشاروني

يحكى ان رجلاً غريباً دخل مدينةً ، وكان عليه أن يمر بمقابرها أولاً قبل أن يصل الى مساكن الأحياء ، ومع أن بناء المقابر كان يدل على شيء من اهتمام الأحياء بموتاهم واعزازهم لهم ، الا انه شاهد في وسطها مبنى يبدو عليه شيء من القدم ، لكنه ما يزال محتفظا بجماله بحيث يكاد يكون أقرب الى القصر مما هو الى القبر ، وكانت عليه بقايا نقوش دقيقة ، وزخارف اذا دققت النظر فيها وجدتها وحدة زخرفية متكررة من رسوم الحيوان ، فاذا دققت أكثر وجدت أن الرسوم المتكررة لكلب متوسط الحجم من كلاب الصيد .

وتساءل الوافد الغريب عما يكون هذا البناء ، لكن تساؤله لم يطل لأنه وجد كتابة بخط كوفي جميل قرأها فاذا هي : اذا اردت ان تعرف قصة هذا البناء ، فعليك بسؤال أكبر الاحياء .

ثم مر بأحياء المدينة يتجول فيها حتى وصل الى ساحة في الحي القديم منها حيث شاهد قصرا أثريا يطل عليها ما يزال يحتفظ ببقايا عظمته وفخامته ، وبريق طلائه اللامع يلمع في وهج الشمس ، وكان واضحا أن زمن بناء القصر يرجع الى زمن بناء القبر الذي سبق أن مر به السائح المتجول ، بل ربما كان المعماري الفنان الذي وضع تصميمها شخصاً واحداً





لان طراز بنائهما متشابه وان كان القصر يتسم بالمهابة والجلال ، بينما القبر يتميز بالدقة والجمال . وقد تأكدت للغريب ظنونه حين وجد على واجهة القصر لافتة مشابهة لتلك التي سبق أن قرأها على القبر مكتوبة بالخط الديواني هذه المرة : اذا اردت ان تعرف قصة هذا البناء فعليك بسؤال أكبر الأحياء .

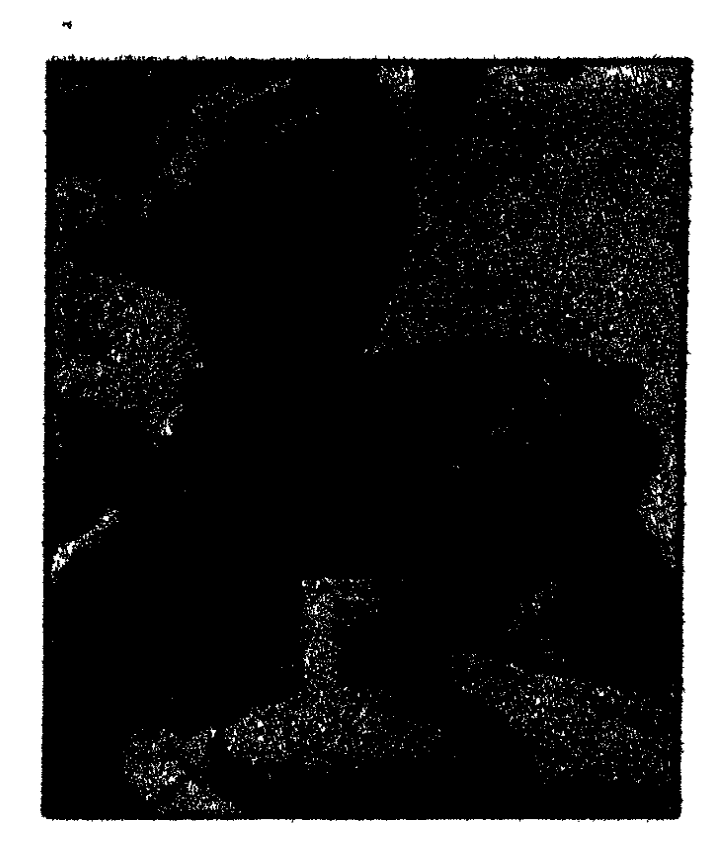
وبدافع من حب الاستطلاع أسرع الغريب يستفسر عمن يكون أكبر الناس عمرا حتى دلوه عليه وارشدوه اليه .

قدم له القهوة العربية مع التمر العماني وهو يقص عليه قائلا : كان يا ماكان ، من قديم الزمان لهذه المدينة حاكم ، وكان عند هذا الحاكم جارية في العشرينيات من العمر على جانب من الجمال لكنها بكماء صماء لاتنطق بشر ولا بخير ، وكانت تتفانى في خدمته لانه ـ رغم ما هي عليه ـ رضى أن يؤويها في بيته . كذلك كان لديه كلب جميل قوي كله شباب وحيوية ، شديد الوله به حتى انه كان حين يأكل يأمر باحضار طعام الكلب في الغرفة نفسها . وكان القصر مكونا من سبعة طوابق يصل بينها سلّم رئيسي وسُلّمان جانبيان ، وكانت غرفة الطعام تقع في الطابق الأول فوق الطابق الأرضي مباشرة .

وكان من عادة هذا الحاكم أن يعود كل يوم من النظر في قضايا رعاياه وشئون مدينته ليجد طبقا من الحساء معداً له على مائدة الطعام التي تتوسط كلبه وهو يتناول طعامه بدوره ـ وجاريته الصماء البكماء الواقفة على خدمته .

وقد حدث ذات يوم أن وقعت الجارية على درجات السلم وهي في طريقها الى غرفة الطعام فكسرت ساقها بحيث لم تستطع المشي ولا التحرك . ولما كانت غرفة الطعام أقرب غرفة اليها فقد حملوها هناك وهي تصرخ من الالم ، ووضعوها على فراش أعدوه لها . وهكذا ظلت مائدة الطعام تتوسط الكلب والجارية ، ثم اتوا لها بالمجبر الذي عمل لها جبيرة لساقها المكسورة .

وبعد ذلك بأيام كان طبق الحساء معدا على المائدة كما هي العادة ، واذا بأفعى أقبلت تزحف ثم صعدت المائدة وشربت الحساء كله ثم بخته في الطبق مرة اخرى ، وكانت الجارية شاهدا على كل ما حدث دون أن تستطيع حراكا ، وهي التي رويت فيما بعد ما



رأت . أما الكب فقد دخل الغرفة في اللحظات الأخيرة حين كانت رأس الافعى في طبق الحساء ، فاشرأبت اذناه ولمعت عيناه ببريق الذكاء والتأهب ، احساسا منه برائحة الخطر ، ويبدو أنها كانت لحظات كافية لان يدرك كل شيء ، فقد اندفع نحو الأفعى يحاول سحق رأسها بمخالبه وهو ينبح نباحا مسعورا هز جدران الغرفة ، بل ربما جدران المبنى كله ، لعله يريد ازعاجها فيشيع الاضطراب في زحفها السريع ويعرقله ، ولعله يريد أن ينبه الاخرين فيعاونوا على سحقها او يلمحوها فيدركوا ما حدث . لكن يبدو ان الافعى قد احست بالخطر الوشيك المحدق بها ، لانها زحفت بسرعة البرق ـ كما كانوايقولون وقتها ـ بحيث استطاعت ان تخطئها بالكاد مخالب الكلب ، وان تفلت بأعجوبة من مصير تستحقه واختفت من حيث أتت .

وبعد قليل وصل الحاكم عائدا من عمله وجلس الى المائدة يهم بشرب حسائه كالمعتاد ، لكنه قبل أن يلمس الطبق كان الكلب ينبح نباحا لم يألفه منه الحاكم من قبل ، بينما اخذت الجارية العاجزة عن

الحركة تصدر اصواتا من فراشها وهي تشير بيديها وكل تقاطيع وجهها ليبتعد عن شيء لعله المائدة او الطبق .

ودهش الحاكم مما يحدث ولم يفهم سببا له ، وكان كلما عاود الاقتراب من الطبق تكرر الامر نفسه ، واخيرا امسك عصا واخذ يضرب الكلب حتى يصمت ، لكن الكلب كان ينكمش على نفسه كما تنكمش الجارية على نفسها كانما دور ضربها آت ، حتى اذا تركه صاحبه واتجه نحو طبق الحساء عاد الكلب الى نباحه واندفاعه نحو سيده ، وعادت الجارية الى همهمتها المفزوعة واشاراتها المنذرة المحذرة

ويبدو ان الحاكم كان قد نفذ صبره ورأى انه قد اضاع ما يكفي من وقت ـ وربما جهد واعصاب وقرر الا يعبأ بتصرفات كلبه وجاريته التي شذت تلك الليلة . ومد يده ليتناول طبق الحساء ، عندئذ بلغت ثورة كل من الكلب والجارية ذروتها ، فاندفع الكلب نحو الطبق يضربه بيده حتى وقع على أرض الغرفة وانسكب كل ما فيه ، بينما الجارية ـ وان لم تستطع التحرك كثيرا لاصابتها ـ الا أن عقدة لسانها كانت قد فكت وهي تصرخ على سيدها .

واستشاط الحاكم غضباً ، ولكن قبل أن يهم بتأديب الكلب على فعلته كانت احدى قطط القصر قد تسللت ، وأخذت تلعق الحساء المسكوب ، غير أنها ما لعقت بضع لعقات حتى كان شعرها قد ابيض كله فاصبح كالثلج ، ثم ما لبث أن تساقط ، ومن بعده تساقط جلدها كانما هناك من يشويه على نار حامية ، ولم تعد ارجلها تقوى على أن تحملها فارتمت على الارض ، وهي تموء مواء خافتا وكل ما فيها يتساقط ويذوب ويتلاشى حتى مواؤها ، وبعد دقائق لم يكن هناك الا هيكلها العظمي .

عندئذ أدرك حاكمنا مدى وفاء كلبه واخلاص جاريته ، أما الكلب فعندما مات بعد ذلك بسنوات قلائل اقام له هذه المقبرة الجميلة تخليدا لذكراه ، بل تخليدا للوفاء . اما الجارية فقد تزوجها ـ وقد عاد اليها سمعها ونطقها ، وبنى لها هذا القصر حيث انجبت البنين والبنات الذين ينحدر من أصلابهم حاكم مدينتنا اليوم . □

فى خطبة خديجة

روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمه ابا طالب ليخطب له خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال فى خطبته : الحمد لله الذى جعلنا من زرع ابراهيم ، وذرية اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس . ثم ان محمد ابن عبد الله ابن اخى ، من لايوازن به فتى من قريش إلارجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا ، وان كان فى المال قلا « اى قليل المال » فانما المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما احببتم من الصداق فعلى .

وجبة علمية عقيقة

إنهم يأكلون الفطر!

بقلم : فوزى عبد القادر الفيشاوى

ماذا تعرف عن عالم الفطريات ؟ وما هى علاقة الفطر بمشتقات البترول ؟ وكيف برز دور الفطريات كمصدر جديد للبروتين غمر الأسواق العالمية كواحد من أغنى الاغذية للانسان ؟

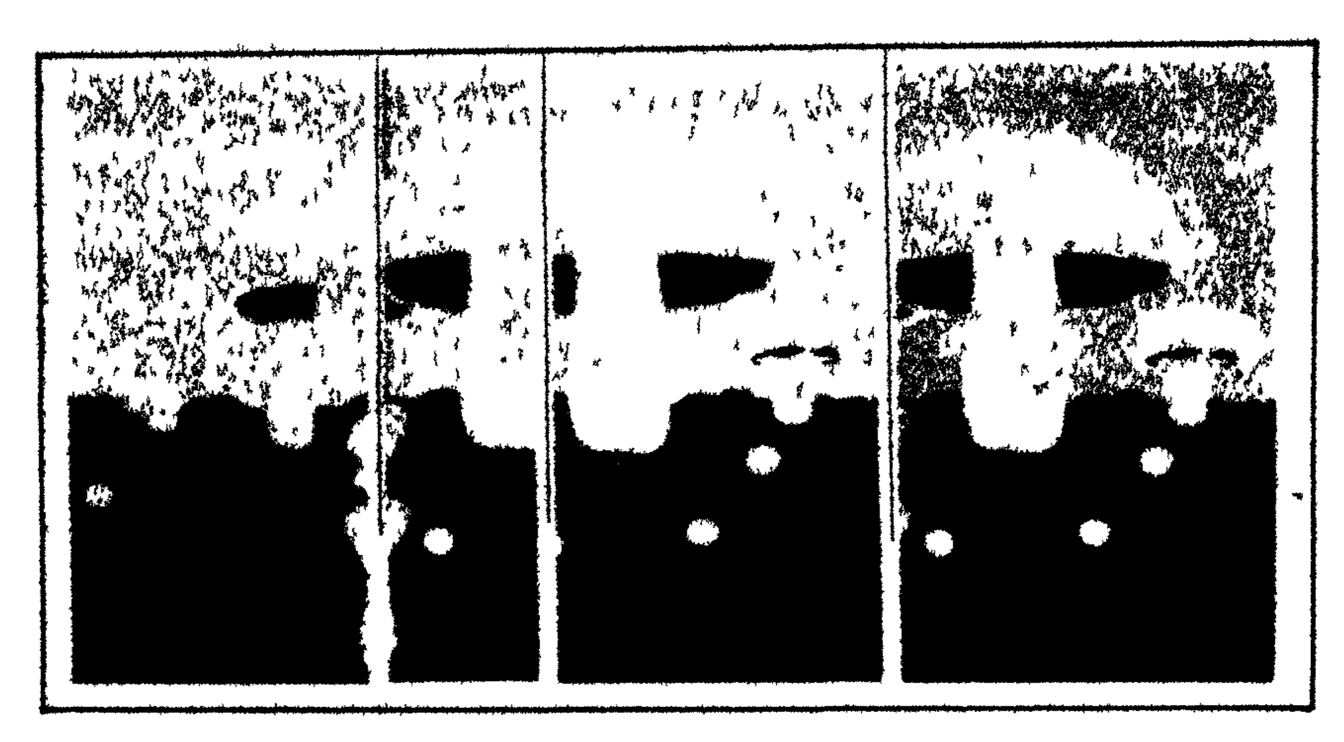
مثل كل الاكتشافات العظيمة .. تبدأ حكايتنا بملاحظة ظاهرة غريبة .. فمنذ أوائل الستينيات لاحظ العاملون فى حقل الطيران أن خزانات الوقود فى الطائرات تتعرض جدرانها الداخلية لرواسب غريبة .. تنمو بغزارة فتؤدى الى سد مجارى الوقود فى الطائرات ، وتسبب بذلك الكثير من حوادث الطيران .. لم تكن تلك الظاهرة مفهومة لأحد .. غير أن تكرار حوادث الطيران ، ولنفس السبب جعل الكثيرين ينادون بضرورة تحديد المسئولية . والقبض على الجناة الذين يتسببون فى انسداد انابيب وقود الطائرات .. وفعلا تشكلت لجان تحقيق ، ضمت اليها بعض العلماء والباحثين .. وراح الجميع يتتبع خيوط المؤامرة ، ويجمع الأدلة والبراهين .. وفى اجتماع مشهود ، وقف احد هؤلاء الميكروبيولوجى يعلن : أن الجناة مقبوض عليهم فى الانابيب ... وأنهم ليسوا الا كائنات حية دقيقة تسمى فى لغة العلم .. الفطريات .

ـ وراح عالمنا الشهير يشرح للحاضرين كيف ينفذ الجناة مخططهم المرسوم ... فهم محبون للنفط ، مغرمون به .. فما ان تمتلىء خزانات الوقود بالنفط ، حتى تتعرض جدران الخزانات لهجوم مكثف من آلاف الفطريات الدقيقة ، التى تستمرىء هذا الطعام البترولى الشهى ، وبسرعة تنمو وتتكاثر ، لتكون فى النهاية كتلا خلوية تسد مجارى الوقود .. وتكون النهاية .. نهاية احدى الطائرات ...

وبسرعة يتلقف العلماء الكسرة .. أقصد الظاهرة .. ويوجهون بحثهم فى اتجاه آخر .. فقد تساءل العلماء .. اذا ما كانت للفطريات كل هذه الامكانيات الهائلة للنمو على مشتقات البترول ، وتكوين هذه الكتل الخلوية الضخمة ، والتى تمثل البروتينات أهم مكوناتها .. فلماذا لا ندرس إمكانيات واحتمالات زراعة هذه الكائنات على مشتقات البترول ، بحيث تمثل فتحا جديدا فى تكنولوجيا النفط . وفى نفس الوقت تحمل البُشرى لملايين الجوعى فى أنحاء العالم .. ؟

وهكذا برز دور الفطريات كمصدر بروتينى جديد . وانضم بذلك الى رفاقه من الجيل الجديد .. جيل البروتينات غير التقليدية ..

تتبع الفطريات عالم النبات .. غير انك اذا راقبتها تحت المجهر فلن تجد لها جذورا أو سيقانا أو أوراقا .. وسوف تلاحظ خلو خلاياها من مادة اليخضور (الكلوروفيل) وهى المادة المسئولة عن عملية البناء الضوئى فى النباتات الراقية ..



فطر يصلح للاكل

والفطريات لهذا السبب لا تستطيع العيش بمفردها . ولكنها تعيش عالة على غيرها من الكائنات ، أومترممة على المخلفات النباتية والحيوانية فتنمو عليها نموا سريعا ، وتعطى فى النهاية كتلا حلوية غنية بالبروتين .

وهذا ما شجع العلماء على الاهتمام بتلك الكائنات . فقد اعتقدوا أننا نستطيع بواسطتها (ضرب عصفورين بحجر واحد) كما يقولون . .

فمشكلتنا الكبرى فى الزراعة . هى تلك الاطنان الهائلة من المخلفات الزراعية سواء النباتية أو الحيوانية ، والتى نضطر فى كثير من الاحيان للتخلص منها بحرقها . . ولكن . . ها هى ذى الفطريات على استعداد للنمو عليها ، وتستهلكها فى بناء خلاياها الغنية بالبروتين ، فنتخلص بذلك من المخلفات ، ونحصل فى نفس الوقت على أغذية بروتينية طيبة الطعم والمذاق . . !!

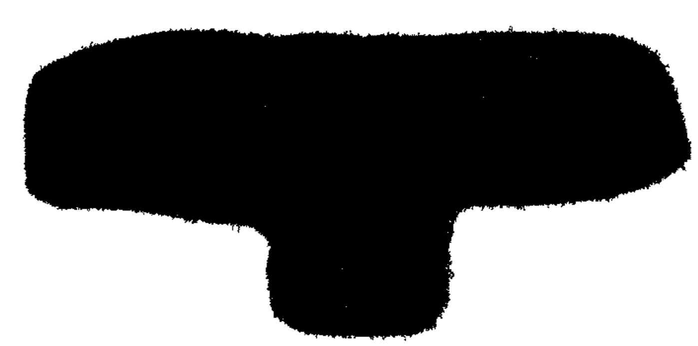
حقا . . ما أجملها من فكرة . . ولكن كيف سنحصل على بروتين الفطريات ؟

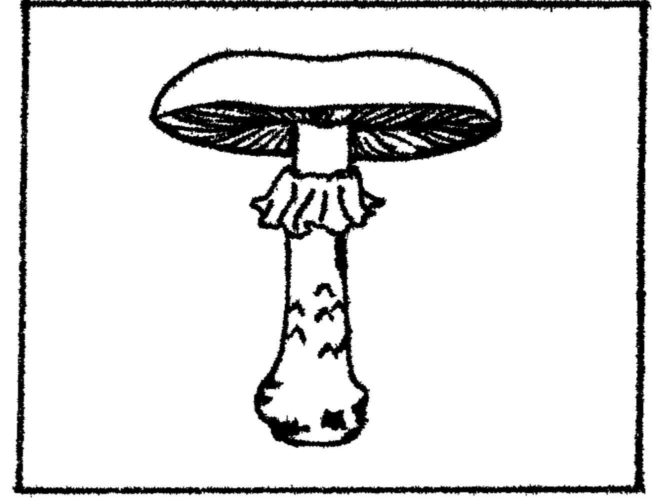
حسنا . . ما علينا حينئذ الا أن نجهز للفطريات بيئة النمو المناسبة وهى خليط من الماء ، وأى نوع من المخلفات الزراعية أو مخلفات مصانع الاغذية مثل (المولاس) المتخلف من صناعة السكر . . وعندئذ تتشرب الاكياس الجرثومية للفطريات كميات من هذا السائل ، وتنتفخ ، وبعد ساعات قليلة تنفجر الاكياس الجرثومية وتبرز الخيوط الدقيقة التى تستطيل وتتفرع . . وكل منها ينمو ويتضاعف ليعطى ملايين الجراثيم الجديدة ـ وهكذا ـ وبعد أربعة أيام تفصل المستعمرات وتجفف وتطحن على هيئة مسحوق بروتينى . . !

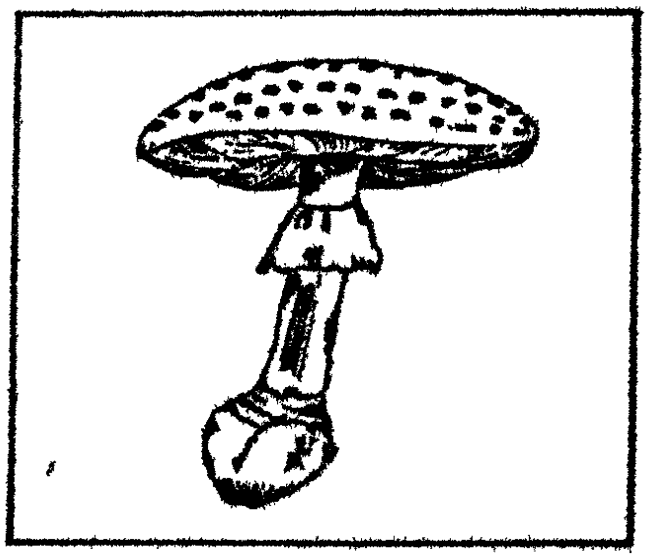
والنفط . . كذلك . .

ولا تقتصر بيئة زراعة الفطريات على المخلفات الزراعية ومخلفات مصانع الاغذية ، ولكن التجارب أثبتت امكانية استغلال بعض المشتقات البترولية ، مثل الغازات الطبيعية وزيت الغاز ، كبيئة لزراعة الفطريات بهدف انتاج البروتين البترولى Petroprotein من الفطريات . .

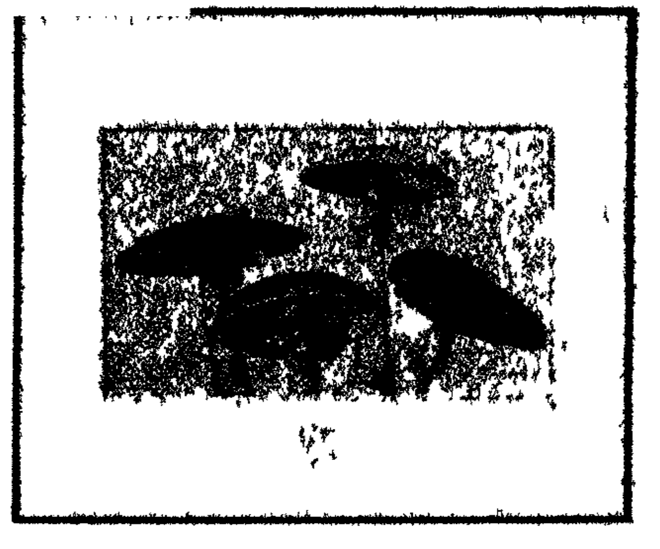
وقد اكتشف العلماء أكثر من ألف نوع من الكائنات الميكروبية لها قابلية النمو على مشتقات النفط . . وهى كلها سلالات فصلت من الطبيعة . والتى تعتبر المصدر الاساسى لكل السلالات الميكروبية ، غير أن العلماء تمكنوا من انتاج سلالات جديدة ، عن طريق احداث الطفرات الصناعية ،

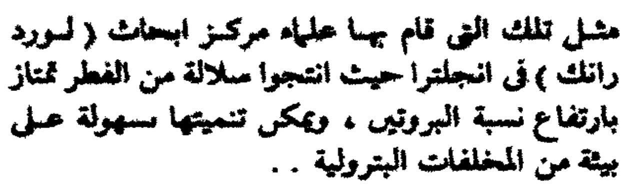






نوعان من الفطر احدهما صالح للأكل (الأعلى) والثاني سام (الأسفل)





مثل تلك التي قام بها علماء مركز ابحاث (لورد رانك) في انجلترا حيث انتجوا سلالة من الفطر تمتاز بارتفاع نسبة البروتين ، ويمكن تنميتها بسهولة على بيئة من المخلفات البترولية . .

بروتين الفطريات . . في الميزان

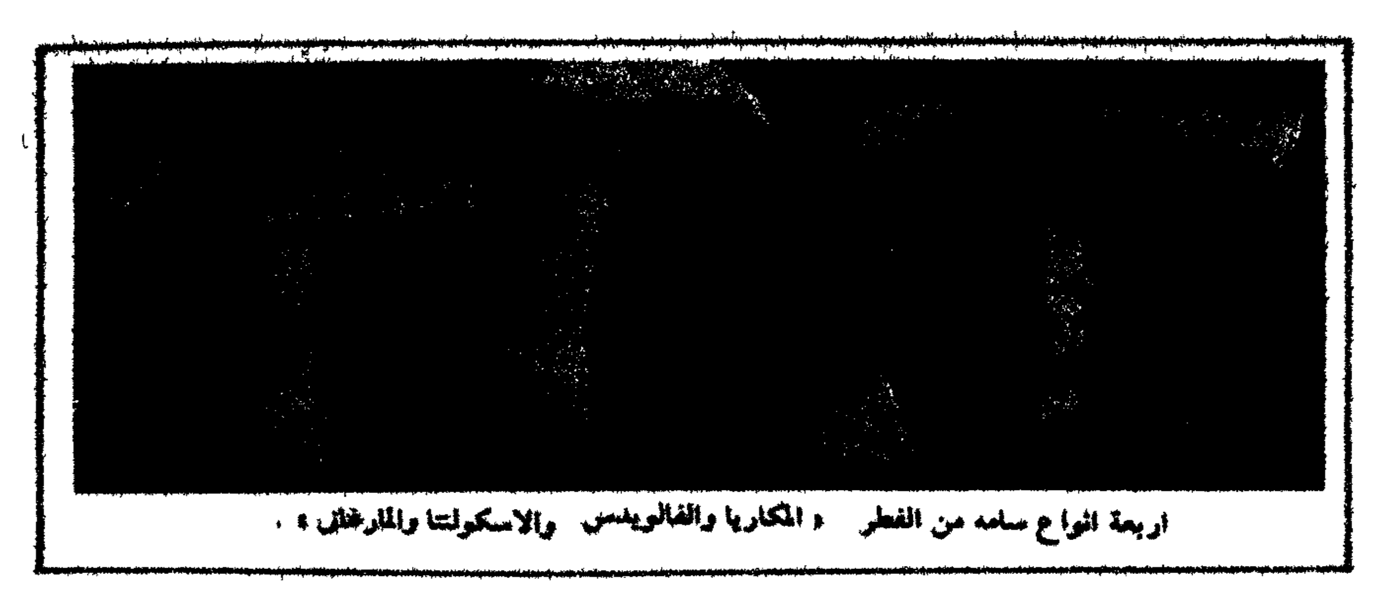
تشير نتائج معامل التحليل ، أن نسبة البروتين في الفطريات يتراوح بين ٣٠ - ٦٠٪ بالمقارنة بنسبة ٢٦,٥٪ في اللبن المجفف الكامل .

ولكن الامانة العلمية تقتضي أن نشير الى أن هناك نقطة ضعف في بروتين الفطريات ، ويتمثل ذلك في افتقار هذا البروتين لبعض الاحماض الامينية الاساسية مثل التربتوفان والميثونين (وهي أحماض لازمة لتغذية الانسان) .

غير أن البروتين الفطري يتمتع بميزة هامة . . فهو غني بحامض أميني أساسي يسمى (الليسين) وهذا الحامض الاخير لا يتوافر في البروتينات النباتية مثل الفول والعدس والبسلة والفاصوليا . . وغيرها . .

ولهذا فقد اقترح العلماء إمكانية اضافة بروتين الفطريات (الغني بالليسين) مع بروتين النبات (الفقير بالليسين) بهدف رفع القيمة الحيوية للوجبة الغذائية .

ومن ناحية أخرى فقد ثبت بروتين الفطريات أنه يشبه بروتين السمك ، وكذا البروتين النباتي المنتج من فول الصويا . .



اربعة انواع سامه من الفطر « المكاريا والفالويدس والاسكولنتا والمارخللي » .

ومما يزيد ايماننا بهذه البروتينات الجديدة .. تلك التجارب التي أجريت على الحيوانات كما حدث في المعهد المركزي لبحوث الطعام والتغذية في هولندا ، فقد اقبلت العجول والدواجن على الأعلاف التي خلطت ببروتين الفطريات ولوحظت زيادة معدلات نموها ..

وهذه التجارب ، تعيد الينا ذكرى ما فعله الألمان في أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) حينما قاموا بانتاج أعلاف للماشية من الفطريات .. فكانوا يضعون أملاح النوشادر مع علف حيواني ثم يزرعون في العلف المندى أنواعا من الفطريات ، التي تنمو وتحول أملاح النوشادر الى بروتين سهل الهضم ورخيص الثمن ..

من فضلك .. طبق فطريات ..

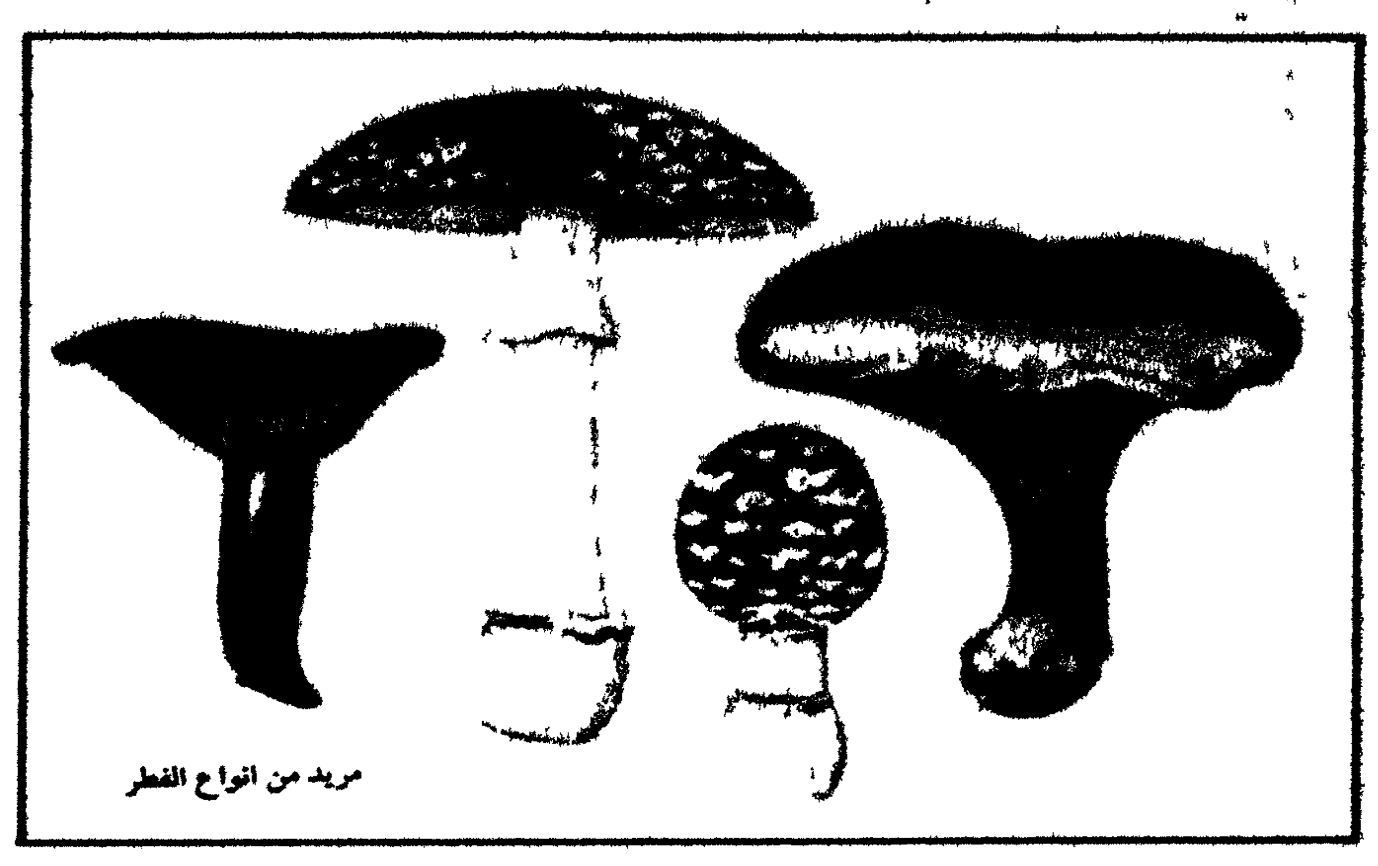
نداء ستتعود على سماعه وترديده في المطاعم ، وربما مع تحوير بسيط في النداء .. فمازال لفظ .. فطريات ، وعفن يثير الاشمئزاز لدى كثير منا . وتجنبا لسوء الفهم هذا ، فمن المتوقع أن تدخل بروتينات الفطريات كمرحلة أولى ضمن أغذية تقليدية مألوفة مثل اللحوم المفرومة أو السجق أو اللنشون ، بهدف خفض سعرها .. وقد تدخل ضمن تركيب المكرونة وأنواع الشعرية وغيرها من منتجات العجائن ، بهدف رفع قيمتها الغذائية مع خفض اسعارها ، نظرا لرخص ثمن بروتين الفطريات ، والذي وصل سعر الكيلوجرام منه الى حوالي دولار واحد ..

وفي الآونة الاخيرة ، فقد خطت تكنولوجيا الفطريات خطوة واسعة . عندما صرحت الحكومة البريطانية لشركة (هوفيزماكدوجال) وهي اكبر شركة للانتاج الغذائي في أوروبا ، بالبدء في غمر الاسواق العالمية بطعام غني جدا بالبروتين ، مصنوع من الفطريات مع فطر عيش الغراب ..

والطعام الجديد سيباع على هيئة (أصابع سميكة) ، وكذلك على هيئة أجزاء الطيور ولحم البقر . وقد تمكنت الشركة بعد ابحاث طويلة من تقليد انسجة اللحم الحيواني ولحوم الطيور ، وكذلك اعطت اللحم الجديد نفس رائحة ومذاق اللحم الطبيعي ، بحيث لا يمكن للمستهلك أن يفرق بينه وبين اللحم الطبيعي

ليس هذا فحسب .. بل ان المجال فسيح أمام بروتين الفطريات لاستخدامه للاغراض الصناعية كمنكهات (أي عوامل طعم ورائحة) للأغذية التقليدية فمن قبل استخدم الشرقيون بعض انواع الفطريات لتكسب نكهة خاصة لشوربة فول الصويا . وفي معهد باتل التذكاري بمدينة كولمبس بولاية أوهايو الامريكية توصل الباحثون لانتاج البروتينات الفطرية على هيئة بودرة للشوربة . كما أثبتت بعض الفطريات مثل فطر موروشيلا نجاحا ملحوظا لانتاج بروتين غذائي يتميز بروائح مرغوبة .

ومن ناحية أخرى فقد استخدمت هذه البروتينات كعوامل استحلاب في كثير من الصناعات الغذائية ..


مزيد من انواع الفطر

واليوم . . تحتل منتجات البروتين الفطرى مكانة مرموقة فى السوق الدولية . . سواء فى أمريكا أو اوروبا أو دول الكتلة الشرقية . . ولكن . . أين نحن من هذا العالم الجديد . . عالم بروتين الفطريات . . ؟

مجتمعنا العربي . . يخاصم الفطريات

من المدهش حقا أن تتابع عن بعد اخبار جيل جديد من البروتينات غير التقليدية ، بدأت تأخذ مكانها على موائد العالم شرقا وغربا . فى الوقت الذى لا يسمع كثير منا عن هذه البروتينات . . ناهيك عن تناولها . .

والأغرب من هذا . . أن الدول المتقدمة التى تمثل فى تعدادها ربع سكان العالم تنتج وحدها حوالى ٤٠٪ من البروتين العالمى بالطرق التقليدية بينما الدول النامية التى تمثل ثلاثة أرباع سكان العالم تنتج حوالى ٦٠٪ من البروتين العالمى ، مما انعكس على نصيب الفرد من البروتين فى كل من المجموعتين . . اى أن عالمنا النامى كان أولى به أن يسبق الآخرين فى البحث عن مصادر جديدة للبروتين . . الا أن العكس هو الذى حدث ، فمعظم أبحاث البروتينات غير التقليدية ، ومعظم المصانع التى تنتج هذه البروتينات منتشرة فى داخل حزام الدول المتقدمة . .

واذا كنا فى عالمنا العربي . . ما زلنا حتى الآن نخاصم البروتينات غير التقليدية ، برغم أنها أمل الكثيرين لفك حصار الجوع وسوء التغذية . . فاننا لا نلقى بالملائمة على شعوبنا فهى لم تُهيأ بعد نفسيا لتقبل هذه الأغذية الجديدة . ولا يرجع ذلك - فى رأينا - لقصور فى العقل العربي كأن يقال انه عقل رافض لكل جديد . . لا . . بل ان العقل العربي لقادر على استيعاب المرحلة ، ولا ينقصه الا التوجيه الرشيد من أولى الأمر المعنيين بمشاكل التغذية وانتاج الطعام ، ومن ورائهم رجال المال العرب الذين يضنون بأموالهم للدخول فى سباق انتاج البروتينات الجديدة .

ولعلنا ونحن نعرض للعقل العربي والمذوق العربي ، جانبا من هذا العالم المثير . . عالم البروتينات غير التقليدية . . لعلنا بهذا نقدم للعقل العربي بعضا من حقه فى أن يعرف . . وتلك - بلا شك - أولى خطوات تقرير المصير . . . □



هل تخاف السفر بالطائرة ؟

بقلم الدكتور : فوزي عليان

ما زال بعض الناس يخافون ركوب الطائرة رغم التطور الهائل الذي حدث في صناعة الطائرات . . فهل أنت ممن يخافون السفر الجوي ؟ وهل تعلم أن السفر جوا أكثر وسائل الانتقال أمنا ؟ ومع ذلك فان عليك قبل أن تسافر أن تكون مدركا للأخطار الصحية للسفر الجوي .

إن مصدر الخوف من ركوب الطائرة كما يقول بعض علماء النفس هو الشعور الذي ينتاب الناس بأنهم لا يسيرون فوق أرض صلبة . . ان التحليق في الجو بين الأرض والسماء يثير الرعب في نفوس الكثيرين من الرجال والنساء على السواء ، ويضاعف من هذا الشعور المنظر الذي يتكرر أمام ركاب الطائرة وهي تستعد للانطلاق ، عندما تقف المضيفة أمام ركاب الطائرة ، وهي ترشدهم الى ما يجب أن يفعلوا به في حالة انخفاض الضغط داخل الطائرة وفي حالة الهبوط الاضطراري ، ثم وهي تحدثهم عن أماكن الخروج الاضطراري على الجانبين .

والغرض من الطائرة قصير حيث انها وسيلة سهلة ميسرة للانتقال من مكان الى مكان بطريق الجو

وعندما تنبأ هـ . ج . ولز في كتابه (مكنة الزمان) بقرب توصل الانسان الى هذا الاختراع ، قال الذين قرأوا كتابه : (وكأنه يتنبأ بنهاية الحياة على الأرض ! ترى أين يريد لنا الكاتب أن نعيش ؟)

هذا الخوف . . هل له ما يبرره ؟ لو عرف الناس أن حوادث السيارات ، طبقا للدراسيات والاحصائيات ، تبلغ أضعاف حوادث الطائرات من حيث عدد الضحايا الذين يسقطون تحت عجلاتها التي تسير على أرض صلبة ، أو الذين يقضون نحبهم وراء عجلة القيادة نتيجة لحوادث التصادم المروعة حتى أصبحت السيارة نقمة . . لو عرف الناس هذه الحقائق العلمية لأدركوا أن حوادث الطائرات أقل بكثير جدا نسبيا من حوادث السيارات . . ولقد وقفوا على الرعب الذي يصيب البعض من ركوب الطائرة التي اصبحت تنطلق اليوم بركابها بسرعة تفوق سرعة الصوت .

ولكن لنا بعد هذا وقفة . . ترى متى يكون السفر بالطائرة محفوفا ببعض المخاطر ؟ ان هناك بعض الحالات التي تتطلب حرصا وحذرا من جانب المسافر بالطائرة ، نتيجة للتغييرات التي قد تطرأ فجأة ، وهي تغييرات يحتملها المسافر السليم ، ولكن قد تسبب ضيقا لمن يشكو علة أو مرضا .

والمتاعب الصحية التي تنجم عن السفر الجوي تنتج عن عدة أسباب ، من بينها انخفاض الضغط الجوي داخل الطائرة ، أو اهتزاز الطائرة ، أو الجلوس الطويل بلا حركة ، أو الانتقال السريع الى مناطق زمنية مختلفة عن تلك التي اعتادها الانسان .

ونبدأ بانخفاض الضغط الجوي . والطائرات الحديثة مكيفة الضغط ، ومعظم النفاثات تطير على ارتفاع يتراوح ما بين ثلاثين الفا الى اربعين ألف قدم من مستوى سطح البحر . وعند هذه الارتفاعات فان الضغط داخل قمرة الركاب يكيف ليتساوى مع ضغط جوي يعادل الارتفاع على خمسة آلاف الى سبعة آلاف قدم من مستوى سطح البحر ، أي حوالي ٦٠٠ ملليمتر زئبق بدلا من ٧٦٠ ملليمتر زئبق عند سطح البحر .

وينتج عن انخفاض الضغط هذا تأثيران هامان :

أولهما : انخفاض الضغط الجزئي للاوكسجين ،

والثاني : تمدد الغازات .

والأكثر من يعاني من هذه المشكلة هم من اعتادوا السكن على ارتفاعات قريبة من مستوى سطح البحر .

انخفاض ضغط الاكسجين

تتأثر نسبة تشبع خضاب الدم (الهيموجلوبين) بالاكسجين ، ولكن هذا التأثير ليس بكثير ، وذلك نتيجة للخصائص الفسيولوجية لخضاب الدم .

ويقدر نقص الاكسجين عند ارتفاع ستة آلاف قدم بأربعة بالمئة فقط عند الشخص العادي . أما اذا كان المسافر مصابا بأحد امراض الدم أو الجهازين الدوري والتنفسي فان الأثر كبير وضار . ويزداد الأمر سوءا اذا كان المسافر من المدخنين . فمن المعروف أن دم المدخن يحتوى على ما يقرب من خمسة بالمئة من الهيموجلوبين المشبع بغاز أول أكسيد الكربون ، بدلا من الأكسجين ، واذا اضيفت هذه النسبة الى ما ينقص من أكسجين اتضح مقدار الضرر الحاصل .

وذلك فان المصابين بفقر الدم الشديد ينصحون بعدم السفر بالطائرة حتى يتم علاجهم .

وكذلك ينصح الأطباء بعدم سفر المصابين بفقر الدم المنجلي (وهو حالة وراثية) بطريق الجو حيث ان نقص الاكسجين قد يسبب تكون جلطات مختلفة في الجسم ، مثل الطحال والعظام والمخ . واذا كان لا بد من سفرهم فمن الأفضل أن يتم تزويدهم بالأكسجين خلال الرحلة .

وكذلك ينصح بعدم سفر المرضى المصابين بجلطة حديثة في القلب أو الرئة أو الدماغ .

وهناك نتيجة أخرى لانخفاض الضغط وجفاف الهواء هي ازدياد فقد الجسم لسوائله عن طريق التنفس . وعند البالغين فان هذه ليست بمشكلة كبيرة ، وكل ما يشعر به المسافر هو بعض العطش ، أما في الأطفال وخصوصا حديثي الولادة فان الأمر قد يكون خطيرا ، فهم يفقدون سوائلهم بنسبة أكبر من الكبار ، ويجب إعطاؤهم المزيد من السوائل خلال الرحلة .

وتتمدد الغازات بانخفاض الضغط ، وتقدر الزيادة في حجم الغازات على ارتفاع ستة آلاف قدم بما يقرب من الثلث .

وأغلب المسافرين يشعرون بهذا عن طريق الأذن ، وكذلك يشعرون بتمدد الغازات في أمعائهم ، وبعضهم قد يصاب بمغص ورياح ، وهي آثار جانبية لا تلبث أن تزول بعد فترة زمنية وجيزة .

ان الأذن الوسطى متصلة . . بالبلعوم عن طريق قناة استاكيوس ، والتي تقوم بوظيفة معادلة ضغط الأذن الوسطى بالضغط الجوي الخارجي . واذا كانت هذه القناة مسدودة كأن يكون المسافر مصابا بالزكام ، فان الضغط يزداد داخل الأذن الوسطى ، وقد يسبب ألماً شديدا ، وكذلك المصابون بالتهاب الجيوب الأنفية ، الذين تزداد أعراضهم سوءا مع انخفاض الضغط الجوي .

وتتمدد الغازات داخل الأمعاء ، وقد يشكل الأمر خطرا كبيرا على من أجريت له عملية جراحية خلال الأيام القليلة السابقة للسفر اذ قد تتفتق جراحه .

كما يمنع المريض المصاب باسترواح صدري (دخول هواء الى الغشاء البللوري للرئة) من السفر جوا خوفا من ازدياد الضغط على الرئة وبالتالي نقص كفاية الجهاز التنفسي .

اهتزاز الطائرة ودوار الحركة

تطير معظم النفاثات على ارتفاعات عالية فوق السحب ، حيث الاضطرابات الجوية ، ولكن مازال هناك بعض الطائرات المروحية التي تطير على ارتفاع أقل ، حيث يكون الجو أكثر اضطرابا ، الأمر الذي يعرضها للاهتزازات التي تؤثر على جهاز التيه في الأذن الداخلية .

وقد يشعر بعض المسافرين بالدوار والغثيان والقيء . ولذلك فان المسافر الذي يصيبه الدوار ينصح بتناول الأدوية المضادة للتقيؤ قبل صعود الطائرة ، كما أن الجلوس في وسط الطائرة بين الجناحين أفضل ، حيث ان الاهتزازات هناك أقل .

ومن الملاحظ أن الدوار يقل كلما اعتاد المرء ركوب الطائرة .

والجلوس الطويل بدون حركة في أثناء الرحلات البعيدة يصيب الأقدام بالتورم والاحتقان ، وقد يتجمع الدم في الأوردة .

والأكثر للمرضين للاصابة هم أولئك الذين أصيبوا بجلطات سابقة في أرجلهم والمصابون بدوالي أوردة الساقين الذين ينصحون بارتدائه جوارب مرنة ضاغطه . كما أنه من الأفضل أن يترك المسافر مقعده ليتمشى في ممر الطائرة اذا سمحت الفرصة بذلك . كما يمكن للمسافر أن يقوم بتمارين رياضية خلال جلوسه ، وذلك بشد عضلات الساقين بدون تحريكها .

عبور المناطق الزمنية بسرعة

ومن المعروف أن للجسم دورة فسيولوجية يومية تحدد للانسان نشاطه اليومي من نوم وأكل ونشاط . واذا انتقل المسافر الى بلد يكون فارق التوقيت بينه وبين بلده الأصلي كبيرا ، فانه يشعر لعدة أيام بالتعب والارهاق والأرق ، وقد تنخفض قدرته الذهنية . ويحتاج لعدة أيام للتكيف مع طبيعة البلد القادم اليه .

وينصح المسافر الى بلاد بعيدة بالنوم في الطائرة ، والامتناع عن القيام بأعمال تتطلب تنبها وتركيزا ذهنيا لعدة أيام . وتزداد هذه المشكلة حدة عند كبار السن .

كما أن فئة أخرى من المسافرين تتأثر من جراء السفر ، وهم مرضى البول السكري ، حيث قد تتغير عليهم مواعيد تناول الدواء والطعام ، ولذلك فان عليهم المحافظة على المواعيد التي اعتادوها في بلادهم قبل السفر ، حتى يصلوا وجهتهم ويتكيفوا التكيف المناسب مع طبيعة البلاد الجديدة .

سفر الحوامل :

أن تأثير السفر قليل على الحوامل ، وينصح بعدم سفر الحامل بعد الاسبوع الخامس والثلاثين . والسبب الوحيد لذلك هو خشية الولادة خلال السفر . وفي النساء اللاتي أنجبن الكثير من الأولاد فان الطلق والولادة قد يأتيان سريعا ، ولذلك فان هذه الفئة تنصح أكثر من غيرها بعدم السفر خلال الحمل .

ان السفر بطريق الجو أصبح آمنا ومريحا ، واذا كان للمسافر أي شك باحتمال أن يشكل سفره خطرا عليه فعليه أن يراجع طبيبه . كما أن الكثير من شركات الطيران الكبرى لديها أطباء متخصصون في هذا المجال ، وهم قادرون على اعطاء النصيحة .


اقرأ في العدد القادم من العربي
بومباي .. تحت العاصفة
استطلاع بالألوان ... سليمان مظهر
حصن البحر الأبيض المتوسط
لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع
د. محمد بركات
د. حسين العروسي
د. محمد سيد محمد
ملف عن الجامعة العربية يشارك فيه:
د. أسامة أمين الخولي - علي شعراوي
واقرأ: دفاع عن أبي حيان التوحيدي .. د. جعفر هادي حسن
النقد الأدبي عند لسان الدين بن الخطيب .. د. إحسان عباس
إصابات الرأس واللحظات الذهبية .. د. سامي محمد علي
قناة البحرين .. خطر إسرائيلي قادم ! استطلاع سليمان الشيخ
كتاب الشهر: وجوه عديدة لعاشق واحد اسمه مجنون ليلى ! جليل العطية
وجهاً لوجه: الطيب صالح وصلاح حزين
البيت العربي: ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

(كوستو) في رحلة حول العالم

العالم الفرنسي جاك كوستو يبلغ من العمر ٧٤ عاما وقد تحدثنا عنه في عدد سابق بصدد اختراعه الجديد القارب الشراعي الآلي الذي يعتمد على الريح جزئيا ويوفر بذلك الكثير من البترول الذي يستهلك وقد دار حديثنا السابق حول الفشل الذي لقيه في رحلته التجريبية الاولى ، والذي اضطره الى العودة من حيث أتى مؤكدا أن التلف الذي حل بشراعه آنذاك كان سببه خلل اللحام الذي اكتشفوه عند قاعدة الشراع والذي أدى الى خلع ذلك الشراع أو كسره ولم يشك كوستو عندئذ بأن المسؤول عن ذلك الخلل كان احد العمال الذين أسهموا في بناء القارب وأن اختراعه سليم ١٠٠٪ كما ستدل على ذلك التجربة الثانية

وبدأ كوستو تجربته الثانية هذه في أواسط شهر مايو الماضي (١٩٨٥) وانطلق بقاربه الجديد (الكيون) من لاروشيل في فرنسا الى نيويورك . فهو اذن ينوي قطع المحيط الاطلسي باعتباره المرحلة الاولى من رحلته وسيواصل الابحار بعد ذلك في اتجاه الجنوب حتى يصل الى كيب هورن في أقصى جنوب أمريكا الجنوبية ، ليدور حوله ويتجه بعد ذلك شمالا فغربا حتى يصل الى اليابان ومنها الى بيكيني وجزر انيوتوك المرجانية في أواسط المحيط الهادي .. حيث سيقوم بقياس الرواسب الذرية التي يمكن أن يكون قد خلفها هنا التفجير النووي الامريكي الاول . وسيعود الى فرنسا بعد مضي سنتين ونصف السنة على مباشرته الرحلة .



جاك كوستو

وقد قال كوستو للصحفيين قبيل بدء الرحلة « ستقيم رحلتنا الدليل على أن قاربنا الجديد ـ المصمم والمصنوع في فرنسا ـ كفيل بتوفير الكثير من البترول الذي درجت السفن (غير الشراعية) على استهلاكه بمقادير كبيرة .

وحينما سئل عن قاربه (الكيون) وعما اذا كان من القوة والمتانة بالقدر الكافي

تتطلبه تحديات الرحلة ، أجاب « ان الكيون قارب صغير نسبيا ولايزيد على ٦٥ بثا .. ويجهز بمحركين ديزيل وتوربينات رياح جعلت على هيئة مداخن بطول ٣٠ قدما ، ولكنه جرب قبل عشرة أيام حين ابحر في يوم عاصف بلغت سرعة الريح فيه ٤٧ عقدة .. واحرز الكيون سرعة ١٠,٥ عقدة في تلك الريح القوية . ولم يستهلك القارب سوى قطرات محدودة من الوقود وهي التي يحتاجها تسيير محركات الشراع الضرورية لبدء عملية امتصاص الهواء » .

وتجدر الاشارة الى أن الرئيس ريجان سيستقبل كوستو ويقلده وسام الحرية،أعلى الجوائز المدنية التي تمنحها الولايات المتحدة الامريكية وذلك في ٢٣ يونيه . .

قصة نجاح .. بطلها عربي مغترب

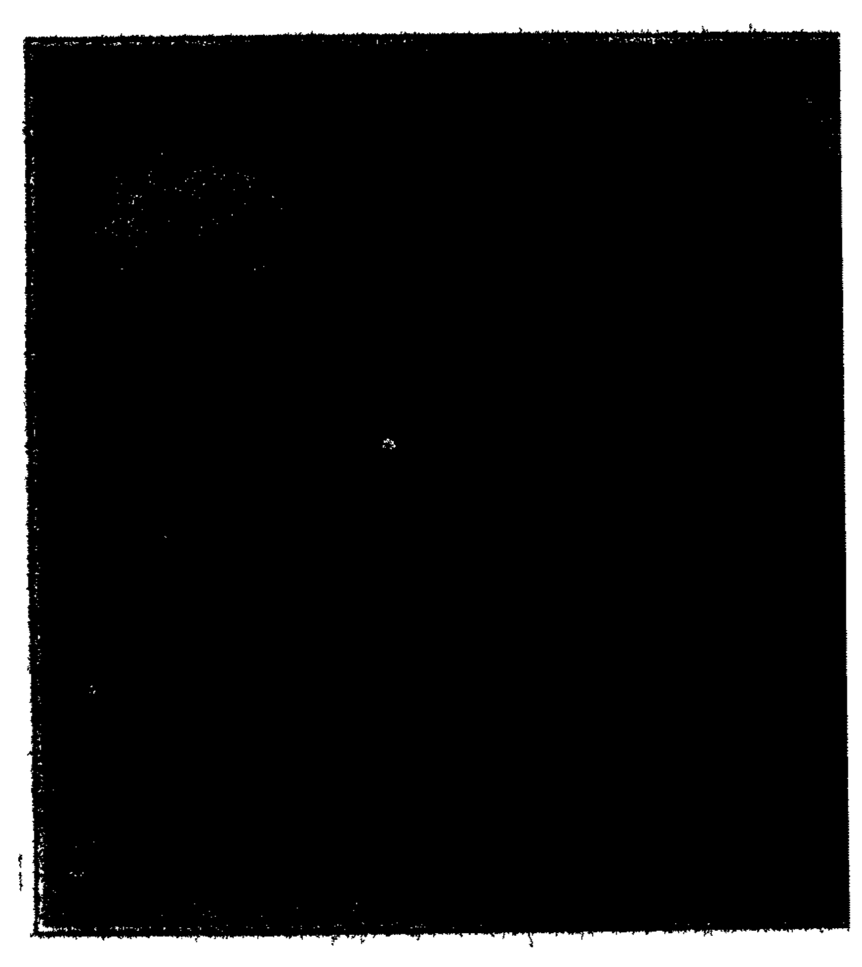
■ يعجب الانسان والانسان العربي بالذات ، للنجاح الفائق أو النبوغ ، الذي تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة والعاملة في شتى البلدان الاوروبية والامريكية . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : لماذا يتعذر على هذه الأدمغة مثل هذا النجاح فيما لو بقيت تعمل في المحيط العربي ، او في حالة عودتها اليه في هجرة معاكسة ؟ وقصص نجاح العرب المغتربين كثيرة ، ويكاد لايمضي شهر واحد دون أن يفاجأ المتتبع لها بقصة أخرى جديدة .

وقصة النجاح التي نود استعراضها هنا باختصار وقعت في بلاد السويد ، حيث توجد شركة استرا لصناعة الادوية ، اكبر شركات الأدوية في السويد .. وحيث توجد شركة فرمنتا المتفرعة عن شركة استرا ، والمختصة بانتاج البنسلين وشتى المستحضرات التي تتطلبها المضادات الحيوية ، فقد مرت شركة فرمنتا هذه بأزمة خانقة .

وفجأة انقلبت الأوضاع رأسا على عقب وحققت شركة فرمنتا - دون غيرها من النجاح مالم يكن في الحسبان .

ذلك أن رفعت السيد (٣٩ سنة) ، العالم المصري والخبير في شؤون ادارة الاعمال ، اقدم على شراء شركة فرمنتا سنة ١٩٨٢ . وحسبك الارقام الموجزة التالية لتقدر مدى النجاح الذي أحرزته شركة فرمنتا منذ أن اشتراها وتولى ادارتها رفعت السيد .

السنة	المبيعات	الارباح او الخسائر
١٩٨١	٧٠ مليون كراون	١٠ ملايين كراون خسائر
١٩٨٤	٤٥٠ مليون كراون	٨٠ مليون أرباح

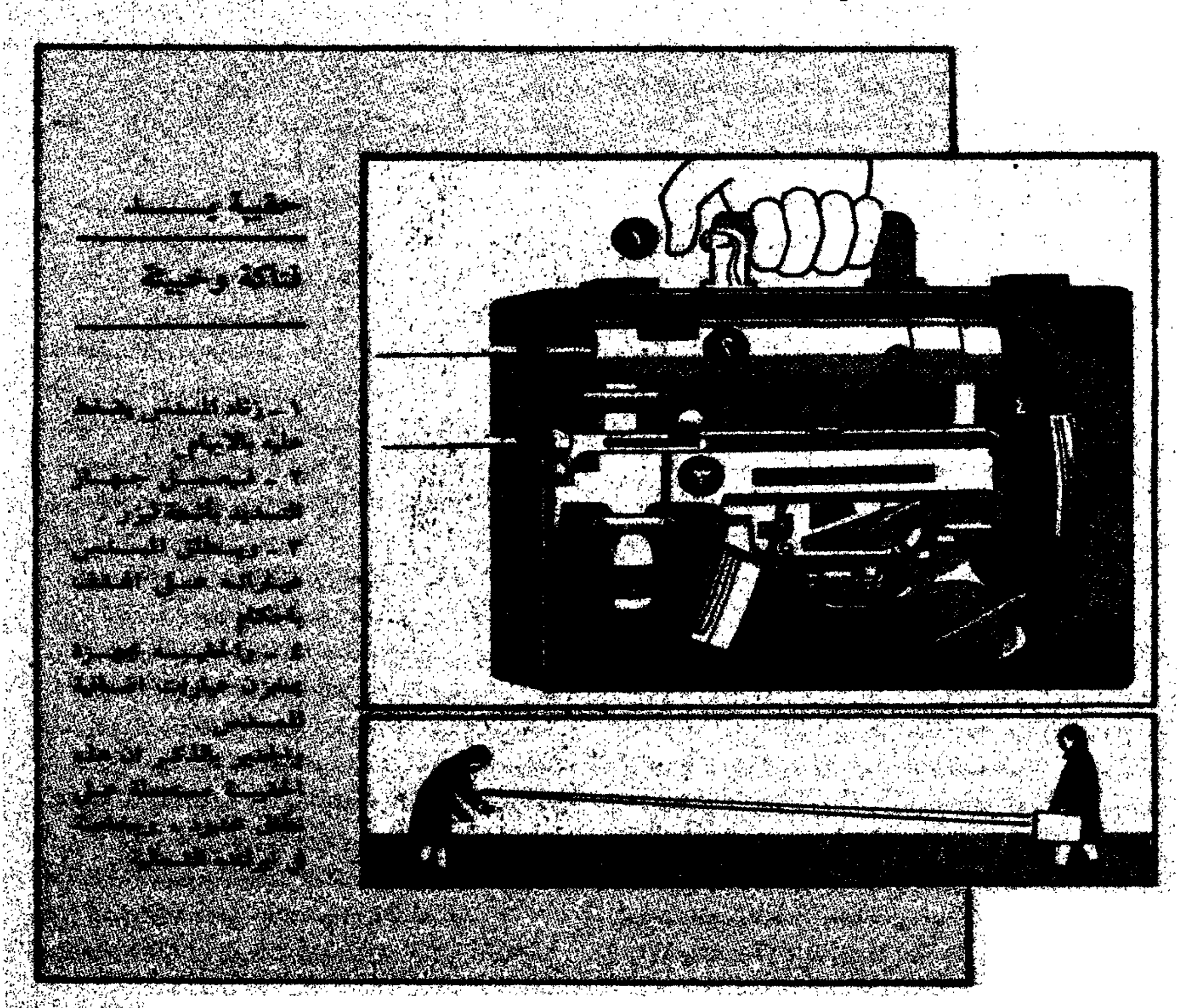


ورافق ذلك كله ارتفاع في قيمة اسهم شركة فرمنتا ، وقد بلغت في شهر مايو الماضي (٢٤٨) كراون للسهم الواحد ، اي ثلاثة أضعاف قيمته في سنة ١٩٨٤ .

والجدير بالذكر أن رفعت السيد عالم في الميكروبيولوجيا ، وقد درس في الولايات المتحدة وفي السويد وهو ذو طموح كبير ويتوقع لمبيعات فرمنتا ان تبلغ في هذه السنة (١٩٨٥) ١,٦٠٠ مليون كراون .

وقد توسعت الشركة السويدية وأسست لها فروعا في فرنسا والولايات المتحدة ، وذلك بعد أن اشترت المصانع المناسبة في تلك البلاد . وكان آخر ما اشتراه رفعت السيد الشركة الايطالية بيريل وهي شركة تصنع المستحضرات الصيدلانية ، فضاعف بذلك مبيعات شركته وعدد عمالها ، وكانت الزيادة ٧٦٠ مليون كراون .

ولعل في هذه القصة دليلاً لا على مواهب الفرد العربي وطاقاته فحسب ، ولكن على الدور الاساسي الذي يلعبه فن ادارة الأعمال ، ايضا ، فهو الفن الذي لاغنى عنه في الاعمال التجارية وفي الجامعات وفي اعمال الوزارات وفي كل مجال آخر من مجالات الحياة . . بما في ذلك الحروب . . . □



مكتشفون ومخترعون



السير الكسندر فلمنج
١٨٨١ - ١٩٥٥
مكتشف البنسلين

ظهر التداوي بالمركبات الكيماوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم اخذ يحل محل التداوي بالأعشاب في مطلع القرن العشرين .

فقد نجح العالم الألماني بول ارلنج سنة ١٩٠٧ في تركيب (سلفرسان ٦٠٦) العلاج الفعال في معالجة السفلس ، او ان شئت « الطلقة السحرية » كما سموه آنذاك ، وقفز التداوي بالكيماويات قفزة كبيرة سنة ١٩٣٥ ، حين نجح عالم الماني آخر ، هو جيرارد دوماج في تركيب البرونتوسيل ، عماد مركبات السلفا ، وهي التي نجحت في معالجة عدد من الأمراض القتالة حتى سميت « الادوية العجيبة » وحسبك انها قضت على امراض التهابية Infectious عجزت عن معالجتها الأعشاب . ولكن التداوي بالكيماويات دخل عصره الذهبي باكتشاف البنسلين وسائر المضادات الحيوية .

فما هي قصة البنسلين هذا ؟ وما هي قصة مكتشفه السير الكسندر فلمنج . . عالم الجراثيم الاسكتلندي المعروف ؟.

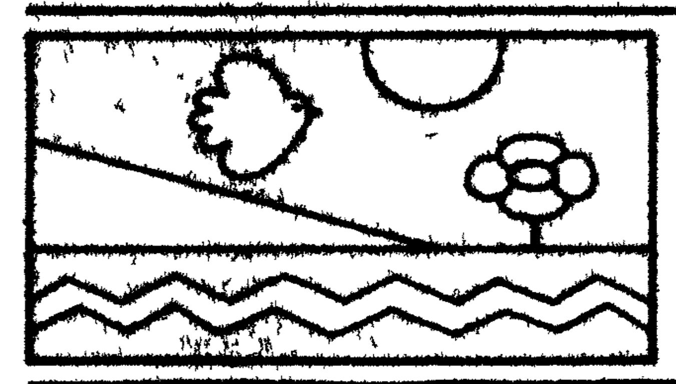
ولد الكسندر في بلدة لوخفيلد سنة ١٨٨١ ، وتخرج من كلية الطب التابعة لمستشفى سان ماري في لندن ، ثم التحق بجامعة لندن ، ومضى في ابحاثه ودراساته للمواد الكفيلة بقتل البكتريا ومعالجة الأمراض الناشئة عنها ، دون الاضرار بجسم الانسان . وواصل فلمنج ابحاثه بعد التحاقه بفرقة الجيش الملكية الطبية . وما لبث ان عاد الى كلية سان ماري ، ثم شغل منصب البروفسور المحاضر في كلية الجراحين الملكية في لندن ، كان ذلك سنة ١٩٢٨ وهي نفس السنة التي اكتشف فيها البنسلين .

وتجدر الاشارة الى أن البنسلين لم يكن أصلا من المركبات الكيماوية ، بل كان مادة عضوية ، أو بكتريا على وجه التحديد ، فهو اذن بكتريا تقتل بكتريا أخرى وتقضي على الأمراض الناجمة عنها .

ثم جاء الكسندر فلمنج سنة ١٩٢٨ وراح يركز تجاربه على بكتريا Staphilococci فلفت نظره ذات يوم وجود تلك البكتريا في مواضع من أطباق المختبر وعدم وجودها في مواضع أخرى من تلك الأطباق . ولاحظ العالم ان المواضع الخالية كانت تعج باشياء اخرى غير البكتريا . بفطريتين من سلالة واحدة بالذات هي سلالة بنيسليوم (Penicil-lium) ويعني اسمها اللاتيني هذا : « فرشاة الدهان » وقد اطلقوه على تلك السلالة لان شكلها يشبه الفرشاة .

غير انَّ بنسلين فلمنج هذا لم يكن دائم الفاعلية ، اي ان فاعليته كانت بحاجة الى تثبيت قبل أن يصبح العقار المعتمد الموثوق به . ونجح عالمان آخران حيث فشل فلمنج وقد تسنى هوارد فلوري النمساوي ، وارنست تشين ، الالماني تثبيت فاعلية البنسلين سنة ١٩٤٠ ، حتى أصبح بحق « العقار المعجزة » واستحق العالمان مشاركة السير الكسندر فلمنج في جائزة نوبل في الطب ، وقد ظفر بها الثلاثة سنة ١٩٤٥ .

وبدأ انتاج البنسلين على نطاق واسع في أمريكا سنة ١٩٤١ ، اي عقب تثبيت فاعليته مباشرة وبذلك اكتسح التداوي بالكيماويات ميدان الطب اكتساحا ، وقد وجد الأطباء في البنسلين ضالتهم المنشودة والعلاج الناجع لأمراض عديدة فتاكة ومستعصية نذكر منها التهاب السحايا والسفلس والالتهابات الرئوية والسل . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

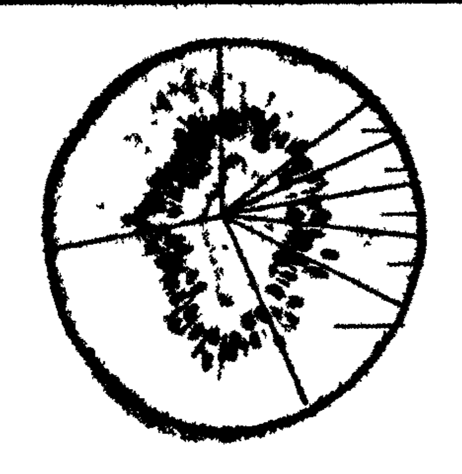
فاكهة الكيوى في نيوزيلندة

الكيوى طير صغير لا يطير .. يكاد يكون مجهولا لدى أكثر سكان العالم .. ولكنه معروف ومألوف في نيوزيلنده .. ويحتل مكانة خاصة لدى سكانها وحكومتها حتى أصبح يمثل الشعار القومى لتلك البلاد البعيدة النائية ، التى لا يزيد عدد سكانها على ٣ر٢ مليون نسمة ولم يمض على ضمها الى بريطانيا سوى مائة عام تقريبا .

على أن الاسم (كيوى) يطلق في نيوزيلنده على أشياء أخرى عديدة ، نخص بالذكر منها فاكهة الكيوى ، أوكما يسمونها هناك (الكيويفروت) ذلك أن هذه الفاكهة أصبحت محورا لثورة اقتصادية عارمة في تلك البلاد وقد تصبح عماد الاقتصاد الوطنى فيها قبل نهاية القرن العشرين ..

والجدير بالذكر أن نيوزيلنده كانت وما زالت تعتمد على الماشية والأغنام في حياتها الاقتصادية ، فعدد أغنامها يربو على ٧٠ مليونا و ٧٠٪ من دخلها القومى انما يأتيها من تصدير اللحوم ومستخرجات الالبان .. ولكن هذه الصادرات استوجبت في السنوات الأخيرة عون الحكومة ودعمها نظرا للمزاحمة الشديدة التى تلقاها في الاسواق العالمية .. وهكذا تراكمت الديون على حكومة نيوزيلنده وأصبحت صادراتها التقليدية مصدر ارهاق للاقتصاد الوطنى .. وبالتالى سببا في هبوط مستوى المعيشة الذى طالما اشاروا الى ارتفاعه بالبنان في وقت مضى .

واكتشفت الحكومة فجأة الكيويفروت ، بل اكتشفت خواص الفاكهة المميزة لا الفاكهة نفسها ..



وقد كانت تزرع في احدى مناطق نيوزيلنده منذ زمن بعيد ، اكتشفت ان الكيويفروت غنى بالالياف المفيدة للجهاز الهضمى وغنى بالفتامين ، إذ تبلغ محتوياته من هذا الفتامين (٣) أضعاف محتويات البرتقال ، واكتشفوا أيضا أن الكيويفروت غنى بالبوتاسيوم والكالسيوم .. وانه بلا صوديوم وأن سعراته الحرارية قليلة نسبيا .. هذا بالاضافة الى طعمه المستطاب وهو يشبه طعم الشمام .. والاهم من تلك كله الارباح الكبيرة التى يتيحها لهم تصدير الكيويفروت ..

لا عجب اذن أن اقبلت حكومة نيوزيلنده بحماسة شديدة على تشجيع زراعة الكيويفروت وتشجيع تصديره الى الاسواق العالمية .. وبدأت جموع الزراع تتحول عن زراعة الكثير من النباتات التى درجت على زراعتها لتركز على زراعة الكيويفروت .

وهكذا بلغت كمية ما صدرته نيوزيلنده من هذه الفاكهة ٢١ مليون طبق خلال السنة الحالية ولم تجاوز هذه الكمية ٧ر١٣ مليون طبق في السنة الماضية

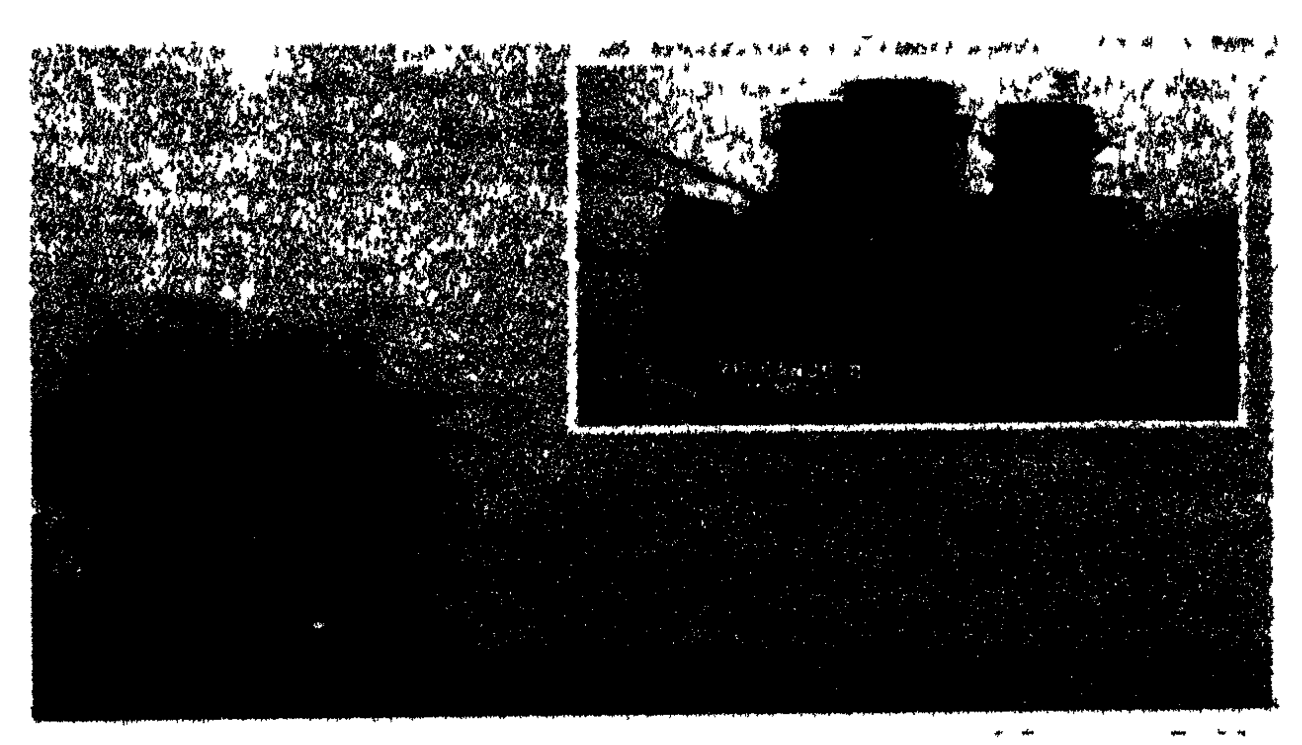
(١٩٨٤) وقل مثل ذلك في الدخل الذى لم يزد على ٧٠ مليون دولار في السنة الماضية . . وقد يبلغ ١٠٥ مليون دولار في سنتنا هذه (١٩٨٥) ، والظاهر ان الحكومة مصممة على مضاعفة كميات التصدير هذه لتصبح ٧٢ مليون طبق سنة ١٩٩٠ . والجدير بالذكر ان في نيوزيلنده وزارة أو سلطة خاصة بالكيويفروت . . يسمونها (سلطة الكيويفروت) وذلك منذ سنة ١٩٧٧

طريقة القضاء على النفايات الصناعية

كانت النفايات الكيمياوية والصناعية مصدر قلق بالغ للعلماء الامريكيين والمختصين . . فما دامت مؤذية ، وقد تسبب الاصابة بالسرطان . . وما دامت المصانع قد امتنعت عن القائها في مياه البحار والأنهار والبحيرات منذ عام ١٩٧٠ . . فما السبيل اذن الى القضاء على تلك النفايات والتخلص من أذاها ؟

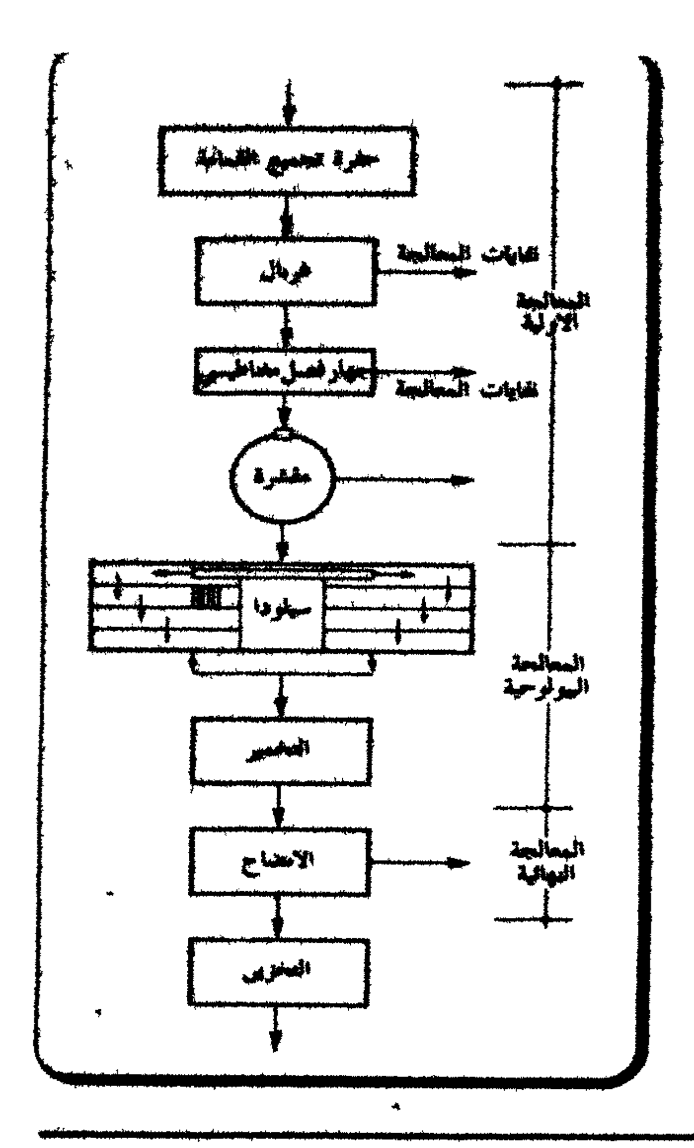
لقد درج البعض على طمر تلك النفايات ودفنها في باطن الارض . . ودرج آخرون على إحراقها على اليابسة . . وظهرت مؤخرا طريقة جديدة مبتكرة . احراق تلك النفايات في أعالي البحار ، بعيدا عن المدن والقرى المأهولة ويتم حرقها بواسطة سفن خاصة طُوِّرت لهذا الغرض بالذات وتصمن حرق النفايات بنسبة ٩٩٪ أو تزيد . . وهذه نسبة تفوق بكثير نسبة الحرق على اليابسة . . فالطريقة الجديدة ادن أكثر فاعلية فضلا عن كونها أقل كلفة . .

على ان وكالة حماية البيئة في الولايات المتحدة لم تتخذ بعد قرارا نهائيا بصدد هذه الطريقة الجديدة .



● السفينة فولكانوس كيا تبدو وهي ساكنة (الاطار الصغير) وكما تبدو وهي ماضية في حرق النفايات في بحر الشمال (الصورة الكبيرة) .

المراحل المختلفة التي تمر بها القمامة لتحويلها من ملوثات ضارة الى اسمدة مفيدة .
لفظ « سيلودا » ، هو الاسم الذي اختارته الشركة الفرنسية (أو تي في) (ماركة مسجلة) لاجهزتها وطريقتها الخاصة لمعالجة القمامة .





القمامة في مصانع التخمير والانضاج
والتحويل الى اسمدة مفيده

حرب شعواء على الخمر

يخوض الاتحاد السوفيتي حاليا ومنذ منتصف شهر مايو الماضي (١٩٨٥)حربا واسعة النطاق ضد المشروبات الروحية وضد المدمنين عليها . . فقد اتخذت السلطات عددا من الاجراءات المشددة وذلك في أعقاب حملة صحفية قامت بها الصحف ووكالة الانباء طوال اسبوعين .

من تلك الاجراءات الحد من انتاج الفودكا . ومنها عقوبات صارمة لمن يشرب من الموظفين في اثناء الدوام . أما المخمورون من سائقي السيارات فيغرمون بمبلغ ١٠٠ روبل (= ٨٥ دولارا) وتسحب منهم رخصة القيادة لمدة قد تبلغ ٣ سنوات . أضف الى ذلك كله تحريم المشروبات الروحية تحريما مطلقا على الذين لم يبلغوا ٢١ سنة من العمر ، وكان هذا الحد في الماضي ١٨ سنة .

وتجدر الاشارة الى خطورة هذه الاجراءات ، فصناعة المشروبات الروحية صناعة حكومية في روسيا ولا يقل دخلها منها على ٤٠٫٠٠٠ مليون روبل ، أي أن ما تجنيه الحكومة منها يعادل ١٠٪ من الميزانية العامة على وجه التقريب . فالحد من هذه الصناعة يعني ولا ريب خسارة كبيرة ومحققة للدولة .

ويحتل الاتحاد السوفيتي مكان الصدارة بين الدول من حيث الادمان على الكحول ، ويعزى هذا الى نسبة الكحول العالية في المشروبات الروسية أكثر مما يعزى الى مقدار ما يستهلكه المواطن الروسي من تلك المشروبات سنويا ، وهو يبلغ ٤٫٥ جالون للفرد الواحد بالمتوسط . وحسبك ان عدد الوفيات بسبب الخمرة بلغ ٥١٠٠٠ نسمة سنة ١٩٧٨ ولم يزد على ١٢٥٠٠ نسمة سنويا في الستينيات . □


من فوق
جسر
بين

• مقر الصندوق الكويتي بالكويت

في نصف العالم الشمالي يعيش ربع سكان العالم ، ويحظون بأربعة أخماس دخل العالم . . . وفي الجنوب يعيش ثلاثة أرباع يتقاسمون خمس دخل العالم فقط .

في الشمال متوسط العمر يقارب السبعين ، وفي الجنوب يموت طفل بين كل أربعة أطفال قبل بلوغ الخامسة ، في الجنوب ٤٠٪ من السكان لا شيء يشغلهم سوى محاولة البقاء على قيد الحياة ، والوفاء بحاجاتهم الأساسية ، في الجنوب . . . تتوقع أفضل التقديرات أنه سيكون هناك ٦٠٠ مليون كائن انساني يعيشون في حالة الفقر المطلق بعد ١٥ عاما فقط ، أي في عام ٢٠٠٠ مطلع القرن الحادي والعشرين .

ومحنة الجنوب هذه تعود جذورها الى عوامل كثيرة . . فالتخلف هو ابن شرعي للتاريخ المتلىء بعثرات الاستعمار واستنزاف الموارد ، والتفاوت الاقتصادي لا يقتصر على تفوق الشمال من حيث الثراء ، أو تراكم الأرصدة ، هذا المعنى البسيط للثروة ـ ولكن التفاوت يكمن في شكل الثراء المعقد ـ القوة الاقتصادية ـ فما يزيد عن ٩٠٪ من منشآت الصناعة التحويلية في العالم مقره دول الشمال ، وأغلب حقوق الاختراع وفنون الانتاج الجديدة ملك لشركات شمالية ، والشركات المتعددة الجنسية تملك الجزء الأعظم من النشاط الاستثماري في العالم ، وتتحكم في التجارة الدولية سواء في المواد الاولية أو في المنتجات المصنعة ، وهذه القوة التي خلقت التفاوت هي التي مكنت دول الشمال الغنية من فرض سيطرتها على النظام الاقتصادي الدولي وعلى هيئاته الدولية في ميادين التجارة والنقد ، وكما يحدث في المجتمع المحلي البسيط عندما تزداد حدة التفاوت الاجتماعي والنفوذ بازدياد عناصر القوة الاقتصادية ، فقد شهد العالم تعاظما في نفوذ دول الشمال الغنية من ـ وازدياداً في شكل السيطرة واستماتة في الدفاع عن مصالحها أيا كان الثمن . . ومهما بلغت فداحته حتى لو كانت موت ملايين من البشر . .

وكلما ارتفعت أصوات فقراء العالم مطالبة باسقاط الديون عنهم ومنحهم معونات تعينه في مشروعات جديدة تخلق فرص عمل . . لتحسين الحياة الاجتماعية وتزويدهم بالتقنية الحديثة والتدريب عليها . . قابلتها مصالح الأغنياء . . تطالب بمزيد من المواد الأولية الرخيصة . . ومزيد من التسهيلات التجارية والجمركية ، لاغراق أسواق الفقراء بالسلع المصنعة ، والمطالبة بمزيد من تخفيض قيمة العملات الوطنية . .

وبين أصوات الفقراء ومصالح الأغنياء . . مساحة هائلة من الاختلاف لن تنتهي وتكرس الفقر والأزمة في الجنوب . . فقر يدق العظم . . وأزمة بلغت ذروة المحنة بالفقراء الذين يموتون جوعا .

والجنوب الذي نعنيه هو دول العالم النامي التي يتفاوت الفقر فيما بينها ، وتختلف حدة الأزمة الاقتصادية فيها . إلا أنها ـ دول العالم النامي ـ تشترك في نفس المشاكل ، مستوى دخل منخفض ، قلة فرص عمل ، سوء حال الخدمات الاساسية (اسكان ـ صحة ـ تعليم ـ مواصلات) قلة استثمارات واردات تفوق قدرة التصدير ، وفي جملة القول تعاني بلدان العالم النامي مشكلة تنمية حقيقية .

الاتجاه نحو الجنوب

ميراث وتاريخ طويل . . يقف خلف مأساة الجنوب التي هزت العالم أوائل هذا العام . . بجيوش الموتى جوعا ، ولقد كانت تراكمات التاريخ منذ عصر المستعمرات ، وكل قصص الوحشية والاستعباد التي مارسها الغازي الابيض جزء أساسا في خلفية ما يحدث اليوم ، وحتى في التاريخ الحديث ، وتحديدا بعد الحرب العظمى الثانية ، عندما بدأ العالم يعيد النظر في بقاء المستعمرات . . فان جلاء الجنود بأحذيتهم لم يكن الا بعد ربط المستعمرات اقتصاديا وسياسيا ، وتأمين تبعية ملائمة . . وكان أكبر ضمان لدول الغرب هو سوء الوضع الاقتصادي الذي كان استمراره ضمانا أكيدا لرواج سيطرة الغرب . . فالجنوب هو السوق الواسعة المتعطشة والكثيرة العدد، وهو منبع المواد الخام الأولية اللازمة لدوران عجلة الصناعة بل استمرار الحياة نفسها . وبدأت دول الغرب في تطبيق سياسة افقار الجار التي كانت تمارسها بلدان اوروبا فيما بينها حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، وظهور النظريات الاقتصادية الجديدة وثبوت بطلان فعالية هذه السياسة .

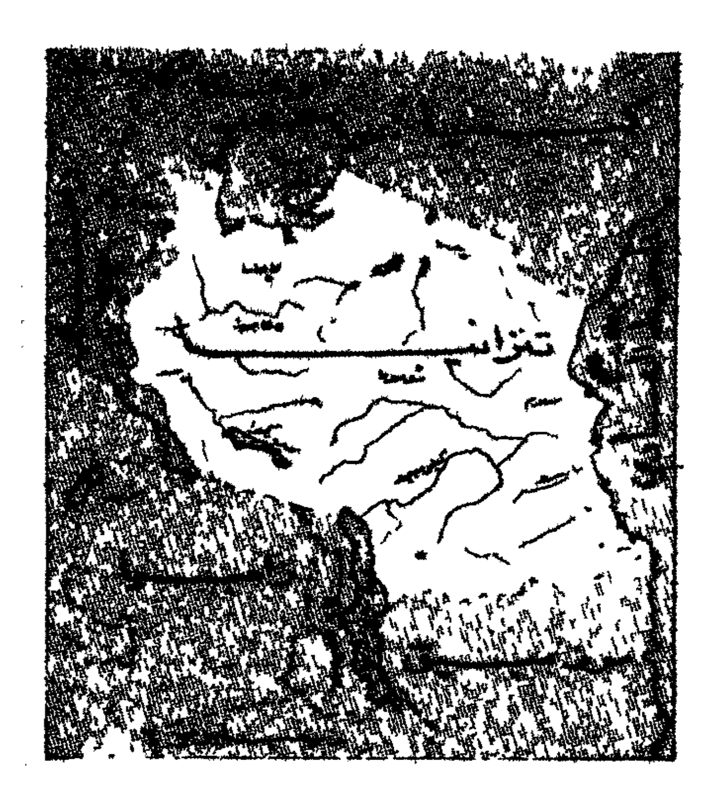
ولم تكن دول الغرب حسنة النوايا تجاه الجنوب ، وما يردده البعض من ضرورة اسهام الدول الصناعية المتقدمة في دعم ومعاونة الدول النامية للخروج من أزمتها دعوة مشكوك فيها لأن تقدم ونمو البلدان النامية ضد مصالح البلدان المتقدمة .

ولعل خير دليل على صحة هذه الرؤيا هو ما حدث من قبل منظمات المساعدة الغربية فعقب الحرب العالمية الثانية اجتمعت الدول الغربية في مدينة بريتون ودز بمقاطعة نيوهامبشير عام ١٩٤٤ وتم الاتفاق على انشاء البنك الدولي للانشاء والتعمير ، ومهمته أن يتولى تقديم القروض لاعادة بناء أوروبا واليابان والدول النامية . وصندوق النقد الدولي ومهمته تنظيم العملات وتحقيق الثبات في اسعار الصرف للعملة ، وتوفير غطاء من السيولة ليخدم حرية العلاقات التجارية ، وبينما قامت هاتان المؤسستان بدورهما كاملا لاعادة تعمير أوروبا فان دورهما تجاه بلدان العالم الثالث أقل ما يوصف به أنه شديد السلبية .

واصبح السيناريو « معروفا بكيفية تقديم البنك أو الصندوق » وصفة لعلاج الاقتصاد الوطني في بلد ما مقابل إعطائه القرض أو الايعاز لبيوت المال العالمية باقراضه وكثيراً ما تأتي نتائج هذه .. الوصفة بآثار وخيمة .. وكثيراً ما تتواءم نتائجها مع مصالح الاقتصاد الغربي . وهكذا وجدت دول العالم النامي نفسها أمام طريق مسدود . الأزمة تشتد وتراكم المشكلات يولد مشاكل جديدة ويفجر القديم .. وتتوالى التراكمات ..

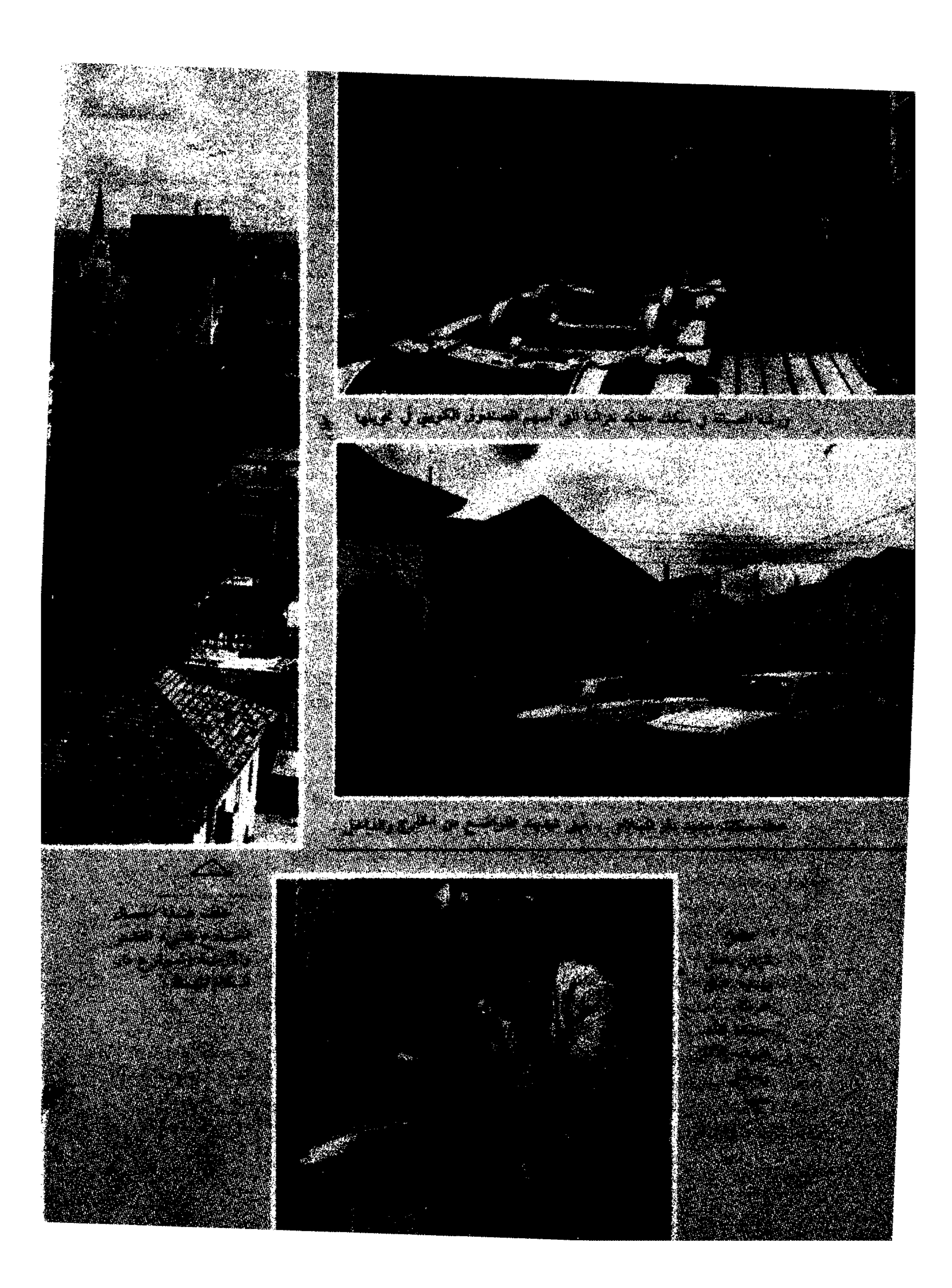
مازلنا نتجه جنوبا

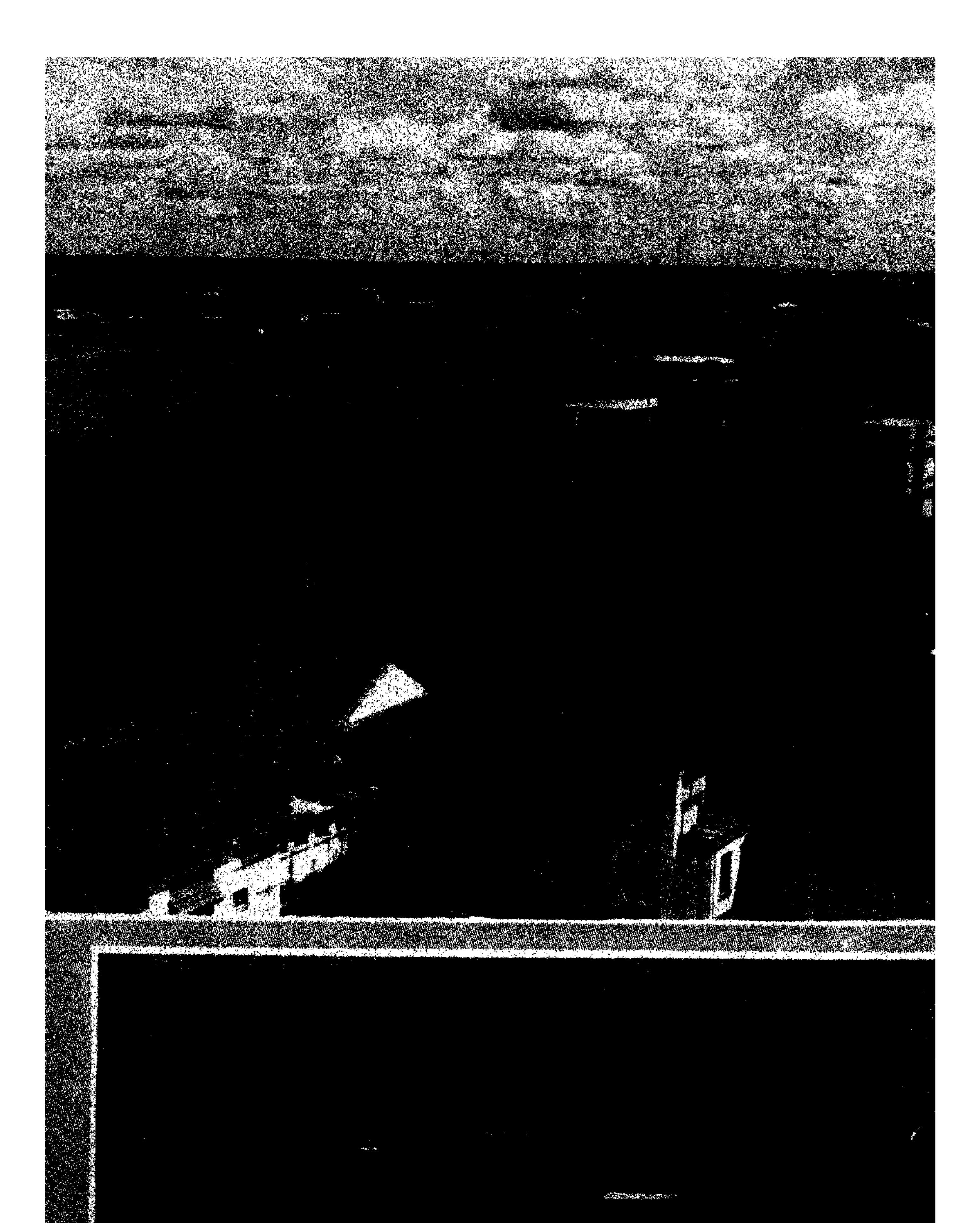
يقع الوطن العربي على امتداده ضمن دائرة الجنوب .. وقد تكون آثار محنة الجنوب ليست واضحة تماما ، ولكن الجفاف والجوع اللذين اقتربا من حدوده في السودان جعلانا إلا منبهين لكي نظل متذكرين اننا في دائرة الجنوب والمحنة ليست في الجوع ولكنها تكمن قبل ذلك في مؤشرات وأزمات كبيرة .. فأزمات الاسكان وسوء حال المرافق الأساسية وانخفاض مستوى الدخل .. وسوء الرعاية الصحية .. وقلة فرص العمل ، وتوازن الصادرات



خريطة تنزانيا توضح موقعها وجيرانها وأهم المدن بها

والواردات وعدم قيام نشاطات انتاجية بما يمثله هذا من فرص عمل الى آخر كل عوامل الأزمة الاقتصادية التي لا ينكر أحد أن الوطن العربي يعيشها بدرجات متفاوتة ولعل الدول العربية الاكثر حظا هي دول النفط العربية التي تجاوزت هذه الازمة الا انها ووفق المؤشرات الدولية تدخل ضمن بلدان العالم النامي رغم ارتفاع مستوى دخل مواطنيها وتمتعهم بأفضل رعاية اجتماعية ممكنة من اسكان وتعليم وصحة ومشروعات البنية الأساسية المتكاملة (طرق مواصلات مرافق) ... رغم هذا فان الوطن العربي يعيش أزمة العالم النامي بكل ما فيها من اختناقات وقروض وديون ، ومحاولة جذب دائمة الى فلك التبعية . فمنذ بدء استقلال هذه الدول وهي تجهد نفسها دائما في معارك لا تنتهي من أجل البحث عن تمويل مشروعات التنمية .. وكثيرا ما كانت تجهد نفسها أمام وصفة البنك الدولي وصندوق النقد ، وكثيرا ما كان يطلب من أقطارنا التنازلات ، فان كان





الوطن العربي يعيش مأزق الجنوب الفقير فانه يعيش ايضا مأزق صاحب الموقع الأخطر وعند صراع المصالح ويل للأضعف .. والقسى الويل للاضعف اذا كان لديه امتياز ما وكان واقعا في براثن الاحتياج . ولعله جزء من التاريخ القريب حين حاول البنك الدولي ان يلوي ذراع مصر في أواخر الخمسينيات للحصول على قرض لتمويل بناء السد العالي .. وليس سرا الآن أن شكل الاعتراض الاقتصادي حول عدم جدوى المشروع .. وعدم مقدرة الاقتصاد المصري على الوفاء بالقرض .. ليس سرا ان هذه الاعتراضات كانت ردا على موقف سياسي وعدم استجابة لضغوط سياسية .. وجاء الرد على هذا الموقف ، والتفنيد بعد ربع قرن عندما أنقذ هذا المشروع مصر من زحف الجفاف !! .

بقعة ضوء

لا أحد يدري هل كانت هذه التجربة ماثلة في ذهن صانع القرار . بالقطع لم تكن هذه التجربة سوى جزء صغير على هامش التفكير .. ولكن الشيء اليقيني أن القرار كان جريئا وجديدا وخطيرا . كان ذلك في شهر ديسمبر عام ١٩٦١ وبعد اعلان الاستقلال بشهور قليلة . صدر مرسوم أميري يعلن فيه أمير دولة الكويت انشاء « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » بهدف تقديم الدعم والمعونة والقروض الميسرة للبلاد العربية الشقيقة في تمويل مشروعاتها ، وتحدد للصندوق ٥٠ مليون دينار كويتي كرأس مال.

في هذا الوقت وبهذا التوقيت يصبح المرسوم شهادة ميلاد لأول مؤسسة من مؤسسات الدعم الثنائي في العالم الثالث ، فلم يكن العالم الثالث حتى ذلك التاريخ - ولزمن طويل بعد ذلك قد عرف مؤسسة اقتصادية مستقلة تقدم الدعم للدول من داخل العالم الثالث ، فقد كان هذا الامر حتى ذلك الحين مقصورا على دول الشمال والغرب .

ومن هنا فقد جاء القرار جريئا وجديدا وخطيرا .

بدر الحميضي نائب رئيس مجلس ادارة الصندوق يتحدث عن نشأة الصندوق وتطوره فيقول : « عقب الاستقلال مباشرة أدركت الكويت أهمية توثيق علاقاتها العربية ، ايمانا بفكرة مازالت قائمة الى اليوم وهي أن أمن الكويت وازدهارها يكمن في ازدهار وتنشيط علاقاتها العربية» ومقولة « الكويت بلاد العرب قديمة قدم تاريخ الكويت ، وكان اتخاذ القرار عشية الاستقلال - ومازالت الدولة في طور تدعيم انشاء مؤسساتها - يتفق مع هذه النظرة العربية القومية ، ورغم ان موارد البترول في ذلك الحين كانت قليلة جدا فبرميل النفط في ذلك الحين كان يتراوح سعره من ١,٥ - ١,٧ دولار ، الا ان كل هذا لم يمثل عائقا أمام انشاء الصندوق ، وباشر الصندوق عمله .. وظل لفترة طويلة تزيد على عشر سنوات هو المؤسسة العربية الوحيدة التي تقدم الدعم والمعونة لمشروعات التنمية في البلاد العربية ، ومنذ اليوم الأول فقد وضع الصندوق سياسة عامة له تتلخص في « اننا نعمل بعيدا عن الهموم والخلافات السياسية وان غرض الصندوق هو تقديم الدعم والمساعدة غير المشروطة . لتحقيق انجازات لها الاولوية في خطط التنمية .

وفي يوليو ١٩٧٤ صدر قرار توسيع نشاط الصندوق ليشمل كل دول العالم ، فأصبح يشمل نشاطه تمويل المشروعات والبرامج الانمائية في افريقيا وآسيا ومحيط الباسيفيك ، وتقرر زيادة رأس المال الى ١٠٠٠ مليون دينار ثم تضاعف بعد ذلك الى ٢٠٠٠ مليون دينار كويتي في عام ١٩٨١ والتزم الصندوق ايضا بنفس السياسة والتي اصبحت منهجا وخطا اساسيا للصندوق . ونحن نقدم الدعم والمساعدة من أجل التنمية .. ولقد أثمرت هذه السياسة من حيث العلاقات الطيبة والوطيدة التي نشأت بين دول العالم والكويت ، وفتحت المجال للكويت الدولة أن تمارس دورا مميزا ومؤثرا في العلاقات الدولية ، وأعطتها مساحة تقدير كبيرة لدى دول العالم الثالث بشكل خاص .

نحن جزء من ذلك العالم

مازلنا نتابع السيد بدر الحميضي وهو يشرح لنا سياسات الاقراض وتطلعاتها فيقول : كان واضحا لدينا بأننا جزء من ذلك العالم بكل مشاكله وآلامه ، وبكل ما فيه من خير وشر ومصالح وصراع .. ومن

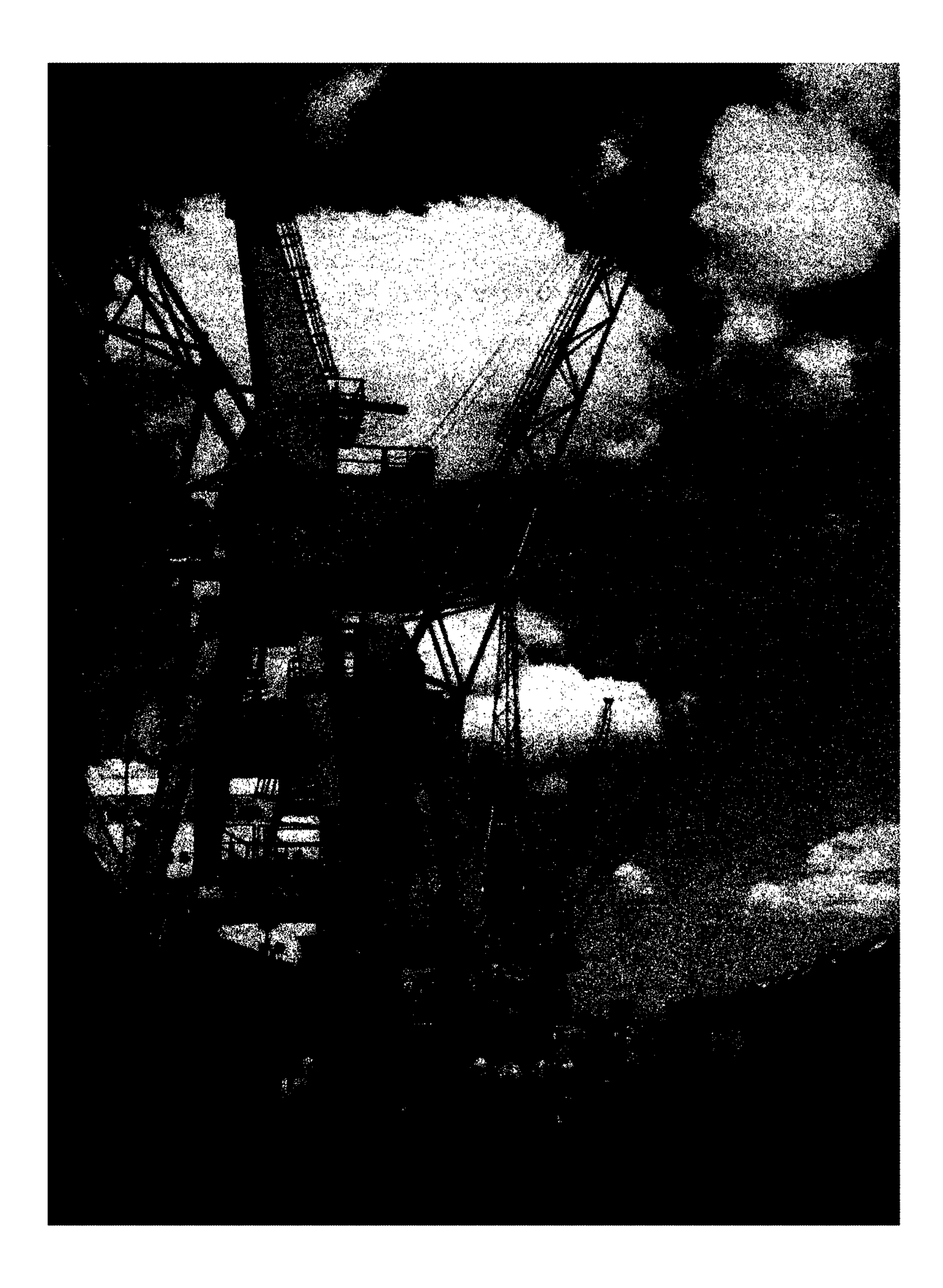


في أحد مواقع سد ميتر الكهربائي خبير ايطالي يشرح خطوات العمل بالتفصيل لمجموعة من الكوادر الفنية .

هنا كانت سياسات الاقراض التي يتبعها الصندوق تراعي وتتوخى دائما مصالح البلدان الاخرى ، وبالطبع عصرنا هذا ليس عصر ملائكة أو انبياء ، وعندما اقول اننا نتوخى مصالح الدول المقترضة فليس معنى ذلك اهمال حقوق الصندوق ولكن لان جزءا كبيرا من مشاكل البلدان النامية يكمن في الادارة فقد حاولنا أن نقدم المشورة غير اللازمة من اعداد الدراسات الاستطلاعية للمشروعات الى اعداد دراسات الجدوى وتوفير الخدمات الفنية والاستشارية ثم بعد الاتفاق على المشروع والتمويل نقدم القرض بشروط ميسرة جدا ، فسعر الفائدة في الصندوق يتحدد حسب طبيعة المشروع ومدته وقيمة القرض ، وهو يتراوح بين ٥٠ , ٠ الى ٥٪ ومدة القرض بين ١٥ - ٤٠ سنة بفترة سماح من ٣ - ١٠ سنوات .

ودعني اسوق لك مثالا على اننا نتوخى مصالح البلد المقترض كي ازيدها ايضاحا ونلقي ضوءا على مفهومنا نحو العالم النامي الذي ننتمي اليه جميعا . لنفترض أن هناك مشروعا لاقامة شبكة طرق برية ، وتولى الصندوق اعداد الدراسات - التي تتم مجانا - وادارة القرض ، عندما نطرح اعمال الانشاءات فاننا نعلن بصراحة ان الأولوية لشركات المقاولات الوطنية في ذلك البلد ثم لشركات المقاولات من دول العالم الثالث ، لماذا ؟ لأنه عندما تتولى شركة وطنية التنفيذ فهناك جانب هام بخلاف العائد المادي وهو التدريب والتأهيل للاضطلاع بمشروعات كبرى . فهو تطوير لها من حيث الكفاءة والعمل ، وهذا دور هام جدا ، والمستفيد بالدرجة الاولى وعلى المدى البعيد هو البلد المقترض والا فليس أيسر من اسناد المشروع الى شركة عالمية - مهما كانت جنسيتها - ومع الاشراف والمتابعة ستقوم بتنفيذ المشروع وانتهى الامر ، وهذا يحقق مصالح البلد بتنفيذ المشروع ومصالح الصندوق ، ولكن هناك المسئولية الادبية والالتزام والا نكون قد انفصلنا عن العالم الذي نحن منه .

ويتضح المعنى اكثر من خلال القطاعات التي يتولى الصندوق التركيز على تمويلها ، فنحن في الصندوق - والحديث مازال لنائب رئيس مجلس الادارة - نركز على قطاعات وسائل الاتصال ، من طرق وموانئ وسكك حديدية وهاتف وبرق ومطارات ، وفي افريقيا نركز



بالاضافة الى ما سبق على مشروعات توفير المياه والمشاريع الغذائية ، وهذه هي توجهات وسياسات الصندوق في الاقراض وهي كما نرى مشروعات غير تجارية .. أي لا تدر عائدا بقدر ماهي مشروعات هامة لأي خطط للنمو والتنمية .. فاهية مشروعات البنية الاساسية فوق انها ذات تكلفة عالية الا انه بدونها لا يمكنك القيام بمشروعات تطوير الاقتصاد والرعاية الاجتماعية .

قراءة في الوثائق

رغم أن السبعينيات قد شهدت انشاء عدد من مؤسسات الدعم العربية الا ان الصندوق الكويتي يبقى متميزا وأكثر اسهاما من كل المؤسسات الاخرى سواء بفضل الريادة والسبق أو حجم المساعدات وقيمتها أو من تنوع البلدان وانتشار مساعداته على خريطة العالم .

ولعل الأرقام وهي لغة لا تكذب هي التي تؤكد هذا دون أي شك ، فماذا تقول الأرقام من واقع وثائق الصناديق والمؤسسات العربية ؟ .

بلغ عدد قروض الصندوق الكويتي منذ انشائه وحتى عام ١٩٨٤ (٢٥٧) مشروعا ، وتقدر قيمة القروض بـ ٢٢٨ و ١٢١٤ مليون دينار كويتي . وكان توزيع المشروعات كالاتي ١٣٣ مشروعا في البلاد العربية ، و ٦٥ مشروعا في افريقيا و ٥٤ مشروعا في آسيا وخمسة مشروعات في دول اخرى .

ولعل مقارنة أرقام قروض مؤسسات التنمية العربية مع ما قدمه الصندوق الكويتي للتنمية يوضح مدى التفوق والسبق للصندوق ، فقد بلغت قيمة القروض نهاية عام ١٩٨٢ الآتي : البنك الاسلامي ٢٢٥١,٠٤ مليون دولار ، صندوق ابوظبي ١٠٠٤,٢٣ مليون دولار، صندوق الاوبك ١٦٢٨,٨٩ مليون دولار ، الصندوق السعودي ٣٧٨٥,٨٩ دولار ، الصندوق العراقي ١٧٣٣,٠٢ مليون دولار ، الصندوق العربي ١٥٦٥,٦٢ مليون دولار ، المصرف العربي ٤٧٤,٢٨ مليون دولار وبلغت قيمة ما قدمه الصندوق الكويتي ٣٨٦٥,٥٨ مليون دولار .

وتتنوع قروض الصندوق فتشمل قطاعات مختلفة وبلدان عديدة ، فمثلا في قطاع الزراعة قدم الصندوق للبلاد العربية قروضا تقدر ١٥٦,٨٧٠ مليون دينار ، وللبلاد الافريقية ٤٩,٤٠ مليون دينار ، والبلاد الآسيوية ٤٧,٦١٠ مليون دينار ، وفي قطاع النقل والمواصلات قدم الصندوق ١٩٦,٥٧٠ مليون دينار للبلاد العربية و ١١٢,١٥٢ مليون دينار للبلاد الافريقية ، وللبلاد الآسيوية قدم (٥٢,٣٠٠) مليون دينار . وفي قطاع الكهرباء قدم (١٠٥,٧٠٦) مليون دينار للبلاد العربية ، والى البلاد الافريقية (٣٧,٢٠) مليون دينار ، وقدم (١٦,٢٧٤) مليون دينار للبلدان الاسيوية

وفي قطاع الصناعة قدم الصندوق للبلاد العربية (١٢١,٦٨٦) مليون دينار ، وقدم (٢٣,٥٠٠) مليون دينار للبلاد الافريقية،وللبلاد الاسيوية قدم (٨٧,٩٨٩) مليون دينار

وداخل الوثائق يلمع اسم الصين الشعبية واحدة من الدول والقوى في هذا العصر . وتكشف لنا الوثائق أن الصندوق هو اول مؤسسة عربية تقدم قروضا الى الصين الشعبية لتمويل مشروعات تنموية ، فقدمت (٥٢,٦٠٠) مليون دينار لتمويل مشروعات تنموية ، : اسمنت ، سماد ، الواح ، كما قدمت قرضا آخر قيمته ٦ ملايين دينار كويتي لتمويل مشروع انشاء مطار شايمن الدولي بالاضافة الى تمويل مشروع كهرومائي في ولاية فوجيان بتكلفة ٩ ملايين دينار كويتي .

ولم يقتصر دور الصندوق على هذه النشاطات والمشروعات ، فقد ساهم في تمويل مشروعات محاربة الجفاف ومشروعات توفير المياه في البلدان الافريقية التي تعاني من المشكلة ، فقدم للسنغال ٤١,١٠٠ مليون دينار كويتي لعدة مشروعات مائية منها : تطوير حوض نهر السنغال ومشروع آخر لتوفير مياه الآبار للقرى والأرياف ، وقدم الصندوق الى السودان ١٥,٩٩١ مليون دينار لتطوير مشروعات المياه ايضا ، وقدم للصومال ٦ ملايين دينار لاحياء المراعي الطبيعية ، و ١٥ مليون دينار الى مالي ، ٩,٢٠٠ مليون دينار لموريتانيا و ٦,٨٥٠ مليون دينار الى النيجر ، وهذه القائمة من الدول تعاني كلها من

مشكلات الجفاف وشبح الموت جوعا وعطشا .
وبجوار القروض قدم الصندوق منحا لا ترد الى غينيا والصومال ومنطقة حوض نهر السنغال لتطوير مشروعات المياه ايضا وتأمين وصولها للسكان .

لماذا الاختيار ؟

كان الاختيار في البداية محيرا الى اين تذهب ؟ وأي المشروعات نزور ؟ ولم يطل التردد . . . كان القرار متوافقا مع البدايات . . نذهب الى الجنوب أي الى افريقيا أما لماذا افريقيا ؟ فلهذا رؤ ية وأسباب .

افريقيا هي بؤرة اهتمام العالم ولفترة طويلة قادمة ، ولقد بدأ هذا الاهتمام منذ اوائل الستينيات ، كانت افريقيا وقتها تقدم للعالم كل فترة دولة جديدة مستقلة ، والآن هي صاحبة الثقل العددي في الامم المتحدة ومنظمات اخرى عالمية واقليمية ، ثم فوق هذا فهي في بؤرة اهتمام العالم استراتيجيا،فالجغرافيا تقول ان افريقيا تحكم طرق العالم جنوبها عند الممر البحري القديم ـ رأس الرجاء الصالح ـ غربها مضيق جبل طارق ، شمال شرقها قناة السويس ، شمالها البحر الابيض الفناء الخلفي لاوروبا . . شرقها البحر الاحمر حافة منابع النفط . .
وفوق هذا فهي الطوق الذي يحيط بمنطقة الشرق الاوسط ، ومن هذا الفهم هي في بؤرة الاهتمام لنا نحن العرب في الوطن العربي حيث انها هي العمق الاستراتيجي الوحيد والمتاح للوطن العربي،وهي المساحة البكر التي يمكن فقط من خلالها فتح المسارات وطرح الخيارات وبدائل المستقبل سياسيا واقتصاديا واستراتيجيا للأمة العربية .

وقد شهدت السبعينيات بداية أفكار لتوطيد الوصل العربي الافريقي من خلال الدعم والتعاون العربي الافريقي ، وكانت محاولات تستند الى خلفية تاريخية متسعة وعميقة بين العرب والافارقة الى الحد الذي يصل لدى بعض دارسي الجيولوجيا والانثربولوجيا الى القول ان افريقيا والجزيرة العربية كانتا منطقة واحدة قبل « الانفلاق العظيم » الذي نتج عنه البحر الاحمر . . ويدللون على ذلك بشدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية والشعوب الناطقة باللغات السامية (كالعربية والامهرية والتقرية) .

وكانت حركة العرب قبل الاسلام وبعد الاسلام من والى افريقيا متواصلة متتالية ، وأقام العرب في افريقيا،وكانت لهم حضارة امتزجت بالحضارة الافريقية وتزاوجت . . أقول انه منذ السبعينيات وهناك بدايات لافكار تبلورت في مؤتمرات تصعدت حتى مستوى القمة . . وظهرت مؤسسات للتعاون والتمويل . . و . . وكانت محاولة لتثبيت دعائم الجسر الواصل بين العرب وافريقيا . . وللاسف لم تكن النتائج زاهرة . . وعلى مدى السنوات القلائل الماضية ارتفعت اصوات تنتقد وتطالب بوقفة قصيرة للنظر والتأمل لهذه الأسباب والرؤ ية ، كان الاختيار ان نقف فوق جسر بين العرب وافريقيا وتحت ما تتيحه البقعة المضيئة عليه ـ الصندوق الكويتي للتنمية ـ نرى ونرصد . . لهذا ذهبنا الى تنزانيا ثم الى تونس .

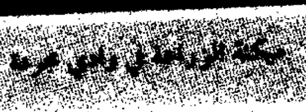
آخر الحكماء

على الساحل الشرقي لافريقيا تقع تنزانيا حيث بقايا مملكة العرب القديمة في زنجبار ، فتنزانيا هي اتحاد بين تنجانيقا وزنجبار اعلن عنه في سبتمبر ١٩٦٤،وانتخب جولوس نيريري رئيسا للدولة الذي مازال حتى الآن رئيسا ليصبح اخر رئيس من زعماء افريقيا منذ السبعينيات باق في الحكم ، ويلقبه الأفارقة بآخر حكماء القارة ، ربما لهذه الخاصية أو لكبر سنه أو لأنه بدأ حياته قسيسا في الكنيسة ومازال مواظبا حتى الآن على الذهاب صباح كل يوم الى الكنيسة لاداء الصلاة ثم التوجه الى مكتبه .

ولقد عرفت أرض تنزانيا العرب منذ بداية القرن الثامن الميلادي وكان أول مكتشف أوروبي يصل الى المنطقة هو « بدور كابرال الذي كتب فيها بعد انه فوجيء بوجود عدد من المدن العربية المزدهرة فيها وظلت اجزاء كبيرة من تنزانيا خاضعة في فترات طويلة لحكم العرب الى ان خضعت للاحتلال الالماني عام ١٨٨٤ وظل الوضع هكذا حتى أعقاب الحرب العالمية الاولى ، فقسمت مستعمرات المانيا في منطقة اقليم شرقي افريقيا بين بريطانيا وبلجيكا الى أن استقلت تنجانيقا عام ١٩٦١ ثم اتحدت مع زنجبار كما











اوغندا . وتبلغ مساحة تنزانيا حوالي ٩٤٥ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي ١٩,٨ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٨١ منهم ٧٠٪ مسلمون ، يطل ساحلها الشرقي كله على المحيط الهندي وتجاورها موزمبيق من الجنوب وكينيا واوغندا من الشمال وزائير غربا .

تعد تنزانيا كما تشير تقارير البنك الدولي من البلدان ذات الدخل المنخفض فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي يبلغ ٢٨٠ دولارا في العام (أي اقل من دولار في اليوم الواحد) ، ويعتمد اقتصاد تنزانيا بشكل رئيسي على الزراعة ورسوم استخدام مينائها كمنفذ بحري وحيد لعدة دول مجاورة ، ونتيجة للتخلف وعدم تدريب الكوادر وتوفر الميكنة فان اجمالي الناتج القومي شديد التواضع ، الا أن أكثر ما يواجه تنزانيا من أزمات اقتصادية هي مشكلة الطاقة التي تستهلك ٦٠٪ من قيمة واردات تنزانيا ، ونتيجة العجز الدائم بين الصادرات والواردات والاحتياج الى التمويل الخارجي فان تنزانيا تعد واحدة من الدول الافريقية المدينة التي تمثل الديون فيها عبئا على قدرتها على السداد ، فاجمالي ديون تنزانيا يبلغ ١٦٥٩ مليون دولار ، أي ما يعادل ١٩,٤٪ من اجمالي الدخل القومي ، تسدد عنه فوائد تقدر بـ ٣٣ مليون دولار سنويا .

دار السلام العاصمة تمنحك احساسا بالالفة ، تشعر انك زرتها من قبل .. رأيتها ... مشيت فيها .. الطبيعة شديدة السخاء تمنح خضرة وأشجارا تظلل شوارع مترية مهملة ، الزحام خانق .. وسط المدينة حيث المباني الحديثة بعيدة عن قلب المدينة ، تتوزع المباني على النمط القديم ، السقف الهرمي .. القرميد وخارج حدود هذه الصورة تنتشر البيوت الطينية المدعمة بألواح الخشب والصفيح .. رائحة الفقر تفوح .. ومع الفقر تنتشر كل الامراض الاجتماعية من عمولات ورشاوى ... في المطار كان أول استقبال من موظف الحجر الصحي الذي طلب بهدوء مبلغ ١٠٠ دولار مقابل التغاضي عن عدم التطعيم ضد الحمى الصفراء .. في الفندق اكثر موظف الاستقبال وجمود الغرف شاغرة حتى تدفع فتظهر الغرف فتستحق التقيا مصادفة بأحد التجار العرب .. ومنه عرفنا حقيقة مذهلة ، إن الدولة تضع قيودا على تداول العملات الاجنبية وتقصر ذلك الحق على البنوك الرسمية ، ولذلك فان هناك سعرين للعملة وكي ندرك الفارق .. سألته عن سعر السوق السوداء وكان الفارق مذهلا المائة دولار تساوي رسميا في البنك ١٧٠٠ شلن تنزاني ولكنها في السوق السوداء تساوي ١٣ الف شلن ! ومهما تشددت الحكومة في العقوبة فلا يمنع هذا من أن يهمس شخص في اذنك عند باب شركة طيران أو باب الفندق (change) ويرغم انهيار مستوى الخدمات من مرافق وطرق ورعاية صحية ونظافة ورعاية اجتماعية .. رغم هذا الا ان تنزانيا واحدة من أقل البلدان النامية معاناة من الأمية ، فهناك ٨٤,٧٪ من السكان يجيدون القراءة والكتابة ، ونتيجة للظروف الاقتصادية السيئة فان تنزانيا تعتمد في تنفيذ كثير من مشروعاتها على المعونات والقروض .

ويساهم الصندوق الكويتي للتنمية في تمويل ٤ مشروعات بتنزانيا هي مصنع نسيج ، مشروع مصنع ورق ، سكك حديد ، مد كهرومائي ، وتبلغ قيمة اسهامات الصندوق ٣٣,٥٠٠ مليون دينار كويتي . تاريخ اول قرض في يوليو ١٩٧٥ واخر اتفاقية في يناير ١٩٨٤ .

الاستثمار باعداد البشر

ماذا قدمت المشروعات لتنزانيا ؟

مدير مشروع سد ميترا الكهرومائي يقول : هذا المشروع هام لنا للتنمية القومية ، فالنظم الحالية في محطات الكهرباء وطاقة التحمل ضعيفة ، المشروع سيوفر لنا ما يزيد عن ٢٠٠ الف كيلووات وستتمكن من انشاء محطات تحكم أفضل وبالتالي ستتمكن من زيادة عدد المدن المستخدمة للتيار الكهربائي ، لانه حاليا لا يتمتع بهذه الخدمة سوى سكان ١٨ مدينة فقط . وفوق هذه الاستفادة المباشرة فهناك جانب هام وهو أن المشروع قد خلق مهنا جديدة ، وعندما يتم بناء السد سيسهم في تحويل المنطقة الواقعة حوله الى منطقة حضرية ، والعاملون في المشروع جميعهم وطنيون ويبلغ عددهم ٥٠٠ عامل من مهن مختلفة



الاستثمار في قطاع السياحة أحد مصادر الدخل القومي

بالاضافة الى مجموعة خبراء وهم أربعون خبيرا فقط من ايطاليا

المشروع يعد من المشروعات مشتركة التمويل ، فتساهم أكثر من جهة في التمويل ، فمثلا البنك الدولي قدم ٤٠ مليون دولار ، ووكالة التنمية النرويجية قدمت ٣٠,٥ مليون دولار والوكالة السويدية للتنمية ١٦ مليون دولار خصصت أجورا ومكافآت للخبراء ، وايطاليا ٢٣,٧ مليون دولار مقابل المعدات،أما الصندوق الكويتي فقدم ٣٠,٥ مليون دولار خصصت للخدمات الهندسية وتمويل برامج التدريب واعداد كوادر التشغيل .

في مشروع اخر« مصنع موفندي للورق »، يقول مدير المشروع:الصندوق الكويتي انقذ هذا المشروع من التوقف فقد قدم الصندوق قرضا في البداية قيمته ٥ ملايين دينار كويتي بالاضافة الى مساهمين اخرين ، وبعد سنة من العمل توقفنا لعجز في التمويل وانقذنا الصندوق الكويتي بأن قدم قرضا آخر قيمته ٧ ملايين دينار كويتي ولكي اوضح لماذا استخدم تعبير انقذنا اتحدث عن اهمية المشروع . . هذا المشروع سيوفر للدولة ٤٠ مليون دولار سنويا وستمكن من الاكتفاء الذاتي في استيراد الورق ، وبتصدير الفائض واهمية الورق بالنسبة لنا في تنزانيا هي للنسبة العالية من السكان التي تقرأ وتكتب ، والورق الذي تستخدمه الصحف ، بالاضافة الى ذلك فهناك استخدامات المدارس فكل الاطفال يجب أن يذهبوا الى المدرسة في سن السابعة ، وهذا يعني الحاجة الى مزيد من الورق ، والمشروع نموذج متكامل حاليا ، استخدم المواد الخام (الخشب) والمواد الكيمائية بعد عام واحد سنحقق اكتفاء ذاتيا في المادة الخام ولن نستورد الا كيمائيات فقط ، ونسبة هذه المواد المستوردة لن تتجاوز الـ ١٥٪ وعندما اخترنا موقع المشروع اخترناه قرب النهر لاحتياجنا الى الماء واستخدامه في توليد كهرباء المصنع والمنطقة المجاورة له والتي يتم حاليا بناء مستشفى بها ومدرسة لخدمة العاملين في المصنع . العمالة في المصنع ١٦٠٠ شخص يعمل منهم ١٣٣ خبيرا أجنبيا ، وبعد عامين من التشغيل اي في منتصف عام ١٩٨٧ سنصل الى الطاقة القصوى للانتاج وتمويل المشروع مشترك





عربات توزيع الحليب والتي تحمل انتاج المزرعة لاستهلاك العاصمة .

خط السكك الحديد [illegible]



فيتهم منح الصندوق الكويتي البنك الدولي (كومنولث) للتنمية ، والوكالة النرويجية .

مشروع تطوير السكك الحديدية : قدم الصندوق الكويتي قرضا قيمته ٨ ملايين دينار كويتي خصص منه ٦ ملايين دينار لتطوير السكك الحديدية و ٢ مليون دينار لتطوير الميناء ، وتأتي مساهمة الصندوق ضمن مساهمات اخرى تشترك فيها الدانمرك وكندا والمانيا الاتحادية ، وقدمت هذه الدول مساعدتها كمنحة باستثناء الصندوق الذي قدم المساعدة كقرض وفق شروط ميسرة . وسيرفع بعد التطوير كفاءة السكك الحديدية ، فعلى شبكة طرق سيبلغ طولها ٢,٦٦٠ الف كيلومتر سيتم نقل ٤ ملايين مسافر و ١,٣ مليون طن بضائع سنويا . وخصص قرض الصندوق لتمويل شراء قطع الغيار وانشاء ورشة صيانة بآلات اصلاح حديثة ، وتدريب العاملين واعدادهم مهنيا .

أما مشروع تطوير الميناء فهو شديد الأهمية للاقتصاد التنزاني واقتصاديات البلدان المجاورة لأن تنزانيا تقدم خدمة بحرية لجاراتها أوغندا ورواندا وبروندي ومالاوي وزامبيا وشرق زائير وزيمبابوي فكل هذه البلدان بلدان بلا شواطيء بحرية وتعتمد في تصدير حاصلاتها ومنتجاتها واستيراد احتياجاتها على المواني التنزانية ، وتنزانيا لها ثلاثة موانيء بحرية تطل على المحيط الهندي هي : تانجا ومتوارا ودار السلام . . وقد خصص القرض لتطوير ميناء دار السلام وهو الميناء الرئيسي وقد خصص القرض الكويتي لتمويل شراء قطع غيار وبعض المعدات البحرية فتم شراء سفينة (قطر) لسحب السفن الى الميناء ، وسفينة صغيرة لنقل المعدات من والى السفن التي يتم تفريغها في البحر ، وسفينتين لنقل البضائع من السفن بالاضافة الى بعض المعدات البحرية وورش الصيانة . ورغم سوء حالة طرق الميناء من الداخل والأرصفة ، الا أن هيئة الميناء تعد دراسة جديدة لطلب منح وقروض لانهاء مشروعات تطوير الميناء .

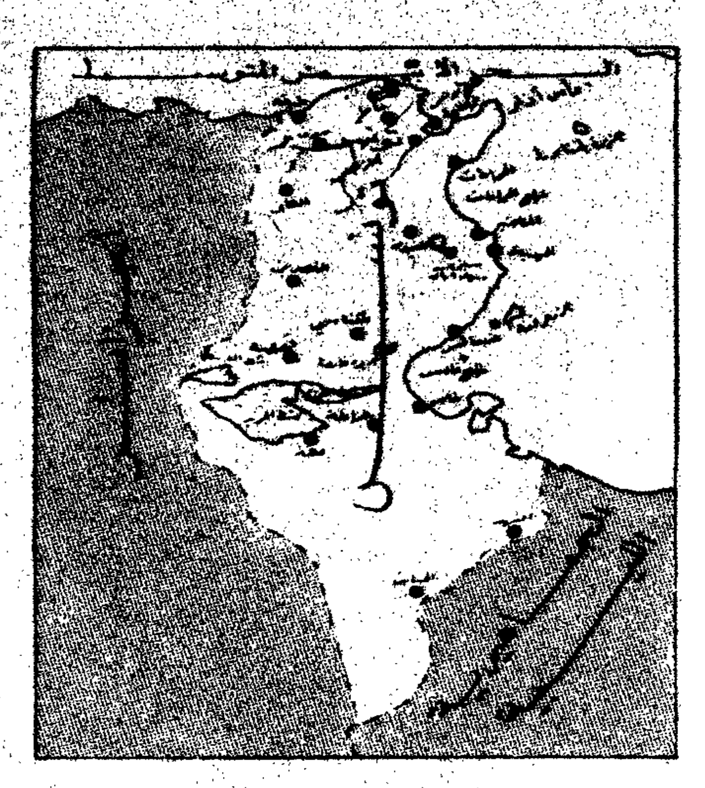
غادرنا تنزانيا وفي كل موقع من مشروع أيد وطنية تعمل على آلة جديدة بالنسبة لها ، مطارق . . وماكينات وورش تعمل . . وبشر يتدرب ويعرف ويتعلم . . تتغير ثقافته وبين الاحتكاك بالآلة تنكسر دائرة الفطرة ، ويعرف الانسان ببساطة أنه يعمل ويعرق من أجل وطنه ، لأن هناك من ارادوا أن يسهموا في تغييره ، ورفضوا أن يستسهلوا تقديم الكعكة جاهزة .

الحلم حقيقة

كان اختيار تونس لخصوصية حالتها بالنسبة للصندوق ، فتونس هي أكثر البلدان التي حصلت على قروض من الصندوق ، فقد حصلت على ٢٣ قرضا لتمويل مشروعات متنوعة ومختلفة تقارب قيمتها ٩٠ مليون دينار كويتي . ولتونس تمايز خاص بين بلدان الوطن العربي ، والتمايز ليس وقفاً على منحة الله لها بجمال الطبيعة الرائع بقدر ما هو ايضا تمايز لخصوصية التجربة والاصرار على تحقيق الذات .

تعد تونس من الدول ذات الدخل المتوسط ، فيبلغ متوسط دخل الفرد السنوي فيها ١٣٩٠ دولارا ، وتلتزم الحكومة التونسية بتنفيذ تنمية الا أنه نتيجة لاعتماد الاقتصاد على عوامل متغيرة فان معدل النمو يتأرجح بين الازدهار والتراجع ، فقد حققت تونس معدل ٦,٢٪ سنة ١٩٧٣ وارتفع الى ٩٪ عام ١٩٧٥ ثم تراجع الى ٧٪ عام ١٩٨٣ ، والسبب في هذا ان الاقتصاد التونسي يعتمد على سلع تتأثر بأسعار السوق العالمية ، فيعتمد على الزراعة ٤٠٪ من الصادرات و ١٦٪ من الناتج القومي ، وتعتمد على البترول والفوسفات وعائدات السياحة وهذه كلها عناصر متغيرة تخضع لتقلبات الاسعار أو لعوامل التحكم فيها خارج دائرة سيطرة الاقتصاد التونسي ، ولعل الخوف الاكبر الذي كان يهدد الاقتصاد التونسي هو انضمام اليونان واسبانيا (حزام الزيتون) الى السوق الاوروبية المشتركة بما يعنيه هذا من تأثر صادرات تونس في الزيتون والاعناب الى دول السوق .

ويقوم الصندوق الكويتي للتنمية بتمويل مشروعات في تونس لا تستطيع أن تحدد أيها اكثر اهمية ، فمثلا هناك مشروع احياء وادي مجردة وهو واد زراعي وتهدف الخطة الى تحويل الوادي من ري موسمي بالمطر الى ري دائم . ومساحة الوادي تبلغ ٣٠ الف هكتار . . اقتصر تمويل الصندوق على



تونس رغم صغر المساحة الا ان الحرص على موقع أفضل تحت الشمس يجعلهم يستغلون الامكانيات المتاحة .

١١ الفا و ٢٠٠ هكتار ، سيخصص القرض لتمويل عمليات أشغال التجهيز الاساسية وحفر القنوات وتبسيط الارض واقامة مشروع صرف مغطى ، واشغال ري وبعض الانشاءات للمباني الاجتماعية ، والمشروع - كما يوضح المهندس عبدالقادر حمدان مدير المشروع مقسم الى عدة مشاريع ، مساحته ٤٥٠ هكتارا تزرع خضروات وفواكه حسب الدورة و ١١٢ هكتارا تزرع أشجارا مثمرة . وفي موقع أخر من الوادي يقسم الجزء الممول الى عدة مشروعات مماثلة حسب طبيعة المناخ ، والمحصول الذي تجود زراعته ، وطبيعة تربة هذا الجزء من الوادي . وحتى نفهم كيفية هذا التقسيم فان وادي مجردة هو واد زراعي طويل يشق تونس من سد سيدي سالم حتى الحدود الجزائرية ، ومشروع أخر لتطوير سكك حديد الضواحي ، وكما يقول (وجدي ساعد) مدير دائرة الاعلام في هيئة سكك حديد تونس : شبكة السكك الحديدية الحالية هرمة لأن عمرها يعود الى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ومع ازدياد الكثافة السكانية وزيادة الطلب على استخدام السكك الحديدية كوسيلة انتقال كان لابد من التفكير في تطوير الشبكة ، وخصوصا اذا علمنا أن عدد المسافرين يقارب ٣٠ مليون مسافر سنويا منهم ٧٠٪ على خطوط الضواحي ، ففكرنا في انشاء خط ثالث وانشاء أرصفة للمحطات لحماية الناس وتأمينهم .. وفي تصوري فان تطوير شبكة السكك الحديدية سيسهم في خلق تجمعات سكنية جديدة مادامت هناك وسيلة مواصلات مريحة مما سيخفف الضغط عن العاصمة كما انه يحقق وسياسة توسيع نطاق النقل العام على حساب النقل الخاص توفيرا للطاقة .

ليس كافيا

ومن مشروع الى مشروع في تونس تستطيع ادراك الفرق بين حالتين ، حالة مجتمع مازال يخطو ويبني ومجتمع تجاوز مرحلة البناء ويحاول الانطلاق .

ويقينا ليس هذا كافيا لعرض كل ما يفعله الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية من دعم ومساندة ، وبنفس اليقين فان جهود الصندوق وحدها ليست كافية لتغطية كل مناطق الاحتياج الى الدعم في العالم النامي .

ولكن ماذا لو أعدنا نحن العرب ترتيب أوراق المؤسسات التمويلية ، وأعدنا النظر ووضعنا في الاعتبار كل تجارب الصناديق العربية وخصوصا تجربة الصندوق الكويتي في تنمية المصالح والشروط ، وحاولنا ان نمد أيدينا الى عمقنا الاستراتيجي ، الى بؤرة اهتمام العالم ، الى افريقيا .. فافريقيا شديدة الاحتياج الى الدعم والمساندة ، وهي أرض بكر للاستثمار سواء على مستوى القطاع الحكومي أو القطاع الخاص .. افريقيا .. تقف في النقطة الحرجة واذا كنا نياما فغيرنا يقظ .. واذا كنا كسالى فالآخرون يعملون الموقف اننا الآن في سباق مع الزمن كي تظل تجربة الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية هي بقعة الضوء الوحيد فوق الجسر الممتد بين العرب وافريقيا فهل نتحرك .. القضية تستحق المناقشة حول كيف نتحرك ؟ وماذا نعطي ؟ وكيف نحمي ؟ فمن يستجيب ويبدأ ؟ □

وجهاً لوجه




دكتور إبراهيم عبده ● دكتور أحمد حسين الصاوي

● بدأت العمل الصحفي وأنا طالب في المرحلة الثانوية.

● تعرف الصحافة العربية في الإعداد بكل مستحدث من تقنيات.

● الصحافة المصرية أصبحت صناعة لها كل مقومات الصناعات الأخرى.

● ساهمت الصحافة المصرية بدور مهم في تأجيج حركة النهضة الوطنية.

يلتقي في هذا الحوار اثنان من الإعلاميين الأكاديميين. أما الدكتور [illegible] فهو أستاذ ورئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام بجامعة القاهرة ومستشار لاتحاد الصحفيين العرب، وعضو [illegible]. وأما الدكتور إبراهيم عبده فقد [illegible] للدكتور الصاوي مهمة تقديمه والتعريف به، فيقول: حصل الدكتور عبده على الدكتوراة في عام ١٩٤٣ وعين مدرسا ثم أستاذا مساعدا فأستاذا للفن الصحفي ورئيسا لمعهد الصحافة في عام ١٩٥٦، وأسس دارا للنشر هي اليوم أول صاحب دور النشر في القطاع الخاص. وللدكتور إبراهيم عبده أكثر من أربعين كتابا معظمها في فنون الصحافة وتاريخها، ثم تاريخ مصر الحديث وبعض الكتب السياسية.

● معهد التحرير والترجمة والصحافة هو أول معهد إعلامي تعرفه الجامعات العربية. وقد ارتبط اسم هذا المعهد دائما باسم الدكتور إبراهيم عبده، فمتى بدأت صلتكم به؟

- الحقيقة أن الفضل في انشاء هذا المعهد يرجع الى اثنين هما الدكتور طه حسين والدكتور محمود عزمي، وبعدهما بدأت صلتي بالمعهد عندما عينت مدرسا بعد حصولي على الدكتوراة. وعندما رقيت الى درجة أستاذ مساعد لم يكن هناك أستاذ بالمعهد فأصبحت رئيسا للمعهد وممثله في مجلس الكلية. وقد بذلت كل جهدي في تلك الفترة لارفع من شأن المعهد، وعملت على أن تحتل الصحافة المصرية مكانا مناسبا بعد أن كانت في مرحلة بدائية في البداية. لأن أهل التعليم في الصحافة لم يكن يعتقد أن الصحافة يمكن أن تعتمد على العلم والدراسة، وأن الموهبة وحدها تكفي.

تاريخ الصحافة المصرية

● أود أن أعرف كيف اخترت [illegible] العليا بعد أن [illegible] وقسم التاريخ بكلية الآداب موضوع تاريخ الصحافة المصرية الذي [illegible]. هل [illegible]؟

[illegible]

دراستي لدرجة الماجستير صحيفة «الوقائع المصرية» وهي - كما تعلم - أول صحيفة مصرية، بل أول صحيفة في الوطن العربي والعالم الإسلامي جميعا. واقتضت هذه الدراسة كذلك متابعة تاريخ وصول المطبعة الى مصر في عهد الحملة الفرنسية، وتناول ما أصدرته الحملة من مطبوعات. أما موضوع دراستي للدكتوراة فكنت أنا الذي اقترحته على أستاذي شفيق غربال، وكان عن «تطور الصحافة المصرية ونشأتها» وهو العلم الذي فرغت فيه من كتابة الرسالة «الاطروحة» وهو عام ١٩٤٣.

● نحن الذين درسنا بمعهد التحرير والترجمة والصحافة كنا طلابا من خريجي مختلف كليات الجامعة والمعاهد، فهل [illegible] الصحافة [illegible] الأولى [illegible] الأفضل؟

[illegible]

الجامعية الاولى المتخصصة في الصحافة أو غيرها من وسائل الاعلام . .

● **اذن فقد فكرت في توسيع نطاق هذا النوع من الدراسة لتشمل الى جانب الصحافة وسائل الاعلام الاخرى ؟**

ـ نعم هذا صحيح . ولذا فقد سعدت بانشاء كلية الاعلام لانها حققت ماكنت أتمناه ، وذلك بعد أن مررنا بتجربتي معهد التحرير والترجمة والصحافة وقسم الصحافة وكلاهما كان تابعا لكلية الآداب .

معاهد اعلامية

● **لقد آمنت معظم الدول العربية ـ بعد نجاح التجربة المصرية ـ بفكرة انشاء معاهد للدراسة الاعلامية ، وتعددت هذه المعاهد في السنوات الاخيرة حتى بلغ عددها مايقرب من عشرين قسما وكلية . ألاترى ، ونحن العرب ، نتكلم لغة واحدة ، أنه من الضروري أن نعمل على التقريب بين مناهج الدراسة في هذه المعاهد ان لم يكن توحيدها ؟**
وألا يساعد هذا على تحقيق مزيد من التقدم نحو فكر عربي موحد ؟

ـ بلى ، هذا صحيح ولكن تحقيق هذه الفكرة لايعني بالطبع صب جميع مناهج الدراسة الاعلامية بالبلاد العربية في قالب واحد فلكل قطر عربي ظروفه المحلية .

● **أنا أقصد الخطوط العامة على الاقل ، بحيث يمكن في النهاية أن يستخدم الاعلاميون العرب من خلال مختلف وسائل الاعلام التي يعملون بها لغة مشتركة وأن يكون أداؤهم وأسلوب تعبيرهم من نمط واحد متفق عليه يقوم على أسس تقنية واحدة . وبالطبع فان هذا يرتبط أو ينبغي أن يرتبط بجهود أخرى تقوم بها بعض المنظمات العربية ، مثل توحيد تعريب المصطلحات .**

ـ لاشك أن هناك من المقدمات والبوادر مايمكن أن يكون أساسا لما تدعو اليه . فكثير من العاملين بمعاهد الدراسة الاعلامية العربية مواطنون من مصر التي سبقت غيرها بتجربتها ، وكذلك الأمر في وسائل الاعلام ذاتها من صحف واذاعات وغيرها .

● **نعلم انك عملت ـ منذ كنت طالبا بالجامعة ـ في صحيفة يومية هي كوكب الشرق التي أنشأها الصحفي أحمد حافظ عوض ، كما نعلم أنك بعد ذلك بسنوات رأست تحرير احدى المجلات النسائية . فما هي قصتك مع العمل الصحفي ؟**

ـ بدأت العمل الصحفي في أثناء دراستي بالمدارس الثانوية . منذ كنت طالبا بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ، وهي من أعرق المدارس الثانوية في مصر ، وكانت المدرسة ـ كغيرها من المدارس ـ تصدر مجلة سنوية يتولى تحريرها الطلاب الذين يختارون لهذا العمل بعد عقد اختبار لهم . وكان أن نجحت في هذا الاختبار بتفوق ، وتوليت تحرير المجلة ، وكان يعمل معي في المجلة عدد من الزملاء الذين أصبحوا بعد ذلك من الشخصيات المعروفة مثل مصطفى أمين والمرحوم أحمد حسين زعيم مصر الفتاة والمرحوم محمود المليجي الممثل العظيم .

مراحل في حياة الصحافة

● **ماهي أبرز الفوارق التي تراها بين الصحافة العربية حينئذ وصحافة هذه الأيام ؟**

ـ تطورت الصحافة العربية ولاشك تطورا كبيرا واكب التطورات العامة في الوطن العربي ، ويمكن اجمال مظاهر هذا التطور في النقاط التالية :

* ان الصحافة العربية أخذت بكل مستحدث من تقنيات العمل في هذا الحقل من حيث الطباعة والتيبوغرافيا ، واستقاء الانباء واستخدام الصور والرسوم والألوان وما الى ذلك .

* ان المواد الخبرية فيها غلبت على مواد الرأي .

* اتسع نطاق ماتؤديه من خدمات ، وأصبح التخصص سمة أساسية من سمات العمل الصحفي .

* تحولت الصحف من مطبوعات فردية ارتجالية الى مؤسسات تقوم على أساس سليم من « الادارة » الحديثة ، حتى لاتتعرض لهزات تطيح بها كما كان الحال قبل ذلك .

● هل تقصد أن الصحافة العربية أصبحت « صناعة » لها كل مقومات الصناعات الاخرى ؟

ـ نعم ، مع الأخذ في الاعتبار أن صناعة الكلمة قد تكون أصعب من غيرها من الصناعات في كثير من الاحيان .

● أعتقد أن من معالم هذا التطور كذلك بروز أهمية الاعلان من حيث هو قوة مؤثرة في اقتصاديات الصحيفة وفي سياستها كذلك ، بعد أن زادت ـ أو تضاعفت نفقات اصدار الصحف ، وأصبح العائد من توزيعها لايغطي الا نسبة ضئيلة من تكاليفها .

ـ أوافقك على أهمية الاعلان للصحيفة العربية الحديثة من الناحية الاقتصادية ، ولكني لاأعتقد أن له تأثيرا كبيرا على سياستها ، أي أن المعلنين في بلادنا لايمثلون « قوة ضغط » كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية الكبيرة في الغرب كالولايات المتحدة مثلا .

الاعلان

● فماذا تقول اذن في كبار المعلنين الذين أصبحت اعلاناتهم تحتل أبرز الأماكن في أهم الصفحات بمساحات كبيرة لاتتناسب ومضمونها ، فضلا عن اخلال ذلك بالتناسق المطلوب للصفحة بين مواد التحرير والاعلانات ، ومخالفته لكل ذوق سليم ؟ ولكن المسئولين عن الصحف يغمضون أعينهم عن ذلك في سبيل مايحصلون عليه من أجور ضخمة لتلك الاعلانات . وبالطبع لاتستطيع هذه الصحف أن تنشر من مواد التحرير مايتعارض ومصالح أولئك المعلنين .



الدكتور ابراهيم عبده في حوار مع الدكتور الصاوي .

ـ قد يكون ذلك صحيحا في بعض الصحف ، ولكن مازالت هناك صحف أخرى تضع من القواعد والمبادىء ، بل والقيود ، مايحول دون أن تتجاوز الاعلانات فيها حدودها المعقولة . وعلى أية حال فالاعلانات في كثير من الصحف العربية تحتاج الى ترشيد من حيث المضمون والتصميم والاخراج .

● ان الحديث عن الاعلان يقود الى الحديث عن الصحف التي لاتستطيع أن تغطي تكاليف اصدارها لقلة مواردها الاعلانية . فمثل هذه الصحف اما أن تتوقف عن الصدور أو تضطر الى طلب الدعم (أو قبوله) من جهة ما

ـ هذا صحيح ، وفي صحافة الوطن العربي أمثلة كثيرة على مانقول . فحكومات بعض الدول العربية تدعم الصحف الاهلية الصادرة بها دعما ماليا مباشرا أو دعما غير مباشر عن طريق الاعلانات ومن خلال بعض التيسيرات . ومن الطبيعي أن تكون نتيجة هذا الدعم سيطرة من جانب من يدفعه ، وولاء من جانب من يتلقاه .

● هناك أيضا قضية التنمية ببلادنا العربية ، وهي جزء من العالم الثالث تشغلها قضايا التنمية الى حد بعيد ولاشك أن الصحافة تستطيع أن تلعب دورا كبيرا في هذا الصدد ، فتسهم بجهودها في دفع عجلة التنمية الوطنية في شتى المجالات .

ـ على أن ذلك مرتبط بضرورة تحول الصحافة من الاهتمام بارضاء الحكومات الى الاهتمام باحترام حق المواطن في أن يعلم ، فلا تخفي عنه الحقائق ولاتحرف .

● ولعل من أهم التحديات التي على الصحافة العربية أن تواجهها كذلك مشكلة التدفق الاعلامي من جانب واحد . فوكالات الأنباء العالمية ، وهي مؤسسات غربية ، تبث نحو ثلاثة أرباع المادة الاخبارية التي تستقيها الصحافة وغيرها من وسائل الاعلام . ومن الطبيعي أن يخضع اختيار هذه المادة ومضمونها ونقاط الاهتمام فيها وصياغتها .. الخ لسياسة تلك الوكالات وأهدافها وانتماءاتها ، مما يؤثر كثيرا على مبدأى الحياد والموضوعية من ناحية ، ويتعارض ومصالحنا واهتماماتنا من ناحية ثانية . ويمكن أن نضيف الى وكالات الأنباء العالمية في هذا الصدد وكالات المواد المتخصصة التي تبث المقالات والتحليلات والتحقيقات ، وتعتمد عليها صحافتنا في الحصول على ماتبغيه من هذه المواد التي تنشرها بكثير من حسن النية ، دون أن تلتفت الى ماقد تحويه من سموم وقد قامت منظمة اليونسكو منذ سنوات بجهود كبيرة لمحاولة كسر هذا الاحتكار الاعلامي وتحقيق لون من التوازن في هذا المجال بين العالم المتقدم والعالم النامي وقد تعرضت هذه المنظمة العالمية من جراء ذلك الى حملة ضاربة من بعض دول الغرب . ان وسائل اعلامنا نحن العرب ، وفي مقدمتها الصحافة ، ينبغي أن تسهم في تلك الجهود الرامية الى ايجاد نظام عالمي جديد للاعلام ، لتتخلص من تلك السيطرة الاعلامية وماتؤدي اليه من نتائج سيئة . . .

ـ ان هذا الامر ينبغي أن يكون موضع بحث جاد ودراسة واعية من أجهزة الاعلام العربية . وأعتقد أنه يمكن التوصل الى « صيغة » لاعلام عربي موحد في هذا الاطار العالمي الذي تحدثت عنه . . □

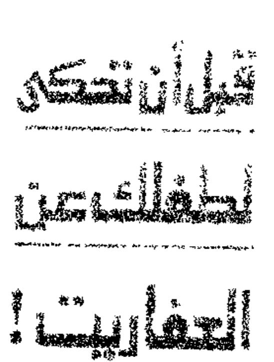
« ما أتعس من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك »

جبران خليل جبران

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



قبل أن تحكي

لطفلك عن

العفاريت!

المناورات

الضارة..

هل نعلمها

لأولادنا؟

قبل أن تحكى لأطفالِكَ عَنَ العفاريت

اعداد : ريم الكيلاني

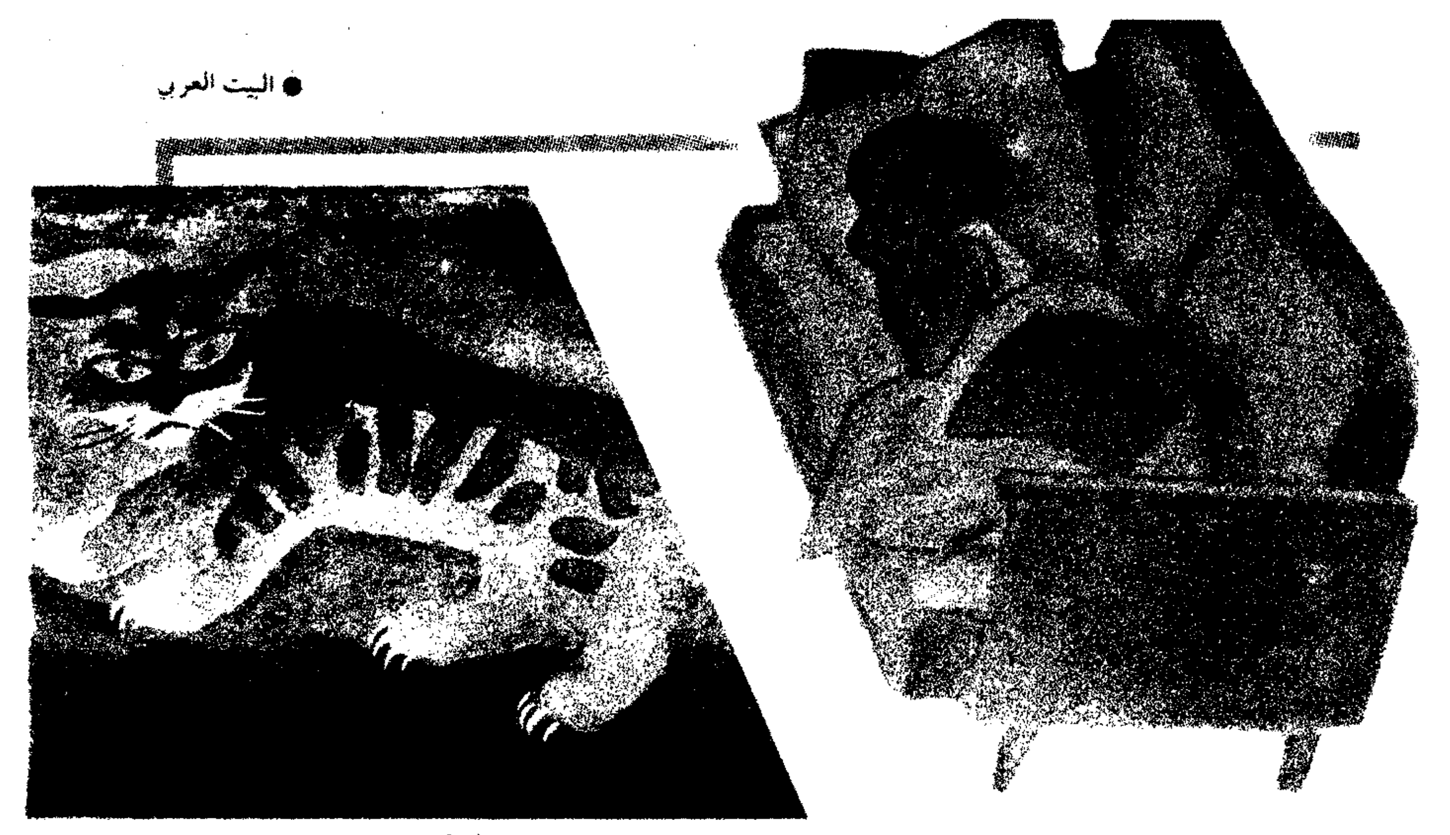
« برأف بهم من العقاب البدني ونخاف عليهم من الـرخْـر
فنلوّح لهم بشيء يخيفهم ، لنشتـرى الصمت والهدوء »

حدث يومى في كل البيوت وفي حياة كل مـن هذه الـوقائـع ودكـريـات عن أسماء لحوانات أو مخلوقات عربه كان الاهل يلوحون بها كى بصمت ويطيع،والعرب أن شراء الـطاعة تحت ظل الخوف كان لأشياء مناقضه فمن طاعه تناول الطعام الى طاعه في التزام الهدوء الى الحفاظ على مقتصيات السلوك الواجبه خليط من أشياء وأوامر كان ثمن عصيانها جميعا هو الترويع بالفأر أو القط أو ذى الساق المقطوعة أو الج
وقد طرحنا هذا السلوك اليومي المتكرر في كل البيوت أمـام اثنين من المشتغلين بعلم النفس والتـربية فماذا قالا ؟

رأي العلم

د محمد عودة استاد علم النفس التربوي بجامعه الكويت يقول ان للتراث الثقافي دورا هاما في هذه المخاوف فهو عميق في أعماق الانـسـان،والتعلم لن يزيل بالضرورة تلك المعطيات الثقافية الخرافية التي كونها اللاشعور الجماعي،ويعتبر كثير من الامهات أن التخويف يمكن أن يكون أسلوبـا تربـويا لاكـسـاب الطفل السـلوكيات المرغوب بها
ان عمليه التخويف المستمره والعقاب البدنى المؤلم ، الى جانب التخويف بقوى غير منظوره وخارجية ، سينتج عنها انسان ضعيف الشخصيه ، لايستطيع مواجهه المواقف ، أما التربيه المعاكسه من حيث التدليل المبالغ به والثواب المستمر سينتج عنها بلا شك طفل مغامر ، لايتردد في اتخاد القرارات وقد يكون لديه أيضا اتجاهات عدوانيه ، وهـذا اسلوب خاطيء أيضا ، مرفوض تربويا

الاسلوب الامثل لتكوين شخصيه متزنه مقبولـه اجتماعيا وتربويا يعني بالضروره وضع خطه تربويه صحيحة ، فالعقـاب المستمر لا يجدى ولكن اثابـه الطفل عنـد النجاح بعمـل سلوكيات مـرغوبـة أمر مقبول كما على الاهل معاقبه الابناء عقابا تربـويا لايكون بالضرب أو الصراخ ، وانما بأسلوب منطقى كالاستنكار البسيط ، فعدم التعليق على الفعل أحيانا أو العبوس هما نوع من أنواع العقاب ، فالضرب لن يجدي بل سيجعل الطفل يعيد الكرة في محاولـه منه لاثبات الذات ، الثـواب أيضا لن يكـون باغراق الطفل بالعطف والحنان ، فكلمة استحسان أو مدح ستكون كافية للطفل



ـ تخويف الطفل للحصول على الراحة تنتج عنه شخصية مضطربة ومذعورة

ويضيف الدكتور عودة : أن تثيب باعتدال ، وتعاقب باعتدال وأن لا تخوف بمصادر لا وجود لها ، وأن تتيح الفرصة للطفل لكسب الخبرة بالممارسة ، وأن لا تعرض الطفل لمؤثرات الثواب والعقاب ، كل هذا يساعد في تكوين الشخصية المتزنة .

وعلى الاهل تناسي عمليات العقاب الصارم،الا في حالات انعدام نتائج الوسائل السابقة .

أنت لن تستطيع أيها المربي أن تمنع عملية التعلم ، أو تقف حائلا دون وقوعها من أجل تحقيق انانيتك في الراحة وعدم الجري وراء الطفل ، فهي ضرورية لاكساب الطفل سلوكيات مرغوبة ، وخصوصا وأن عمليات العقاب والتخويف قد تظهر في المستقبل على هيئة حالات مرضية .

كيف تتكون المخاوف

والدكتورة نادية شريف الاستاذة المساعدة بقسم علم النفس : تزيد الامر وضوحا أيضا فتقول : ان مخاوف الاطفال ماهي الا نوع من أنواع السلوك الانفعالي الذي ينمو ويتطور ويتغير بنمو الانسان وتطوره ، وتلعب عوامل النضج والتعلم دورا هاما في نمو الانفعالات وتطورها ، ومن ضمنها انفعالات الخوف أو مخاوف الاطفال .

والواقع أن معظم المخاوف عند الانسان بصفة عامة ، وعند الاطفال بصفة خاصة هي أساليب انفعالية متعلمة ، نتيجة للظروف البيئية التي يعيش الطفل في وسطها .

واذا كانت هناك مخاوف توجد مع الطفل منذ ولادته ،فيمكن اجمالها في مصدرين أساسيين فقط ، وهما : الخوف من الاصوات الشديدة المفاجئة أو الخوف من السقوط من أعلى ، أما ما عدا ذلك من أمور يخاف منها الطفل فانها جميعها مكتسبة من الظروف الموجودة من حوله ، مثل خوفه من الظلام أو الثعابين أو غير ذلك من الحيوانات الاخرى . وقد أكدت الدراسات أن الطفل الصغير لا يكاد يخاف الا من الاصوات العالية المفاجئة أو السقوط أما فيما عدا ذلك فهي مخاوف تتكون من خلال التعلم والاكتساب .

وتكثر مخاوف الطفل لاسيما في مراحل العمر المبكرة، نتيجة لطبيعة وامكانيات نموه العقلي ، فطفل مرحلة الروضة تتميز فترة نموه العقلي بعدة مميزات : أولا : طفل متميز بنمو الخيال والقدرة على التخيل



واصفاء صفه الاحيائيه على الامور المحيطه به ، ونقصد بالاحيائيه هنا أن الطفل يعطي الحياه والشعور للاشياء الجامده والمتحركه من حوله ، فالمطر يقطر اليه ككائن حي يسقط من السماء الى الأرض ، والشمس عندما تشرق علينا يعرف انها تشرق ، والقمر يلاحقنا في كل مكان وهو يعرف ذلك والطاولة تشعر والحجر الذي نضربه نحوه يشعر بالالم والعنف.

كذلك يتميز الطفل بصفه التمركز حول ذاته حيث يرفض تماما أن يأخذ بوجهه نظر الاخرين ، ويعتبر أن وجهة نظره هي الصحيحه وبالتالي تبقى الاشياء أمامه معلقة غامضه ، وتبقى النسبية الفيزيائية بعيدة عن

ادراكه لمده طويله ، بل ان مفاهيمه تتميز بأنها بدائيه في كثير من الأحيان

فعل هذه المرحله لا يصل بعد الى حد التفكير المنطقي بمستوياته الفعليه الحقيقيه

لكل هذه الاسباب خاصه بامكانيات النمو العقلي لطفل هذه المرحله فانا نجد أن تكون المخاوف تكون بدايتها في هذه المراحل المبكره من العمر . ويصبح من غير المستغرب أن نوجه اهتمامنا الى التعرف على هذه المخاوف ، ونقدم كل عون وقائي وعلاجي للتخلص من مثل المخاوف ، لاسيما أن هذه المخاوف

التي يكونها الطفل قد تكون مصدرا من مصادر القلق والاضطرابات الانفعالية عند الصغار

مسئولية من ؟

ان أساليب التنشئة الاسريه تلعب دورا هاما في نشأة وتكون مخاوف الاطفال فسلوك الأم في بعض الاحيان يكون سببا في تكون مثل هذه المخاوف ولاسيما اذا علمنا أن الطفل في مراحل العمر المبكر يتعلم من خلال الملاحظه وتقليد الوان السلوك التي يلاحظها

ولما كانت الأم هي أقرب انسان الى طفلها الذي يقضي معها معظم وقته، كان لسلوكها وانفعالاتها الدور الاكبر في تكون مثل هذا السلوك فاذا كانت تظهر أمام طفلها خوفها من أمر من الأمور، وتكرر سلوكها أمام الطفل كان ذلك كفيلا بتعلم الطفل الصغير أن يخاف من نفس الشيء. علما بأن الخوف له خاصية هامه هي قابلته للانتشار والتعميم فالطفل الذي تعلم الخوف من الفأر مثلا قد يخاف بعد ذلك من القطط والكلاب وكل الحيوانات ذات الفراء

لذلك فان مخاوف الام أو الأب أمام الطفل تعدو قدوة وتوحي له بالخطر فاذا لم يستطع الكبار درء الخطر عنهم فكيف له أن يبعد هو هذا الخطر؟ من هنا يتكون لديه شعور بالخوف

ان استغلال وبث الخوف في نفس الطفل كوسيلة تأديبية يؤدي الى تكون مخاوف الطفل، فتهديده بأن عفريتا سيخطفه لأنه عصى والديه مثلا سينتهي الى احساس الطفل بخطر محتمل، فيصدق الكبار ويصبح فزعا وتتكون في نفسه من ثم مخاوف من الأمور الغيبية غير المنظورة

ترك الاطفال مع الخدم غير المؤهلين للتربية والتنشئة الذين غالبا ما يلجأون الى سرد الخرافات أو الحكايات الخرافية التي لايستطيع الطفل فهمها والتي يكون عنها افكارا خاطئة ناتجة عن شعوره بالخوف والفزع هو من الأمور غير المستحبة، ويترك آثاره المستقبلية في نفسية الطفل

وقد يكون للمدرسة دور في خلق المخاوف لدى الاطفال، ولا سيما المخاوف التي لايستطيع الفرد تقليل اسبابها مثل خوف الطفل من التحدث أمام الغرباء أو ابداء رأيه ووجهة نظره، أو طرح اسئلة استشارية. فكل هذه المخاوف تنشأ من عدم شعور الطفل بالثقة في نفسه، نظرا لما قد يصادفه من المواقف سواء في المدرسه أو داخل الاسرة من عقاب على محاولاته للقيام بمثل هذه الالوان السلوكيه من الاقدام أو الجرأه، طرح الرأي وبالتالي تكون المدرسة قد أسهمت بدور كبير في خلق حالات من القلق والخوف المبهم الغامض الذي قد يشكو منه كثير من الناس ولا يعرفون له سببا

وبناء على هذه الاساليب الفاشلة والسيئه وتبعا لامكانات الطفل العقليه، وقدرته على فهم الامور والتي سبقت الاشاره اليها فان كثيرا من هذه المعاني والخرافات تصبح ذات قوه كبيرة في استثارة مخاوف الطفل وتكوين تلك الشخصيه المهزوزه غير الواثقه من نفسها

العلاج الخاطىء

وتستمر الدكتورة نادية في حديثها

فكثيرا ما يلجأ الآباء الى ابعاد الشيء المخيف عن الطفل ويحولون دون رؤيته لما يخاف منه، وهذا خطأ، بل انه يزيد من حدة الخوف لدى الابن

كما أن كثرة تعريض الطفل للشيء المخيف وهو عكس الحالة الأولى، بحيث يعمد الاباء الى تقريب الشيء المخيف بالنسبة للطفل لن يظهر أثره على مايخاف منه الطفل فقط بل سينتقل اثره الى أمور أخرى، فقد يرتبط الخوف من القطة بالاشخاص الذين يقربون القطة من الطفل وبذلك تزداد وتتعدد مخاوف الطفل

ومن اخطر الأمور على نفسية الطفل التوبيخ والسخرية مما يجعله يفقد الثقة بنفسه وبالمحيطين به، ويتخذ ألوانا من السلوكيات العدائية تجاه المخاوف

ومن ثم عليك، ايتها الأم ان تمنعي كل تلك

التشنجات النفسية من الوصول الى طفلك . عليك أن تساعدي طفلك للتغلب على مخاوفه .

فالام المثالية هي التي تدخل الطمأنينة الى ابنها عن طريق تصحيح التعلم أي محاولة تعليم الطفل كيف يتعامل مع الاشياء التي يخاف منها . ويكون ذلك عن طريق تقديم الاشياء التي تمثل مصدر المخاوف للطفل بطريقة ما بحيث لا تزيد من مخاوفه مثال ذلك ، اذا كان الطفل يخاف الظلام فمن الممكن أن يذهب الى الأماكن المظلمة بصحبة والدته في أول الامر . . ويتكرر اطمئنانه بوجود والدته الى أن الظلام لايوجد به ما يسبب الخوف وشيئا فشيئا يقل اصطحاب الام لطفلها ، فقد تقف على باب الغرفة فقط ، وقد تبقى بعيدة تنادي عليه وشيئا فشيئا يتأكد من أنه لايوجد ما يؤذي في الظلام .

نفس الحال اذا كان يخاف من القطة فمثلا تقريب القطة منه في أثناء وجوده في موقف سار بصفة عامة ، كأن يكون جالسا بين والديه واخوته ، ثم يمكن بعد ذلك احضار القطة في قفص ونجعلها بعيدة عنه وبتكرار هذه العملية وتقريب القطة من الطفل تدريجيا ، واللعب معها في أثناء تواجد الكبار معه ، وخطوة أثر الأخرى يمكن ازالة مخاوفه

التقليد الاجتماعي

ان الطفل يتعلم بالتقليد فمن الممكن أن تسهم الملاحظة والتقليد في تعديل أنماط السلوك الخاطئة ، لذلك فرؤية الطفل لمجموعة صغار يلعبون مع القطة مثلا يساعده على الاتجاه لتقليدهم .

اذا كانت مخاوف الطفل تعود الى أمور وأشياء تتصل بما كونه هو نفسه وعن ذاته ، أو راجعة الى ضعف ثقته بنفسه وبقدرته ، فانه بالامكان مساعدة الطفل لاكتساب بعض المهارات الأساسية بحيث ييسر له ذلك اعادة الثقة بنفسه وبامكانياته .

واتاحة الفرصة للطفل من خلال المعلم والمدرسة والاسرة لممارسة حقه في ابداء الرأي والمبادرة والابتكار دون احساس بالخجل أو بالفشل حتى نبعد عنه المخاوف التي ترتبط بمفهومه عن ذاته الذي هو أساس تفاعله مع المجتمع المحيط به بأسره . □

المرأة والرجل لا بد منهما

يقول الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة : « أيجوز ان ندعو الرجل انسانا وهو لولا المرأة لماكان رجلا ؟ او أن ندعو المرأة انسانا وهي لولا الرجل لماكانت امرأة .

انما المرأة نصف انسان ، وانما الرجل نصف انسان . اما الانسان الكامل فلا يكون الا بالاثنين متحدين .

يقول أحد الحكماء : ان الله غضب على المرأة فجعل النار وجهنم والهاوية والظلمة والخطيئة الرذيلة اسماء مؤنثه . وجعل النعيم والفردوس والنور والصلاح اسماء مذكرة .

أولادنا .. والمناورات الضارة

هذه المناورات الضارة .. هل نزرعها في نفوس أولادنا ؟

بقلم : راجي عنايت

هل نزرع في أبنائنا ، دون أن ندري - وبنية حسنة - جذور الأنماط الضارة في التعامل مع الآخرين ، والتي تفرض عليهم طوال حياتهم ، وتجلب لهم المتاعب في كل مكان ؟

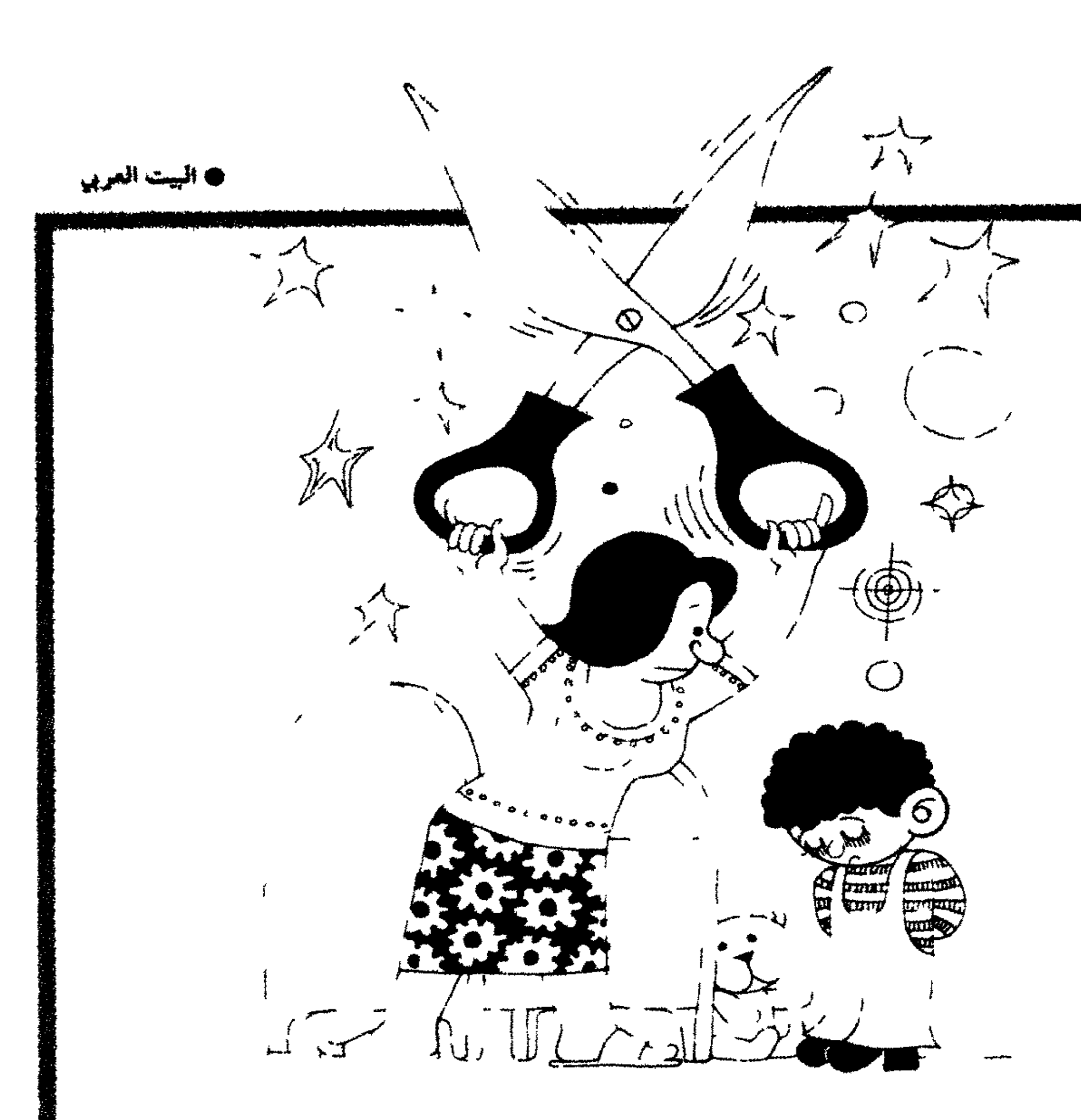
عندما نلقن أطفالنا مبادىء الأخلاق الحميدة . والسلوك الطيب ، هل نفعل ذلك بطريقة ترسخ لديهم عادات التعامل السيئة ، التي تتسلل الى تركيبهم الاجتماعي بطريقة لاشعورية ، وتظل تلاحقهم بعد بلوغهم وتفسد عليهم حياتهم الزوجية والعملية ؟ هذا سؤال أتصور انه يجب أن نحاول الاجابة عنه :

فالمعروف أنه عندما يفشل الأطفال والبالغون في التكيف مع الظروف التي يعيشونها ، فان فشلهم هذا يرجع الى نمط التعامل مع الاخرين الذين تعودوا عليه خلال السنوات السابقة ، والذي يمارسونه دون ان يدركوا طبيعته ، بشكل لاشعوري . هذا النمط الخاص أو الشخصي في التعامل مع الاخرين يعتبر ظاهرة غير صحية . لا يمكن التخلص منه الا اذا جرى أولا تحديده ، واتيح لأطرافه ، أن يعوه بشكل شعوري ، ثم لابد بعد ذلك من ايقافه ، لكي تحل محله انماط سوية في التعامل .

هذا هو جوهر المدرسة الحديثة في مجال علم النفس الاجتماعي . فبينما كان سيجموند فرويد يهتم بما يجري (داخل) الفرد ، جاء سوليفان - رائد المدرسة الحديثة ليصب اهتمامه على ما يجري (بين) الأفراد . ويعود الفضل في تبسيط واشاعة هذا الفهم الجديد الى العالم النفسي اريك بيرن ، الذي استطاع أن يضع يده على مجموعة من هذه المناورات الضارة ، والالعاب الخطرة ، التي نمارسها في حياتنا اليومية ، والتي تكون مسئولة عن معظم ما يعكر حياتنا ، ويعقد علاقاتنا مع الاخرين ، في البيت ، وفي العمل

مسئولية الوالدين

الانسان لا يستطيع أن يعيش بشكل صحي في عزلة عن الاخرين ، هذه حقيقة ثابتة تتأكد لنا من حاجته الشديدة الى انشاء العلاقات مع البشر من حوله . وهذا الاحتياج يبدو أكثر وضوحاً والحاحاً عند الطفل . ومن الطبيعي أن يكون المجال الأول للطفل ، والذي يتم فيه تأسيس انماط علاقاته مع الآخرين هو البيت ، من خلال التعاملات التي تجري بين الطفل من ناحية وبين الوالدين والاخوة من ناحية



أحرى

وهذا يصع مسئولية كبرى على عاتق الوالدين . تقتضي منها ادراكا كاملا لأنواع المناورات التي تدور في البيت ، ووعيا بأساليب التعامل مع الطفل التي قد تؤدي الى تثبيت الانماط السلوكية الضارة لديه

وقد اكتشف اصحاب المدرسة النفسية الحديدة ، أن الصفات الأساسية التي تحدد شخصية الفرد تنمو تدريجيا خلال سنوات حياته العشر الاولى ، على اساس أنماط التعامل مع الاخرين

الحوار الضار

كلما كان أطراف التعامل لا يدركون طبيعه النمط الضار الذي تجري على أساسه تعاملاتهم ، زاد احتمال ظهور أشكال التعامل غير الصحية المزمنه

اضف الى ذلك أن انماط العلاقات البشرية غير الصحية التي نطلق عليها اذا تكرر حدوثها لفظ (المناورات) تميل الى الظهور خلال فترات التوتر التي يمر بها أطراف التعامل

لكي نفهم ذلك دعنا نتأمل هذا الحوار الذي يدور بين أم وابنها الذي في الرابعة من عمره

الام هل القيت هذا المقص في مهد اختك الصغيره ؟

الابن لا

الام بل نعم لقد فعلت هذا اذا لم تكن انت ، فمن الذي فعل هذا ؟ الا تعلم انك يمكن أن تؤذيها بهذا ؟

الابن انا لم أفعل ذلك

الام من الذي فعلها إذن كان من الممكن أن تقتلها ، كيف كنت تشعر حينئذ ؟

الابن : شخص آخر هو الذي ألقى المقص في سريرها .

الام . من ؟ . . قل لي من ؟ . انت تكذب .

الابن : على أي حال فهي سليمة لم يصبها أي اذى .

الام : اذن فأنت تعترف بأنك القيت المقص .

الابن : لا . . لم أفعل هذا . .

الام : انتظر حتى يصل أبوك الى البيت . . سأخبره ، سأقول له انك فعلتها ، وكذبت بعد ذلك .

الابن : لقد ضربتني . .

الام : كيف يمكن لطفلة رضيع أن تضربك ؟ ها أنت تكذب ثانية .

الابن : لست كذابا . .

مؤشرات خطيرة

ماذا ترى في هذا الحوار ؟ ربما يكون قد تكرر أمامنا ما يشبهه أكثر من مرة ، دون أن نجد فيه ما يستوقف النظر ، أو يدعو الى التأمل . لكن المدرسة النفسية الجديدة ترى فيه مؤشرات خطيرة . وتنظر الى هذا التعامل نظرة مختلفة .

أول حقيقة تكشف عنها مدرسة تحليل التعاملات هو أن هذا الحوار يكشف عن عدم وعي الأم أو الابن بالموضوع الأساسي الذي خلق ذلك الحوار . الام تؤنب الابن وتهدده ، وهو يكذب ، ويتحول الى طفل خائف متجهم ، وهكذا تبقى المشكلة الأصلية دون حل .

قياسا على موقف الأم الذي طرحناه ، يمكنها أن تواصل الحاحها على ابنها لعدة دقائق اخرى ، أو ساعات ، أو أيام . ونتيجة لذلك تتضاعف عدوانية الابن تجاه اخته الصغيرة . ومثل هذا الموقف اذا تكرر من الام والاب بالقدر الكافي ، فانه يشكل لدى الابن بالتدريج ، نمطا مختزنا وغير صحي للتعامل مع الأخرين ، وهو ما يطلقون عليه تعبير (المناورة) . وهو يمضي في استخدام هذه المناورة مع اخته خلال سنوات طفولته ، ثم بعد بلوغه ، مما يضاعف المشاعر العدوانية بينهما .

ما بعد الوعي

دعنا نرى الآن ما كان يجب أن يكون عليه الحوار السابق ، اذا ما كانت الأم واعية بجوهر الموضوع الذي تتصدى له .

الام : لقد وجدت مقصا في مهد احتك . ولانه لا يوجد في البيت سوانا ، ولأن المقص لم يكن موجودا منذ عشر دقائق فقط ، فلابد أن تكون أنت الذي فعلت هذا .

الابن : لقد ضربتني . .

الام : هذا غير صحيح ، وأنت تعلم ذلك لكننا لن نمضي في هذا الآن ، المسألة الأساسية هي أنك تخاف أن يقل حبنا لك أنا ووالدك عن حبنا لاختك الرضيع . . هذا انت غاضب على احتك .

الابن : على أي حال . . ما هي حاجتنا اليها ؟

الام : ان نحبها ، لقد أصبحت الان ضمن الكبار في اسرتنا . وكما احببناك ، أنا ووالدك ، ومازلنا نحبك بنفس القدر ، علينا نحن الثلاثة أن نحب الصغيرة . وأيضا لانك أصبحت الان واحدا من الكبار ، عليك أن تساعد في رعايتها . .

الابن : ماذا يمكنني أن أفعل ؟

الام : احضر ذلك الدب اللعبة الذي جاءت به خالتك ، وضعه الى جوارها في السرير،في عمرها هذا لن تعرف ماهو الدب ، لكنني واثقة أنها ستحب فروه الناعم .

الابن : سأضع الدب الى جوارها .

الام : شكرا . .

التعامل السليم

في هذا الحوار كانت الام (واعية) بمصدر انزعاج الطفل ، لهذا نراها تتكلم معه في صلب الموضوع ، وتكشف له المسألة التي تعذبه ، فتجعله (واعيا) بها ، قبل أن تجسد الأم لابنها مشاعره بالكلمات ،

وأغلب الظن أن الابن لم يكن يعي ما يثيره مولد اخته الصغرى من غضب وفقدان للامان .

لقد طمأنت الام ابنها بالنسبة لمخاوفه , اخبرته ان حبهـا وحب أبيه لـه لم يتناقص بمقـدم الأخت الصغيرة . ثم رسمت لـه دورا جديدا في حيـاة الرضيعة لا يتسم بالتنافس . بأن جعلته ابا اضافيا لها . لهذا لم تعد الاخت الصغيرة مصدر تهديد له ، فأختفى غضبه عليها .

وأخيرا . . احلت الام نشاطا صحيا سليما محل النشـاط غير الصحي الـذي كـان الابن يمارسـه . فطلبت منه ان يقدم لاخته الدب في مهدها ، بدلا من القاء المقص فيه .

ويمكن أن نحصر الموقف في النقاط الاربع التالية :

١ ـ لقد استطاعت الام ان تكشف نمط التعامل غير الصحي الذي يمارسه ابنها ، والذي اذا ما ترك ليتكرر في مناسبات مختلفة ، يمكن أن يتحول الى مناورة ضارة ، يلتزمها الابن باقي حياته .

٢ ـ لقد جعلت الابن يدرك بشكل تفصيلي ذلك النمط غير الصحي من التعامل الـذي يمارسـه ، وخلال هذا الجهد ، اتضحت لديها الصورة بشكل أدق .

٣ ـ أوقفت النمط غير الصحي من التعامل ، عن طريق تبديد مخاوف الابن التي كانت تؤرقه .

٤ ـ استبدلت بالنمط غير الصحي من التعامل ، نمطا صحيا ، عندما اعطت الابن دورا بناء ، ومحققا للذات ، في علاقته باخته الصغيرة .

العناصر الخمسة

من هذا المثال نـرى أهمية حرص الوالـدين على الـوصول الى ادراك متزايد ، وفهم عميق لـطبيعـة التعاملات التي تتم في اطار الاسرة ، لكي لا يساهمان من حيث لا يدريان في تثبيت أنماط التعامل الضارة لدى الابناء .

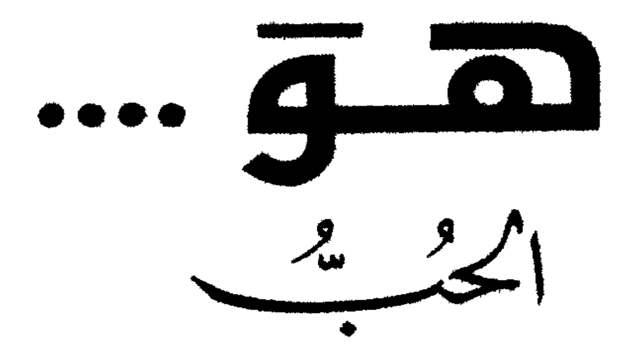
الا أن مجـرد الادراك المتـزايـد لـطبيعـة الأنمـاط الضـارة ، لا يكفي وحده لتـرسيخ أنمـاط التعامـل السوية بين الأبناء . فالادراك عنصر واحد من خمسة عناصر تجنب الابناء الالتجاء الى المناورات الضارة في تعاملاتهم صغارا وكبارا .

من هذه العناصر الحرص عند التعامل مع الابناء على عدم ترسيخ صورة سيئة لذواتهم . فكل شخص يحمل داخله صورة كاملة لنوع الانسان الذي يكونه ، أهـو قـادر أم ضعيف ، مهم أم تـافـه ، وسيم أم قبيح . . وتعامل الاباء والامهات مع الابناء يساعد أساسا في رسم هـذه الصورة الشخصية ، حتى لو تناقضت معالمها مع الأمر الواقع اذا ظل الاب يردد للطفل في كل مناسبة (انت غبي) يمكن أن تدخل هذه الصفة ضمن الصورة التي يرسمها لنفسه طوال حياته .

العنصر الثالث هـو قدرة الفـرد على التعبير عن مشاعره . فالطفل أو البالغ يجب أن يكون قادرا على أن يعطي تعبيرا معقولا عن مشاعرة بطريقة معتدلة من المجتمـع . يجب أن يكون قـادرا عـلى صيـاغـة الكلمات التي تعبر عن شوقه أو غضبه أو خوفه ، حتى لا يضطر الى اختزان هذه المشـاعـر ، مما يـدخلها في نطاق لا شعوره ، لتؤثر بعد ذلك على استجاباته ، دون أن يدرك ذلك .

أما العنصر الرابع فهو مساعـدة الطفـل على تحـديد هـويتـه ، الامـر الـذي يعتبـر من أهم مكـونـات شخصيتـه ، التي تؤثر في تعـامله مـع الأخـرين . والطفل الذي تتحقق له علاقة صحية مع أبويه يميل الى أن يتبنى معاييرهما الاخلاقيـة ، ووجهة نـظرهما الاجتماعية . أمـا اذا تعقدت العـلاقة بـين الطفـل والابوين ، فان هـذا سيؤدي الى رفض ومعارضـة الطفل لطريقة الوالدين في الحياة ، صراحة أو خفية .

وأخيـرا ، يبقى الحـرص عـلى خلق الاحسـاس بـالاطمئنان لـدى الطفـل ، وتجنيبه الشعـور الدائم بالقلق ، والذي يمكن أن يتولد لديه نتيجة للمآزق التي يجد نفسه فيها عند تعامله مع الـوالدين أو مـع الأخرين في محيطه . فان مثل هذا القلق يبقى ملازما للطفل بعد أن يكبر ، ويؤثر على تعامله مع الآخرين بطريقة لاشعورية . □



● تشغل بالي كثيراً .. وتؤرقني .. أحاول أن أبحث لها عن تفسير، ولكن ذهني لا ينجح في الوصول الى سبب واضح، وأعرف أن كثيرين يرون أن ما يشغل بالي أمر تافه .. ولكن هذا الأمر التافه أصبح كبيراً معي، زوجي لا يجاملني ولا يدللني أمام الناس .. عفواً .. لا تضحكوا مني .. ولكن ناقشوا الأمر مثلما أناقشه أنا.

تزوجنا عن علاقة طيبة .. متعلم مثقف .. أعرف وأثق أنه يحبني ويحرص على مشاعري، تتألق بيننا مساحات من الاحترام المتبادل والثقة .. وعندما نكون معاً في بيتنا نضحك ونمرح ونسخر من كل شيء .. مني .. منه حسبما يملي الموقف .. نعرف نحن الاثنين معنى المرح والضحك الانساني بحضور ذهن وبديهية متألقة .. دون اسفاف أو افتعال .. ولكن فجأة أمام الناس في أي مجتمع .. سواءً كانوا أهلي أو أهله .. أصدقائي أو اصدقاؤه يتجنبني .. يقل حديثه معي تماماً .. حتى لو كانت هناك ضرورة للحديث، كل الأزواج يجلسون بجوار زوجاتهم .. الا هو يبحث عن مقعد بعيد عني ويجلس .. اذا جاءت مناسبة حديث أو كلام من نوع هذه الأحاديث التي تدور بين العائلات عن طعام .. عن ثياب عن موقف لزوجة .. يتبارى الأزواج في الثناء على زوجاتهم، وتتبارى الزوجات في مديح أزواجهن، وأنا أعرف أن منهم من يمدح بلسانه فقط، ولكنهم يجاملون أمام الآخرين .. حاولت كثيراً أن ألفت نظره .. أقول له ان هذه مجاملة علنية .. شهادة إعلان عن لحظة سعادة أمام الناس .. يقدمها الزوج لزوجته أو العكس .. شيء رائع أن ننتهز الفرص كي نقدم مجاملة .. شحنة اهتمام علنية وشيء رائع أن يتم ادراك أهمية وأثر باقة الزهر العلنية من الثناء التي تنزل على مشاعر الزوجة ونفسيتها برداً وسلاماً، ومهما كانت ثقتها انه يعترف لها بفضلها ويقول لها فيما بينهما أكثر من المجاملة العابرة، الا أنها تسعد بالاعلان أمام الناس.



مهما مرت الأيام بها فهو يحمل شيئاً دافئاً داخله يرسل منه امتناناً واحتراماً. ولكنها تريد منه أن يفضي به أمام كل الناس. بهذا كما تقول الزوجة وبأشياء أخرى كثيرة أتوازن ولكنه لا يريد ان يفهم.

هدى

هي.... ما بعد الحب !

بيني وبينها ما هو أكبر من الحب . . لقد تجاوزت هذا من زمن ، بيني وبينها هذه المودة والألفة والتواصل ، هذا الطوفان من المشاعر الذي يملأ خلايا الدم والأعصاب عندما نكون معاً وحدنا . . كل منا بعفوية وتلقائية ، يتفنن في أن يزرع بسمة على شفاه الآخر ، يترقب حركة عينيه ليلبي له ما يطلب . . في لحظات الصفاء يتألق بيننا المرح والدعابة ، نعود بعفوية الى زمن الطفولة النادر . . نتخلص من إحساسات كثيرة قيد بها الزمن والحياة أرواحنا . . بيني وبينها الأمتنان . . الذي يختزل كل المشاعر ويسمو فوقها ، الخلاف بيني وبينها « هو الاعلان عن ذلك أمام الناس » . . هي لا ترى حرجاً في إطرائها ـ أي العلاقة ـ أمام الناس والثناء عليها . . أنا أرى كل الحرج ، لأنني تجاوزت ذلك وملء روحي الامتنان . . فلم أعد أرى في



الأحرف والكلمات أداة تعبير ، لحظة الصمت أداة تعبير . . تألق العين أداة تعبير ، تهلل الوجه تعبير . . ويصبح هذا التعبير أكثر بلاغة وأعظم صدقاً ، ولكن يبدو لي أن الأمر ليست له أية علاقة بالبلاغة والصدق . . الأمر كله يتلخص في ارضاء الذات أمام الناس ، هي لا تريد أن تسمع الكلمة . . تريد أن ترى وجوه الناس لحظة سماعها . . وأنا لا أعرف هذا . . أي أن أمر الى مشاعرها عبر آذان الآخرين ، أنا لا أعقد الأمور ولا أحاول أن أفلسف أخطائي ـ كما تقول هي أحياناً ـ ولكنني ببساطة أرى أن الانسان ليس مضطراً أن يقول شيئاً لا يريد قوله . . وبالتالي فهو ليس مضطراً لأن يتيح للناس كل الناس أن يتفرجوا عليه وهو يثني أو يمدح أو يشكر أو يجامل أو يدلل . . ويقيناً نحن لسنا محتاجين الى تقديم مشاعر ليست متواجدة ساعتها ـ حسب الموقف والواقعة وسياق الحديث ـ لا أستطيع أن أكون صادقاً واثني على طعامها وأنا جائع . . أقول انها طاهية ماهرة . . لكنني لا أتحمس حماس من يكتشف شيئاً لأول وهلة كما يفعل كل أصدقائي المنافقين ، لا أستطيع أن أقف عندما يقف عنده بعض الناس فأقول : إنها تفعل كذا بمهارة ، وترتب الشيء الفلاني بامتياز . . أنا لم أقف معها أبداً عند هذه الصفات التي تريد هي تأكيدها اليوم أمام الناس ، لقد وقفت معها طويلاً بفرح غامر نادر ، أمام روحها النقية نقاء طفلة ضحوك لم تفسد روحها بعد .

هو

من الحياة

إننا نعيش مـرةً واحدة ..

قليلون هم الذين يدركـون المعنى الحقيقي للحياة . فالحياة رحلة يمضيها الانسان على الأرض ، وهو وحده الذي يستطيع أن يجعل منها رحلة ممتعة . وهو وحده أيضا الذي يمكن أن يحولها الى جحيم تستعر فيه نيران الشقاء .

ولكن كيف نفسر هذا الكلام الذي قاله تولستوي كاتب روسيا الكبير ؟ انه يكمل المعنى الذي ذهب اليه عندما يقول « ان الحياة لا تكتمل الا في الزواج .. فالرجل وحده لا يمكن أن يصنع اسرة ، وكذلك المرأة » ..

واذن فالعبء على الزوجين ، ففي أيديهما وحدهما حلاوة الحياة ومرها .. وقد كان تولستوي تعسا في زواجه .. كان قلبه الكبير يمتلىء بحب الحياة والناس ، وكانت هي ناقمة على الحياة بكل ما حملته لها من صور جميلة .. لعل أجملها اطلاقا انها كانت زوجة لهذا الكاتب والمفكر والمصلح الكبير .. وعلى الرغم من هذا فقد مضى في رحلته معها حتى آخر ايام عمره .

ونعود الى حديثنا ، ترى كيف ننعم برحلة حياتنا على الأرض . كيف نتمتع بكل لحظة تمر من عمرنا الذي نعيشه مرة واحدة ؟ هذه قصة زوج ، لم يكن تعسا ولم يكن سعيدا ، كان يمضي في حياته كاي زوج دون أن يتوقف مرة واحدة ، ويتأمل تلك الاسرة الصغيرة التي يعيش لها ويعمل من أجلها ربما لأنه كان مشغولا عنها بعمله ، أو ربما لأنه كان يعلم انه كل شيء في حياة زوجته وابنائه ، وان حبهم له وتعلقهم به لم يكن ابدا محل تساؤل . فهو ليس زوجا سيئا ولا أبا جحودا .. ولكنه فقط لم يحاول مرة واحدة أن يشعر هؤلاء الذين ارتبط مصيرهم به ، أنهم جزء منه ، وأنه يحبهم كما يحبونه تماما وربما أكثر .

***

وتمر السنون .. عشر سنوات أو أكثر أو أقل في حياة الاسرة الصغيرة التي كانت تسير في هدوء لا يعصف به شيء .. الى أن كان اليوم الذي عصفت فيه السماء واكفهرت،وكان الزوج خارج البيت .. لم يكن قد عاد من عمله بعد .. واستبد القلق بالزوجة المسكينة وهي ترى كل شيء من حولها يتطاير ويسقط وتذروه رياح العاصفة .. ولكنه عاد .. كتبت له النجاة بمعجزة ..

ومضى اليوم وهدأت العاصفة .. واقتربت منه والقت برأسها الصغير على كتفه وبكت . ومد يده ليحتضن أناملها الصغيرة ، ويتجهان الى الله بالشكر والدعاء .. فقد كان عدد ضحايا العاصفة يفوق كل تقدير ..

وجاء صباح اليوم التالي ، وقامت من نومها مبكرة لتعيد كل شيء الى مكانه،وتتخلص من آثار الدمار الذي أحدثته العاصفة بالبيت الصغير الذي يجمعهم ، ولكنها كانت تتمنى لو أنه عدل عن الذهاب الى عمله حتى ينتهي العمل من اصلاح الطرق التي تهدمت وامتلأت بالاشجار وأعمدة الكهرباء



والسيارات المحطمة

ولكنه صحا من نومه فجأة ، وقال وهو يرتدي ملابسه « لابد ان اذهب الى عملي ياعزيزتي »

وأسرعت الزوجة تعد لزوجها طعام الافطار ، وجلس هو الى المائدة يأكل وانقضت بضع لحظات سادها الصمت ، لكنه ما لبث أن أحس بشعور غريب يحتويه شعور الرجل الذي عاد من موعد مع الموت

وقرأت ما كان يدور في رأسه في تلك اللحظة فراحت تطمئنه ، رغم انها كانت في حاجة الى من يزيل عن صدرها هذا الكابوس المخيف ولكنه ذاهب ولا سبيل لمنعه من الخروج

وفجأة وجد نفسه يتجه اليها بعينيه ويتأمل هذا الوجه الذي رافقه طوال تلك السنين ، وبدا وكأنه يرى صاحبته لأول مرة ، وانطلق يتحدث في هدوء كانت كلماته تقطر حبا وحنانا قال « لا أعرف ماذا حدث لي اليوم ، ولكني اريد أن اقول لك إني سعيد بك ، سعيد بيتي وأطفالنا إني احبك ياعزيزتي ، ولو عادت عقارب الزمن الى الوراء ، الى اليوم الذي اخترتك فيه زوجة لي لما فعلت غير ما فعلت اني لا أستطيع أن اتصور أن هناك من هو أسعد مني في هذا العالم الواسع »

***

كان غريبا أن تسمع الزوجة الى هذا الحديث الرقيق الحلو من الرجل الذي عاشت معه طوال هذه الأعوام ، دون أن يفكر مرة واحدة في أن يعبر لها عن مشاعره التي ظل يختزنها الى أن انطلقت من شفتيه تماما كما تنزل قطرات المطر فوق الأرض المتعطشة للماء والحياة

وانقضت بضع دقائق والزوجة تتأمل وجه الرجل

الذي أحبته وأسعدته ، وسرحت ببصرها في عينيه ، فوجدتهما تلمعان ببريق عجيب وكأنهما تحدثانها وتؤكدان لها أنه صادق في كل كلمة قالها . .

ولكنها ما لبثت أن احست بالحيرة تحتويها . . لماذا الآن . . ؟

وحاولت أن تبحث عن اجابة لهذا السؤال الذي كان يلح عليها بينها وبين نفسها ، ولما لم تجد تفسيرا يريحها اقتربت منه في هدوء ووضعت يديها فوق كتفيه ولثمت شعر رأسه بقبلة رقيقة ، وقبل أن تبتعد عنه شعرت بالدموع تغرق عينيها الجميلتين .

وفي غرفتها التي أغلقت بابها وراءها حتى تخفي عنه ما كان يعتمل في صدرها في تلك اللحظة ، ارتمت على فراشها وراحت تبكي ، فقد خطر لها خاطر ، حاولت جاهدة أن تطرده من ذهنها : « ترى هل هو حديث الوداع ؟ هل أحس زوجها ووالد أطفالها بأنه لن يعود اليهم ثانية ؟ » .

ووقف يودع زوجته وابناءه ، كما يفعل كل صباح ، قبل الذهاب الى عمله . . فقد كان وداع اليوم أكثر حرارة . . وغادر البيت دون أن ينظر وراءه وهو ينتزع ابتسامة من بين شفتيه انتزاعا . . وقال : « أعدكم بأن اعود اليكم سالما . . لقد هدأت العاصفة كما ترون » . .

وذهب الزوج . . ولكنه لم يعد . . فقد هبت العاصفة من جديد ، وكانت قوية عاتية . . وسقط الزوج والأب بين من سقطوا . .

وعاشت الزوجة مع الذكرى التي تركها لها . . مع أطفاله الصغار . . وصورته في صدرها ورأسها لم تغادرهما أبدا . . عاشت وفية له بعد ذهابه وهي تمضي وحدها في رحلة الحياة ، وكأنه مازال يعيش معها كل لحظة من عمرها . .

***

الذي يعنينا من قصة هذا الرجل هو هذا الاحساس المفاجيء بحلاوة الحياة عندما انتابه ذلك الشعور بأن رحلته على الأرض قد اقتربت من نهايتها .

لماذا نخفي مشاعرنا عن هؤلاء الذين نحبهم ؟ ماهو المعنى الكبير للحياة ، ذلك الذي غاب عن ذهن هذا الزوج ؟ إنه عمرنا على هذه الارض ، انه الدقائق والساعات والايام والسنون التي نقضيها قبل رحيلنا عن هذه الدنيا . . لماذا نعيشها في صمت ، لماذا نتركها للامواج والرياح تعبث بها ، لماذا لا نشعر أننا أحياء ، وأن ندع الذين نحبهم يحسون بدورهم بقيمة الحياة وجمالها ؟

قلة هم هؤلاء الذين يفعلون ، وأقل منهم هؤلاء الذين يعرفون المعنى الحقيقي لحياة الانسان القصيرة على الارض . ولقد كان الزوج - بطل هذه القصة - أبا لاسرة سعيدة ، ولكنه لم يشعر بهذه السعادة ويحس بها الا عندما اقترب أجله . . لقد كان في وسعه أن يقول ما قاله لزوجته قبل لحظة وداعه لها منذ سنوات وسنوات . . كان في مقدوره أن يعيد على مسامعها تلك الكلمات الحلوة التي رأت معناها في عينيه ، كلما كانت هناك مناسبة لأن يقولها لها . . ولكنه لم يفعل الا عندما لم يعد في العمر بقية . . لقد كان يشعر بالسعادة التي يعيشها ، ولكنها لسبب أو لآخر ، قد لا يعرفه هو نفسه ، شاء أن يحبس مشاعره ، حتى اذا ما أحس بأجله يقترب وجدها تنطلق من سجنها دون أن يدري . .

ولعلنا نجد في قصة الرجل الذي اكتشف معنى الحياة بعد أن أوشكت الشمس على الغروب بعيدا عن حياته التي نسيها في الزحام . . . لعلنا نجد في قصته سر السعادة التي اكتشفها فجأة في وحدته وهو يقترب من الشيخوخة .

كان قد جاوز عامه الخمسين . . وكان يعيش وحده بلا صديق ، ولا رفيق . . كلهم انفضوا عنه بعد أن امتلأت جيوبه بالمال وهجرته زوجته عندما نسيها ، ونسي أبناءه الذين كانوا يملأون حياته قبل أن تهبط عليه هذه الثروة المفاجئة منذ أكثر من خمسة عشر عاما أو يزيد .

ومضت الأيام . . ومضى معها في وحدته . . في البداية كان كل شيء آخر غير المال يبدو أمامه بلا معنى . . فقد كان يعيش في ترف ، ولا يعوزه شيء . . أي شيء ، فقد كان الثمن دائما في جيبه مهما كان كبيرا . . لقد سخر ماله في اسعاد نفسه بالطريقة التي تروق له ، ولم يعد يشعر بالفراغ . .



فقد كان يملك كل شيء . . البيت الجميل والسيارة الفاخرة والخدم الذين يسهرون على راحته . . كل شيء كان محروما منه في شبابه وأيام كفاحه مع المرأة التي شاركته حياته في فقره وحرمانه ، أصبح اليوم بين يديه ورهن اشارته .

***

وفجأة ، صحا من غفلته ، على الحقيقة التي يعيشها . . ما معنى هذه الحياة ؟ ما قيمتها وهو ينعم بهذا كله وحده بعيدا عن هؤلاء الذين أحبهم وأحبوه في يوم كانت الشمس لا تغيب فيه عن حياته لحظة واحدة ، في ذلك الربيع القصير الذي وضع هو نهايته بيده .

وخرج الى الشارع يضرب فيه كما لو كان يبحث عن شيء افتقده . . كان يحدث نفسه كما لو كان قد اصيب بمس من جنون : « أولادي اين هم الآن . . زوجتي التي أهملتها ونسيتها وانا منهمك في رصد حساباتي في البنوك . . ترى ماذا صنع الزمان بها . . هل يمكن أن استمر في الحياة في هذه الوحدة الموحشة بعد ان اضعت أثمن وأجمل ما كنت امتلك ؟ » .

ولم تطل رحلته في الشارع . . لقد كانت اول مرة يخرج فيها ماشيا على قدميه ، تاركا سيارته الفارهة في مكانها امام البيت الذي قضى فيه كل هذه الأعوام يبحث داخل نفسه عن الهدف الذي يعيش من أجله .

ففي منتصف الطريق التقى بأحد اصدقائه القدامى ، وكان واحدا من هؤلاء الذين عرفوه ايام كان زوجا وأبا مازال يبحث عن الطريق الذي سوف يسير فيه لكي يحقق الثروة والجاه . . هدفه الأول من الحياة منذ أن بدأ بريق الذهب يخطف بصره ويعمي بصيرته .

وسارع يسأل صديقه في لهفة . . هل تعرف عنوانهم . . هل تعرف أين يعيشون؟ وماذا صنعت الأيام بهم ؟

ـ نعم اعرف . . وأنا أزورهم . . لقد كبر ابناؤك وتخرجوا في الجامعة . . كم هي فخورة بهم هذه الام المسكينة التي كافحت من أجل تنشئتهم وتربيتهم . . ولكن ماذا تريد منهم اليوم ؟

ـ اريد أن اراهم . . اريد ان أضمهم الى صدري واركع عند أقدامهم طالبا الصفح والغفران . اليوم فقط اكتشفت أن مال الدنيا كلها لا يساوي لحظة واحدة أقف فيها أمام ابني ارقبه وهو يكبر وينمو ويدرك معنى الحياة . .

***

وذهب . . وطرق باب البيت الذي ضم تلك الاسرة الصغيرة طوال هذه الاعوام . . وفتحت الزوجة والأم الباب ورأته يقف امامها في توسل . . وعرفته على الفور . . وكانت أول مرة يزورها فيها ذليلا مطأطأ الرأس ، لا يقوى على النظر اليها . . لقد وقف يتحدث في خشوع وكأنه يخاطب نفسه : « اولادي . . هل أستطيع أن ارى ابنائي . . ارجوك . . . انا لا أطلب شيئا ، فقط اريد ان املأ عيني بوجوههم الحلوة . . اريد أن اقترب منهم ولو مرة واحدة بعد كل هذه السنين الطويلة التي انقضت على فراقي لهم . . اتوسل اليك » .

ونادتهم ووقف الابناء الثلاثة يتطلعون الى صاحب هذا الوجه الغريب . . ولما رأت الأم الحيرة التي ارتسمت على وجوههم ، قالت وهي تستعد للدخول :

« انه والدكم . . نعم انه الاب الذي ترككم وذهب منذ خمسة عشر عاما » . .

وألقى بجسده البدين المترهل نحوهم باسطا ذراعيه . . ولكن أحدا منهم لم يكن هناك ليمسك بيده . . لقد اغلقوا الباب ، وعادوا يلتفون حول الأم التي كانت تجلس في تلك اللحظة أمام صورة صغيرة مع ابنائها الثلاثة منذ خمسة عشر عاما عندما غاب الاب عن اسرته . كانت رحلتها معهم ، رحلة كفاح طويل . . ولكنها كانت أجمل وأمتع رحلة في الحياة . ☐

طبيب الأسرة

داءُ الكَلَب بينَ الإنسانِ والحيوان

بقلم: الدكتور فؤاد فاضل الشيخلي

يصيبنا الذعر عندما يقترب أطفالنا من الكلاب وفي ذاكرتنا عديد من الوقائع عن أطفال تعرضوا لمضاعفات خطيرة، لأن الأمهات والآباء أساءوا فهم عضة الكلب.

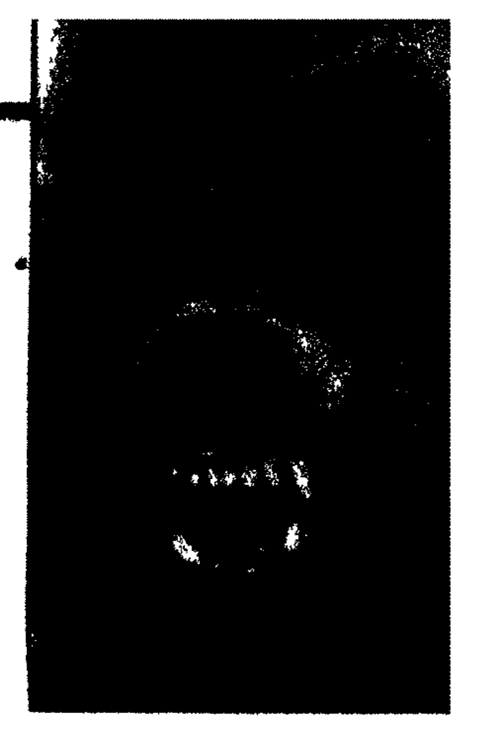
فما هو هذا الداء، وما هي مضاعفاته؟

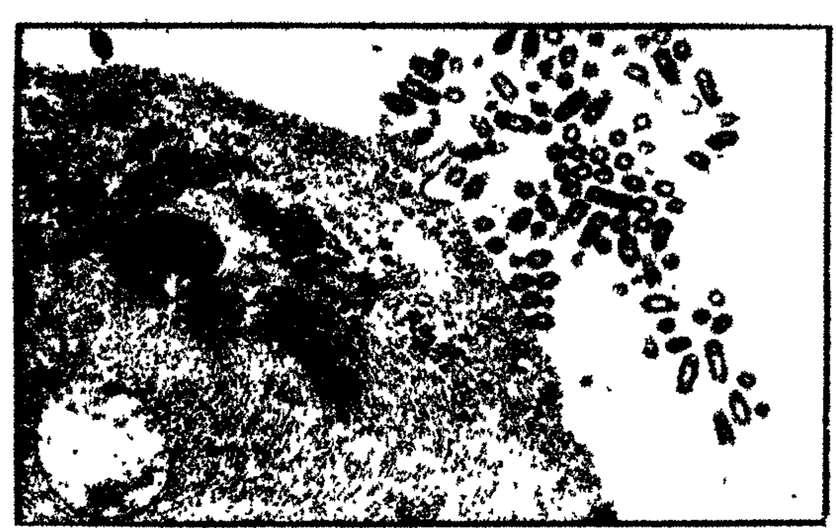
داء الكلب RABIES واحد من الأمراض الفايروسية المعدية، والمشتركة بين الإنسان والحيوان. وقد عرف المرض منذ الأزمنة القديمة، ولكن لم تتم معرفة المسبب الحقيقي له، ولا مدى تأثيره على الجهاز العصبي المركزي إلا ما بين عامي ١٨٥٢ - ١٨٩١ من قبل العالم السوفيتي ن. ب. فاسيليف (N.P. Vasilyev) وبالتحديد عام ١٨٧٦ حين وصف المرض من خلال أثره الباثولوجي على أنسجة الجهاز العصبي المركزي. أما في فرنسا فقد أوضح العالم الفرنسي لويس باستور عام ١٨٨١ - ١٨٨٨، ومن خلال دراسة تجاربه القيمة، أن الفايروس (الراشح) المسبب للمرض يتمركز في أنسجة الجهاز العصبي.

ومع التقدم العلمي التكنولوجي الحديث تمكن العلماء والباحثون في مجال علم (الحميات) الفيروسات من دراسة مسبب هذا المرض بصورة دقيقة ومتناهية من خلال استخدامهم للمجهر الالكتروني، فوجدوا أن الفيروس المسبب (الراشح) ينتسب إلى مجموعة الفيروسات المخططة القابلة للترشيح والتي تدعى بالاسم العلمي (Neuro ryctes Vabiei) بطول من (١٠٠ - ١٥٠) ملي مايكرون، ويشكل يشبه رصاصة البندقية، ومؤلف من حامض رايبونووي يحمل معه المعلومات الموروثة ويقع في وسطه، ومحاط بغلاف بروتيني سكري (كلوكوز) لاحق بالبنية التحتية بشكل ضيق مع شوكات على السطح. ومن صفات هذا الفايروس قدرته على التغلغل ضمن خلايا الجهاز العصبي المركزي وطرحه من خلال الغدد اللعابية.

وبائيـــة المرض:

الطريق المعتاد لنقل العدوى في هذا المرض هو (العض) من قبل حيوان (كلب) يطرح معه





فيروسات المرض في لعابه ، ويزرعه في النسيج في لحظة العض . ويمكن لعدوى الانسان أن تحدث عبر الخدوش أو بالتماس دون عض وباللمس لجلد فيه جروح سطحية جلدية أو بالتماس مع الزبد السائل في اشداق الحيوانات الكلبَة . وتظل العدوى عن طريق الهواء شاذةً عند الانسان رغم أنها أكيدةً تجريبياً ، وقد انتشرت حالات هذا الداء بعد الاقامة في مغارات فيها خفافيش كَلِبَةً .

يبدأ طرح الراشح (الفيروس) في لعاب الحيوان بعد بضعة أيام وقبل ظهور العلامات الأولى للداء ، ويستمر طوال مدة المرض ، وقد أشارت الاحصائيات الى أن في ٨٠٪ من الحالات تبدأ الأعراض من بضع ساعات الى ثلاثة أيام ، و ٤ ـ ٥ أيام بنسبة ١٥٪ من الحالات ، وقد تصل الى ثمانية أيام بنسبة ٥٪ من الحالات ، وهكذا فان الحيوان الذي يعض شخصاً ما دون أن تظهر عنده في تلك اللحظة أي علامة للداء يمكن بكل بساطة أن سبق وطرح فيروس الكلب ومن أجل هذا فقد أدرج في قانون الصحة العامة والبيئة ضرورة وضع الحيوانات العاضة تحت المراقبة البيطرية ولمدة تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) يوماً وبعد العدوى يدخل الفيروس في الخلايا العضلية الواقعة قرب الجرح مما يزيد عددها بشكل هائل مما يشكل جرعة انتانية .

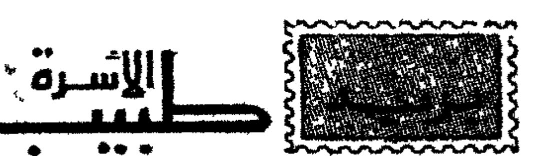
وصف المرض والتشخيص :

تظهر الأعراض بعد مرحلة خرساء لدور الحضانة وذات اختلاف زمني يتراوح من اسبوع الى عدة أشهر ، وقد يتعدى الى عام أو أكثر،ولكن المعدل العام يمكننا الاشارة اليه بفترة بين شهر وشهرين حيث ظهور المرحلة (البادية) والتي تدوم من ٢ ـ ٧ ايام متصفة بظهور علامات غير نوعية مع حمى ووهن وصداع وتغيرات في السلوك تبدو بشكل ازدياد عاطفي غير معتاد ، وعكسه وهو اللامبالاة مع أعراض حزن وهجمات بكاء مع الآم وتشويش في الحس ملفت للنظر (هنا مستوى مكان عبور الراشح وتمتد الى كل المناطق) بعدها تبدأ المرحلة الحادة التشنجية والمتصفة بتشنجات فجائية متواترة مؤلمة وتنطلق لتصيب مجمل الجهاز العضلي ولكنها تفضل التمركز في منطقة الحنجرة والبلعوم إضافة لهذه الأعراض توجد رجفات خاصة في الوجه مع فرط سيلان اللعاب ، واضطراب في الجهاز التنفسي وفوضى حرارية .

بعد هذه المرحلة الحادة تأتي المرحلة الهياجية في أشكالها الخانقة ، وقد تحدث الوفاة بعد مرور ٣ ـ ٤ أيام خلال مرحلة التشنج الحنجرى أو الحصار

التنفسي أو توقف القلب . هنالك أمراض شبيهة بأعراض داء الكلب تشكل نسبة ٢١٪ من الحالات ، والتشخيص هنا صعب لتشابهه مع شلل الأطفال أو التهاب النخاع المستعرض أو مرض متلازمة غيلين - بار . وللتشخيص المبكر لهذه الحالات يجب إجراء الفحوصات الطبية المختبرية للسائل الشوكي (C.S.F) مع اجراء تخطيط للدماغ (E.E.G) مع الكشف الأولي لراشح داء الكلب من خلال اللعاب أو الجلد ، وتعتمد النسبة على ظهور الأعراض . في الختام نقول إن الشخص المشتبه باصابته يحتاج لتعقيم منطقة العض بالمطهرات وإعطائه مصل باستور للوقاية منه .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆



الحرقوص

● هل هناك مرض أسمه الحرقوص ؟ أرجو افادتكم عن ماهية هذا المرض وأعراضه وعلاجه ولكم الشكر . .

ي . ف . أ
عمان

- هو مرض الديدان الخيطية أو الاكزوريوس ، كما قد تعرف باسم الديدان الدبوسية ، نسبة الى شكلها المغزلي الرفيع القصير ، وكأنه الدبوس ، هذا بالنسبة الى اسمها العامي ، وهي ديدان المقعدة نسبة الى انه يشاهدها العامة في منطقة المقعدة ، حول فتحة الشرج وعلى الفخذين .

ان الحرقوص أو الإكزوريوس تعتبر أوسع الطفيليات المعوية انتشارا ، ولكنها أقلها ضررا ، وهي تستوطن المصران الأعور وما جاوره من أمعاء ، كالقولون والزائدة الدودية والأمعاء الدقيقة ، منها الذكر ومنها الأنثى التي تبلغ حوالي ١٠ - ١٢ مليمترا طولا ، والخيط الرفيع سمكا ، ذات لون أبيض تحمل في جوفها ما يقارب العشرة آلاف بويضة صغيرة ، والذكر الذي قلما يشاهد يبلغ طوله نصف طول الانثى وهو قابع داخل الأمعاء .

ومن عادة أنثى الحرقوص أن تتحرك وتتجول حتى تصل الى فتحة الشرج ، حيث تضع بويضاتها الناضجة المغلفة بمادة لزجة حمضية تساعدها على الالتصاق بمقعدة المصاب ، وهذا عادة ما يكون أثناء نومه وسكونه ليلا ، مما يسبب له شعور الحكة والأكلان ، فيهرش مقعدته بأصابعه حيث تلتصق البويضات بها ، فاذا ما مص أصابعه أو أكل بها عادت اليه العدوى مضاعفة

وكثيرا ما تتطاير البويضات في الهواء ، ويستنشقها من حوله ، أو تتبعثر على أغطية السرير ، أو ألبسه المصاب الداخلية ، ومن هنا جاءت سهولة العدوى ، واكتمال دورتها في حلقة مفرغة ، من المريض لمن حوله من أفراد الأسرة ، أو على الأغلب من المريض لنفسه ذاتيا ، وعليه يعتبر المرض عائليا لا فرديا ، ويتوجب العلاج والوقاية لجميع أفراد الأسرة .

ولما كانت الديدان لا تعيش طويلا بأكثر من شهور معدودة ، فكسر حلقة العدوى باعتماد النظافة هو الأفضل ، من حيث قص الأظافر دوما ، وغسل الأيدي عقب الغائط وقبل الطعام ، بالاضافة الى غسل الملبوسات والمفروشات وغليها يوميا .

كما أن هنالك عقاقير فعالة يصفها الطبيب قد تؤخذ دفعة واحدة ، أو أنواع أخرى تؤخذ على مدى أسبوع ، غير أن النظافة المطلقة لكافة أفراد الأسرة وبيئتها هي الحل المعتمد . .

مساحة ود

السقــوط

كنا صحبة نعمل في مؤسسة صحفية واحدة ، كان هو أكثرنا حركة وأوسعنا علاقات ، وكانت صفحته التي يشرف عليها تمتلىء بالأخبار الشخصية . . وزوايا الرأي التي يتطوع بكتابتها ويضع اسماء بعض المسئولين عليها

وعندما كنا نجلس معه ونناقشه وننتقد ما يفعل ، كان يسوق مبررات واعذارا كثيرة ، لكن على الرغم من ذلك فاننا كنا نحس أن في نفسه طيبة وشهامة ، ولكن أزمته كانت في المال . . عندما كنا نجلس في لحظة صفاء وشرثر عن أحلامنا كانت احلامه أحلام من يملك الملايين - بيت في اوربا واملاك هنا وهناك ، وسيارة بمواصفات كيت وكيت . . . الخ . وكثيرا ما كنا نضحك لتعليقاته على أحلامنا . كان يقول إننا فقراء حتى في الحلم . .

وفوجئنا به يوما يستقيل من العمل دون مقدمات ، ودون استشارة احد ، وعندما اتصلنا به نسأله لماذا فعل ؟ وماذا سيفعل ؟ أعطانا موعدا مسائيا لكنه لم يحضر . بعد اسبوعين على اختفائه ، فوجئنا بتعيينه مديرا لتحرير احدى الصحف . . وبدأ الانهيار الحقيقي بعدها ، ذهبنا لتهنئته ، فطلبت منا مديرة مكتبه الانتظار طويلا . ثم بدأنا نسمع كيف يعامل زملاءه المحررين كسعاة . . وكيف عين أقاربه وكيف يسافر ويجيء . . ويمسك في يديه كل أعمال الادارة بالاضافة الى التحرير . من فترة قريبة سمعت باقي التفاصيل . . التي انقطعت عني زمنا . . بدأ مسؤول الجريدة يعيد ترتيب أوراقه ، فوجد أنه طرف في معارك مع أطراف كثيرة والسبب صاحبنا ، أما في المجال المالي للجريدة فانه فوجيء بفضائح كثيرة ارتكبها صاحبنا ومدير الحسابات الذي يمت له بصلة قرابة . . فأبعد مدير الحسابات عن العمل .

أما صاحبنا فقد سافر واختفي وعندما اتصل به أحد الاصدقاء القدامى ليسأل عنه وان كان يريد اية مساعدة ، أجاب بضحكة طويلة وقال : إنه سيسافر بعد ساعات ليقضي اجازة قصيرة في بيته في اوروبا ثم يعود مستعدا للمعارك ، عندها تذكرنا حلمه الذي كان ، والثمن الفادح الذي دفعه لتحقيقه . .

العرب . . . والمطبخ

طعام المناسـبات

□□ من يقرأ كتاب ابن سيده يدرك أن العرب كانت تشتهر بأكلات غير الثريد الذي تتحدث عنه كل قصص وحكايات العرب القديمة . ويقدم في كتابه المخصص قائمة بأسماء بعض الأطعمة التي تؤكل في مناسبة بعينها سواء كانت مناسبة فرح أو حزن . وستلاحظ عزيزي القارىء أن وقع اسم الطعام وجرسه لا يتناسب بالضرورة مع المناسبة التي يقدم فيها ، فعند الزواج مثلا يقدمون طعام (النقيعة) و (الشندخي) ، وفي ليلة الدخول بالزوجة يقدمون (العرس) ، وعند الولادة يقدمون (الخرس) . أما عند ختان الطفل فيقدمون طعام (الاعذار) الذي يسمى كذلك العذار والعذير والعذيرة . ويقدم طعام (الأعذار) أيضا عندما يربح الرجل شيئا ما . .

وعندما يقوم الرجل ببناء بيت جديد فانه يقدم طعام (الوكره) أو (الوكيره) ، أما في المآتم فيقدم طعام (النقع) و (الوضيمة) ، وعند قدومه من سفر فانهم يقدمون له طعام (النقيعة) .

****

كلمـــات

وراء كل عظيم امرأة . . مندهشة . .

حكمـــة

الدليل على أن كل النساء متشابهات هو أن كلا منهن تعتقد أنها مختلفة .

قول على قول

قديما قال فولتير : قد اختلف معك ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمي مقابل حقك في الدفاع عن نفسك .

وحديثا ، قال ديكتاتور : قد تختلف معي ، لكنني على استعداد لأن أسفك دمك مقابل حقك في هذا الاختلاف .

□□

عالم ما بعد

الحياة الدنيا

يقول الشاعر الانجليزى ت . س اليوت : ان دانتى لم يكن أول من تناول في كتابه « الكوميديا الآلهية » عالم ما بعد الحياة الدنيا ، فالمصريون القدماء عرفوا فى تراثهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من عذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيها من نعيم وسعادة ، فعندهم اوزوريس راعى ميزان العدالة فى الدار الخالدة .

وفى ديانة بابل تهبط عشتروت الى الجحيم لتبعث تاموز الى الحياة ، وعند اليهودية أرض الظلام والعذاب تحت الأرض . وفى ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس ، وفي الالياذة اليونانية عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم ، وفى المسيحية رؤى القديسين عن العالم الآخر . وفى الاسلام مشاهد محتشدة تصور العذاب والنعيم وشجرة الزقوم وآرائك النعيم وجنات عدن .

□□

يكره يوم الجمعة

قيل أن عبد ربه اليشكرى كان عاملا لعلي ابن موسى على المدائن فصعد المنبر يوما فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ارتج عليه فسكت ثم قال : والله انى لأكون فى بيتى فتجىء على لسانى ألف كلمة ، فاذا قمت على أعواد منابركم هذه جاء الشيطان فمحاها كلها من صدرى ، ولقد كنت وما فى الأيام يوم أحب الى من يوم الجمعة ، فصرت وما فى الأيام يوم أبغض الى من يوم الجمعة ، وما ذاك الا لخطبتكم هذه .

طرفة يهودية

* يقال ان الزعيم النازي ادولف ايخمان الذي كان يحرق السجناء في افران الغاز في المعتقلات النازية لم يعدم في اسرائيل كما يشاع . لكنه مات بالصدمة عندما وصلته فاتورة استهلاك الغاز .

□□

طرفة عربية

* كان أحد الاشخاص يسير في أحد أزقة مدينة بلفاست في ايرلندا الشمالية حيث الصراع المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت . فجأة خرج عليه أحدهم يشهر بوجهه مسدسا ، وسأله :

- اجب بسرعة ، هل انت كاثوليكي أم بروتستانتي .

- لا هذا ولا ذاك ، انني يهودي ياسيدي .

- لا شك ، اذن انني عربي محظوظ .

□□

تعريفات مختزلة

الزوجة : هي المرأة التي تقف الى جانبك خلال جميع الظروف الصعبة التي لم تكن لتمر بها لو لم تتزوج .

الزواج : هو انتصار الأمل على الخبرة . .

النفقة : نظام يدفع بموجبه شخص واحد ثمن خطأ ارتكبه اثنان .

المعتدل : هو ذلك الشخص الذي يصنع الاعداء يمينا ويسارا . .

حسن الاستماع

قال الامام الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابنه : يا بني اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حديثا وان طال حتى يمسك .

بيننا..

بيننا فنجان قهوة
بيننا تفاحة الجرح .. وهذي الكبرياءْ
بيننا البستان اذ يَطرقُ ..
اذ يأتي الى العينين والقلبِ .. مساءٌ من تعب
بيننا الاغماء ... ليل الصيف ..
سوق الخوف .. أن يغدو كلانا
رجفةً من ذهبٍ رخصٍ ..
وأمطاراً ضريرةْ
غربة اخرى .. على نافذة في الغرب
أو في الشرق .. وجهاً للمساء .
قلت ما عندك .. مرَّت بيننا شمس صغيرةً
أبحرت في كوب ماء ..
فالتقى الوجهان .. قبل الظلمة الأولى . الأخيرة
جاءنا النادل .. ماذا تطلبينْ
قبل أن نفترق الليلة بالسيف ..
.. فلا ندري متى يسقط هذا البرقُ .. أينا
قبلَ ان نفترق ـ الليلة ـ بالسيف ..
فتمضي بين كفيك يدي ..
أو في يَديْنا
بعض شيء .. كان شيئا ..
نصفُ شيء .. كان شيئا
نصف هذا الكأس .. يبقى في يدي ..
من قبل أن ينهار نصف الماءِ
في منتصف اللحظة ..
من عمر انسلالِ السيفِ ..
من عمر السُّراب .. الشمرةِ البرقِ ..
الشفاهِ الباكرة
اطلبي شيئا ليمضي النادل الواقف .. هنّا
اطلبي فنجانَ قهوة



• شاعر فلسطيني مقيم في الجمهورية العربية السورية . صدرت له الدواوين التالية : في [illegible] ، أعناق الجياد النافرة ، من [illegible]

فنجان قهوة

شعر :
فواز عيد*

مرة   لو تذكرين
قبلةٌ منك مصت   قد كانَ فيها ،
طعم شيء   كان محموسا على النار
مريرا كان   حلوا
كان عُمْراً كاملاً   قد مر في تهويم عمره
فاطلبي فنجان قهوة
حسنا   نحن اختلفنا

***

بيننا مساحة الحب   اقسميها
بيننا الاطراقةُ المرتبكةْ
بيننا الأسمار   دفء الليل
حتى أن تفيقي
كلما أوغل في الليل القطار
بيننا تلك المساحات   التي ترتدُّ عنّا
مذ دخلنا الباب عصراً   لنصمي التركه
بيننا النوم   وأحلامُ الظّهيره
اقسمي العتمة نصفين
اقسمي ضوء النّهار

***

حسنا   نحن اختلفنا
منذ أن غادرت هذا الجسم   هذا الفيء
هذا الاتكاء
منذ أن غادرت هذا الليل
حتى عشبك المسجى بباب الصيف
باب القلب
اذ تمضي به ريحٌ ونارْ
منذ أن غادرت هذا الجسدَ الرعبة

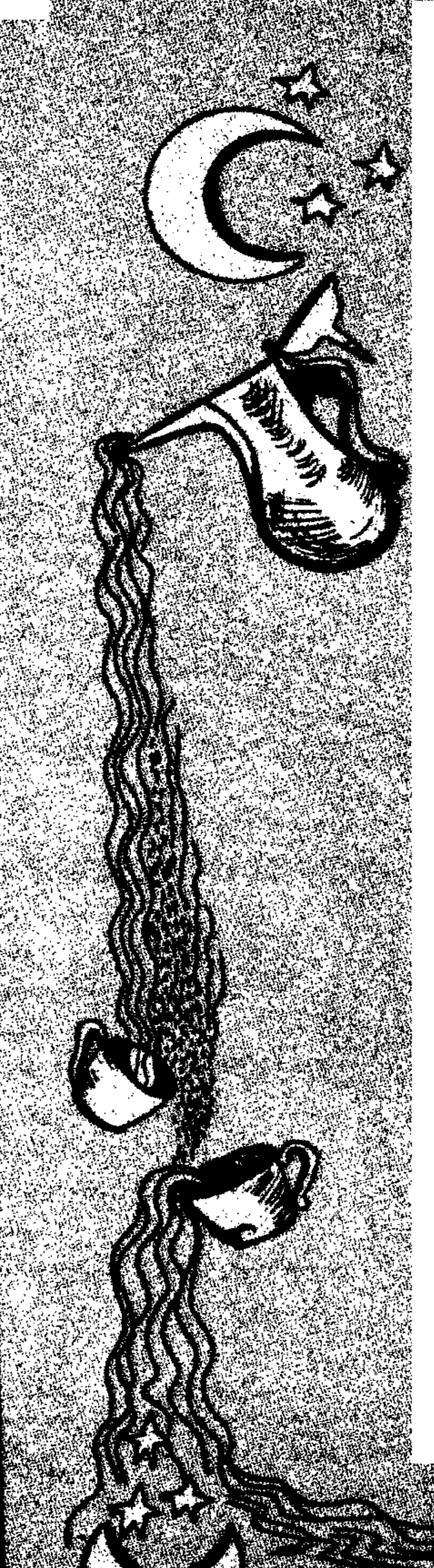
صرنا هَهناكْ
جانحيْ طيرٍ يسمى كلُّ ميلادٍ جديدْ
جانحيْ طيرٍ يحومْ
فوق ماكنّا بنيناه معاً
فوق أحلامٍ   حكاياتٍ   ودارْ
نحن ماعدنا سوى اثنينِ عطوفين
باسرارٍ مشاعْ
تعرفين الداء في قلبي   فترفين قميصي
وتردّين الى العينين   والقلب نهاري
وأنا أعرفُ عينيك   وداري
انما   نحن اختلفنا

***

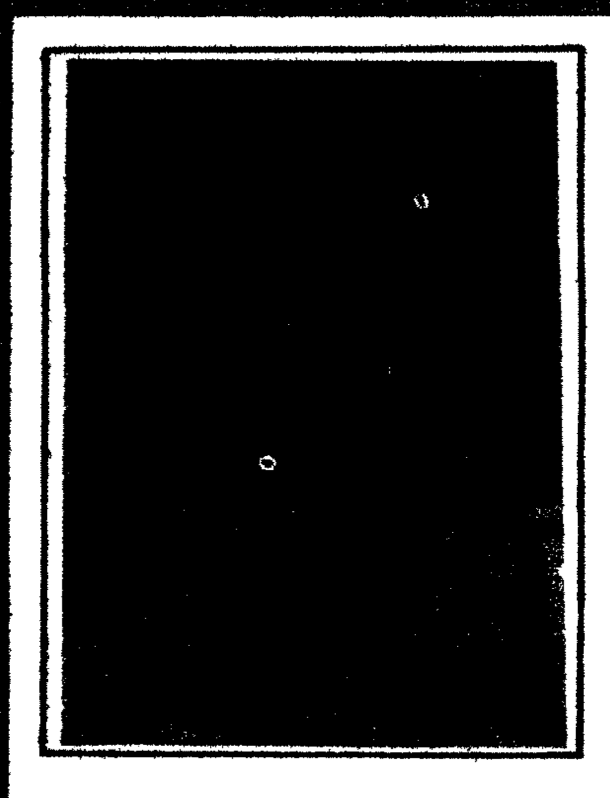
انت   يا آخر ما يبقى عصيّا   من ثمار الشوك
ما يبقى من الوردة
من زيتٍ يفوحْ
انت يا آخرَ من يجلو عن القلب .
الى كفٍ ضنينةْ
حاصرتها آخر الحرب   وأدمتها الجروحْ
انت   يا منْ كان قلبي
حين يشتاقُ الى النومِ
تمدين له كفّيك بالسِّر فيغفو
موصداً يغفو
فان آذنتهِ بالبوح   عن أسراري الصغرى .
يبوح

(فنفيقُ - الفجرَ - في عينيكِ خوفٌ
في قميصي - من نجوم الليل   رفٌ
بيننا فنجان قهوة)

فجأة أدرك .. أنَّ السرَّ شاعْ ..
في ارتباك اليد .. تذرو السكرُ الشلالَ
في الفنجان ...
تحصى كلُّ ذرّة
في اختياراتِ الرُّدودِ المقفلة
في انعطافِ الريفِ .. من عينين تصطافانِ ..
في بريّةِ اليومِ المطيرُ
بيننا الشارعُ خالٍ .. والطقوسُ الصامتة
بيننا البرد .. وأمطار كثيفة
بيننا اليوم الذي قد كانَ ..
يمضي وحده الآن الى الموعدِ ..
في أولِ مرة ..
يذعن الآن .. فينقادُ الى اليوم الأخير ..
نحن ـ يا سيدةَ الحزن الذي في القهوة المرّة ..
قد نختلف الآن ..
وقد نفترق الآن .. بحد السيفِ
لكنَّ الذي كنا صنعناه معا .. ما عادَ منّا
هذه الشمسُ التي كانت لنا .. صارت هناكْ
تِلْكمُ الآمالُ .. والوقفةُ بالبابِ ..
وأحلام الظهيره
لم تعد منّا .. وإن نحنُ اختلفنا
ما الذي يبقى اذن ..؟
كي ننهض الآن غريبينِ ..
ليروي الناسُ عنّا
ـ اننا ـ والسيف يهوي بيننا ـ آخرَ مرّه
اقتسمنا كلَّ شيء ..
ما عدا الآمال .. والوقفة بالبابِ ..
وأحلام الظهيره
وانحناءات المساء ..
ماعدا .. الأطفال ..
اذ يمضونَ للحرب معاً .
ما عدا .. انّا معاً ..
دون أرض أو وطـــنْ ...



كتاب الشهر





بريخت سيرة حياة

تأليف : رونالد هيمان

عرض وتحليل : حسن محمود عباس

لم يستطع الا نفر قليل من كتاب المسرح العالمي المعاصر أن يثيروا من الاهتمام والجدل حولهم كما استطاع الكاتب والمنظر المسرحي والشاعر الألماني بيرتولت بريخت . وعلى الرغم من مرور أكثر من ربع قرن على وفاته ، الا أن دور النشر ما زالت تتلقى وتنشر عنه الكثير . . .

كتاب الشهر

هذه الدراسة التي نحن بصددها هي واحدة من الدراسات الحديثة ، أو ربما كانت أحدث دراسة صدرت عن بريخت ، وفيها يكرس المؤلف كتابه لتتبع سيرة بريخت دون التعرض لأعماله المسرحية بالنقد والتحليل الا حيثما دعت الضرورة . لكن الكتاب يظل ـ على الرغم من هذا النقص ـ مرجعاً مهماً يزود الدارس بمادة وافرة من المعلومات التي قد تعينه في فهم ما يمكن أن نسميه لغز « بريخت » .

وقد ظهرت كتب تجمع بين السيرة الذاتية والنقد الأدبي لأعمال بريخت ، منها كتاب مارتن أسلن ، الذي ما زال يحظى ببعض اهتمام ، على الرغم من أنه لا يخلو من افتراء . وهو ـ أي أسلن ـ يدعي بأنه يحاول أن يرى بريخت مؤلفاً مسرحياً عظيماً وشاعراً عظيماً مثل كل العظماء في هذا العصر ، فيرد عليه رونالد جراي قائلاً : بأن أسلن لا يعطينا في أي جزء من كتابه توضيحاً كافياً لهذه العظمة ، ثم نراه يخصص ثلث الكتاب للبحث في أعماله الأدبية ، أما فيما تبقى من الكتاب فنراه مشغولاً بالمسائل المتعلقة بحياة بريخت وبعقيدته السياسية . وهذه الموضوعات ممتعة بحد ذاتها ، لكنها غير مرتبطة بالفكرة الأساسية للكتاب . وبامكان الانسان أن يقرأ الكتاب كله ، دون أن يخرج برأي يساعده على الوصول الى قرار ، فيما اذا كانت أعمال بريخت تستحق حقيقة ما قوبلت به من تقدير .

على هذا النحو يمضي رونالد جراي في نقده لكتاب أسلن ، أنه معني عناية خاصة بموضوع العقل والغريزة في أعمال بريخت ، وهو يرى أن هذه الأعمال تخفق في بلوغ الغاية المرجوة منها ، لكن اخفاقها هذا مصدر من مصادر عظمتها . أما كتاب جراي ذاته فهو لا يتطرق الى الجانب الشخصي أو الذاتي من حياة بريخت ، الا بقدر ما يتصل الأمر باحدى المسرحيات والكتاب يقدم تحليلاً نقدياً وتقويماً لأعمال بريخت ونظرياته في المسرح .

ولعل الناقد ايريك بنتلي من أكثر الدارسين حماساً لاثارة الاهتمام ببريخت خارج ألمانيا وفي الولايات المتحدة بصورة خاصة ، فقد قام بترجمة سبع مسرحيات لبريخت الى اللغة الانجليزية ، وقدم لها بمقدمة إضافية ، ولم يفتر حماسه له في أي من الكتب التي أصدرها عن المسرح الحديث ، بل كان يخصه بفصل واحد أو أكثر في كل منها ، وهي كتاب « الكاتب المسرحي مفكراً » الصادر في عام ١٩٤٦ وكتاب « في البحث عن مسرح » الصادر في عام ١٩٥٣ وكتاب « حياة الدراما » الصادر في عام ١٩٦٤ وغيرها . لقد كان بنتلي معنياً بعروض مسرحيات بريخت على مستويين : مستوى عروض الهواة ، ومستوى عروض المحترفين .

السيرة الذاتية

ومن الكتب المهمة التي تناولت سيرة بريخت الذاتية كتاب كلاوس فولكر : « بريخت ـ سيرة ذاتية » وهو كتاب يزخر بالمعلومات التي كان قد جمعها مؤلفه ودونها في ترابط منطقي متين ، لقد عاصر بريخت وكان على صلة به ، وعلى دراية بالكثير من المواقف والظروف المحيطة ، لكن كتاب فولكر كان منصباً في معظمه على سيرة حياة بريخت ، دون التطرق لأعماله الأدبية ، أو لنظريته في المسرح ، علماً بأن مؤلفه كان مؤهلاً للخوض في كل هذه المسائل ، نظراً لمكانته الفكرية وقربه من بريخت . ان الكتاب لا يكاد يلتفت الا الى واحدة أو اثنتين من مسرحيات بريخت ، ويصرف همه في كل ما تبقى منه الى جوانب من سيرة حياته . والكتاب ـ على الرغم مما تقدم ـ غني بالحقائق والمعلومات ، التي يوردها مؤلفه مما يجعل منه أي من

الكتاب وثيقة تاريخية مهمة ينبغي لكل من تعنيه دراسة بريخت الرجوع اليها ، والانتفاع بما تورد من معلومات . ولقد وصفت بأنها وثيقة تاريخية ، وكنت اعمد الى هذا الوصف عمداً ، لأن الكتاب يكاد يخلو من أي موقف نقدي ، فهو يتحرى الحقائق ويوردها ويترك النقد لخيال القارىء وفكره .

ولعل كتاب فريدريك اوين : « برتولت بريخت . . حياته وفنه وزمانه » هو خير ما ظهر عن بريخت ، الانسان والكاتب المسرحي والمنظر والشاعر . فقد اهتم المؤلف بالبحث عن مادة لم تنشر من قبل عن حياة بريخت ، فاستقاها من أرشيف بريخت الخاص في برلين ، ومن التحدث الى أصدقائه الأحياء ، أو ممن كانت تربطه بهم صلات عمل . وتابع التدريبات التي يقوم بها مسرح « برلنر انسامبل » وهو مسرح بريخت الخاص ، الذي أهدي اليه بعد عودته من الولايات المتحدة الى برلين واستقراره فيها . وتابع العروض لكثير من مسرحيات بريخت على خشبة ذلك المسرح ، وهو واحد من أكثر مسارح العالم رقياً . وقد عكف اوين على كل ما توفر لديه ، ففحص ودقق ودرس وتأمل ، وخرج على الناس بكتابه القيم الذي حاول به الا يترك ثغرة . فقد غطى جانب السيرة الذاتية فيه حياة بريخت من المهد الى اللحد ، بكثرة في التفصيل . ودقة في التأمل ، ثم عمد الى أعماله المسرحية فلم يترك واحدة منها الا وتعرض لها ناقداً محللاً مبيناً صلتها بأحداث الحقبة التاريخية التي كتبت فيها ، وأثرها في تطور بريخت الفني . وتجدر الاشارة هنا الى أن هذا الكتاب قد ترجم أخيراً الى اللغة العربية ، ترجمة بائسة مكدودة لا تتناسب وقيمة الكتاب ذاته من جهة ، ولا تليق بمكانة بريخت عند المسرحيين من جهة أخرى .

علاقاته العاطفية

والحديث عن الكتب على هذا النحو قد يطول ، وينأى بنا بعض الشيء ـ عما نحن بصدده ، أو لعله يوصلنا الى سؤال مهم هو : أين هذا الكتاب الذي نعرضه من تلك الكتب التي تقدم ذكرها ؟ انه أقرب الى طبيعة كتاب كلاوس فولكر من أي كتاب آخر ، فهو سيرة ذاتية محضة . واذا كان فولكر قد وقف عند بعض المسرحيات ناقداً ، فان هيمان لم يفعل ذلك ، وانما كان يقف عند الظروف المحيطة ببعض الأعمال المسرحية ، كالتعديلات التي كانت تطرأ على المسرحيات والتدريبات والعروض وبعض ردود الفعل أحياناً ، ولم يكن يعنيه أن يحلل نصاً مسرحياً ـ أو شعرياً وانما كان يكتفي بوصف ما قد أحاط بذلك النص ، وقد كان اهتمامه منصباً على سيرة بريخت الذاتية ، على صلاته بأسرته وبالطبقة الاجتماعية التي تحدر منها ، وعلى صلاته بالأصدقاء وبالصديقات وما أكثرهن ! لقد أولى المؤلف صلات بريخت مع الجنس الآخر عناية خاصة ، فأتى على ذكر كثير من التفاصيل ، وهي وان لم تكن مهمة بحد ذاتها الا أنها تلقي ضوءاً على نموذج السلوك الذي كان بريخت يتبعه في صلاته بالآخرين ، وهو سلوك فيه شيء من مراوغة يصرّ بعض الدارسين على وصمه بها ، والصاقها بتصرفاته على أنها سمة مميزة . لقد كان بريخت يرتبط بعدد من النساء في آن واحد ، وكانت اذا صدته احداهن أو أعرضت عنه شكا همه الى أعز الأصدقاء وأقربهم الى قلبه : كاسبر تيهر ، ذلك الفتى النحيل الرقيق العود ، زميل الدراسة في مراحلها الأولى واللاحقة ، ورفيق النجاح في كل الأعمال المسرحية التي انمها بريخت ، وقلمت على مسارح ميونيخ وبرلين حتى عام ١٩٣٣ ، وهو عام الهجرة من المانيا بعد وصول هتلر وحزبه الى السلطة . انه يشكو اليه روز ماريا أمان ، صديقته التي هجرته وعلقت بغيره ، هذا في الوقت الذي كان فيه على علاقة حميمة مع مغنية الأوبرا ماريان زوف ، التي جاءت الى اوجسبورج ـ وهي البلدة التي ولد فيها بريخت ونشأ ـ لتعمل في مسرح المدينة ، تلك العلاقة التي انتهت ـ على الرغم منه ـ بالزواج ! وفي نفس هذا الوقت كان على علاقة حب مع فتاة اسمها بولا بانهولزر ، وكانت تحمل منه طفلاً ، وتلح في أن يولد هذا الطفل ولادة شرعية ، أي أن يكون له أب شرعي ، ولكن ماريان زوف كانت هي الأخرى قد حملت منه ! وكان بريخت كلفا بالفتاتين معاً ، ولا يرغب في اختيار احداهما دون الأخرى ، فأتفقتا عليه بغير علمه وقررتا دعوته الى مكان ما ، لا يعلم أنه سيلقاهما فيه معاً . وهنالك أضطر بريخت الى اختيار ماريان زوف لتكون زوجته ،



لا لأنه يحبها أكثر مما يحب بولا ، ولكن ليكسب ابن ماريان صفة المولود الشرعي ثم يطلقها ويعود الى بولا ، حبه الصادق العميق !

الشباب ... والضيـــاع

حدث هذا كله فيما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ ، أي في الفترة التي كان يكثر فيها من التردد على مدينة ميونيخ ، حيث كان يمنى النفس بالنجاح ، بعد أن تخلى عن تعلم الطب نهائياً ، واتجه بكل قوة الى المسرح ، وبعد أن يئس من امكانية التقدم وبلوغ الشهرة في بلدة صغيرة مثل أوجسبورج . وقد حاول كثير من دارسي أدب بريخت - ومنهم رونالد هيمان - التأكيد على أن عدداً من مسرحياته يعكس جانباً من سيرته الذاتية . فان صح مثل هذا التوجه ، فان مسرحية بريخت الأولى المسماة« بعل » هي سيرة ذاتية تعكس اهتماماته في تلك المرحلة من مراحل العمر . أما بعل فهو يبدو شاعراً غنائياً ومهرجاً محترفا وسماحاً ومنحرفاً جنسياً ، وعاشقاً عنيفاً . .

كما أنه ساخر ، يساعد العجائز من النساء ، وعربيد يستمتع بشتى الملذات الحسية . . . وهو بلا ضمير ولا ادراك ذاتي ، انه كتلة مكتظة بالصفات المتناقضة ، يعيش حياته على أعنف مستويات المتعة ، فهل كان « بعل » صورة شوهاء لبريخت اقتضت رسمها على هذا النحو البشع ضرورات فنية ، ومؤثرات من الحركة التعبيرية التي كانت تلقي ظلها على الأدب الألماني كله في فترة ما بعد الحرب الأولى ؟ وانسجاماً مع ما كان يعانيه بريخت من فقدان للهوية ، ومن ضياع في مرحلة الشباب تلك ، فقد جعل كراجلر بطل مسرحيته الثانية « طبول في الليل » انتهازياً ، يرى ثورة العمال فيدير لها ظهره ، ويؤثر الزواج من حبيبته التي حملت في غيابه عندما كان مقاتلاً في الحرب ، على الانضمام الى صفوف الثوار ، لقد اسقط بريخت شيئاً من أزمته الشخصية على بطل مسرحيته ، فكلاهما قد دخل الحرب وعاد منها ضجرا برماً ناقماً على كل شيء . أما الثورة التي تشكل خلفية المسرحية ، فقد كانت ثورة حقيقية قامت في المانيا بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وكان يقودها كل من روزا لوكسمبورج وكارل ليبكنخت . وقد فشلت الثورة بعد أن قمعها الجيش ، وقضى عليها ، وأما ما كان قد تعلمه كراجلر بطل المسرحية من الحرب فهو أن يعرف كيف يظل حياً

والكتاب يحفل بعلاقات بريخت الانسانية والنسائية منها بوجه خاص . ولا ينال هذا من قيمة الكتاب شيئاً ، فهو سيرة ذاتية ، قصر مؤلفه همه وجهده على تتبع علاقات بريخت مع الآخرين في حله وترحاله ، وهو كثير .

جائزة كلايست للأدب

لم يكن لبريخت علاقات أسرية حميمة فبعد أن انهى تعليمه في أوجسبورج ، وقبل في إحدى كليات الطب في ميونيخ أدار ظهره للأسرة ، ولم يعد يعبأ بها ، فانقطعت بينهما الصلة ما عدا زيارات قصيرة كان يقوم بها الى بلدته ليرى والدته وبعضاً من صديقاته ! أما والده فقد كانت علاقته به محدودة جداً ولم يكن يذكره الا متذمراً ، وتعدّ مثل هذه العلاقة طبيعية الى حد ما ، نظراً للثورة العارمة التي أعلنتها التعبيرية على كل سلطة ومنها سلطة الأب . ولا يفوتنا أن عدداً من مسرحيات تلك الفترة كانت تتبجح بالثورة على الآباء ، وأن بعضها كان يحمل عنوان « قتل الأب » .

وبعد مجموعة المسرحيات التي كانت قد قدمت لبريخت ، وبعد أن كثر الحديث عنه ، وصار له انصار بين النقاد وبين مرتادي المسرح بوجه عام ، رشحه الناقد اهرنج لنيل جائزة كلايست للأدب وفاز بها .

وأخذت شهرته تتوطد بعد مسرحيته المرموقة « رجل برجل » فقد أخرجت هذه المسرحية ـ وعرضت في دار مشتات في عام ١٩٢٦ ، وفي برلين في عام ١٩٢٨ . وتعد بحق البداية الناجحة للمسرح الملحمي ، ولكن النجاح المدوي الذي حققه بريخت كان في مسرحية « اوبرا القروش الثلاثة » التي اقتبسها عن مسرحية تحمل نفس العنوان ، للكاتب المسرحي الانجليزي جون جاي وهو من كتاب القرن الثامن عشر . وكانت مساعدته اليزابيث هاوبتمان قد لفتت انتباهه الى النجاح الذي قوبلت به هذه المسرحية ، عندما أعيد إخراجها وعرضها في لندن في عام ١٩٢٠ . ولما كانت المسرحية مثقلة بالهجاء والسخرية من رئيس الوزراء البريطاني آنذاك روبرت والبول ، ومن كثير من الأوضاع السائدة ، فقد رأى فيها بريخت عملاً ملائماً يستطيع الانتفاع به على النحو الذي يتطلع اليه . فأعاد كتابتها بالتعاون مع مساعدته ، وعهد الى كورت فيل أحد الموسيقيين الكبار بوضع الألحان المناسبة لأغانيها . وقد قدر لهذه المسرحية نجاحاً يعز مناله ، وكان لها الفضل في ذيوع شهرة بريخت في القارة الأوروبية كلها .

لقد أغرى النجاح الذي حققته أوبرا القروش الثلاثة كلا من بريخت وكورت فيل بعمل آخر مشترك . فكتب بريخت مسرحية أوبرا ، ازدهار وسقوط مدينة ما هاجوني ، ووضع فيل ألحانها وعرضت في ٩ مارس ١٩٣٠ . وقد كان الناقد الفريد بولنجار حاضرا عند افتتاح العرض ، فكتب يصف استقبال الناس للمسرحية ولأسلوب بريخت الملحمي بشكل عام : « أصيبت المرأة التي كانت تجلس الى يساري بأزمة قلبية ، وأبدت رغبة في الخروج ، ولم يثنها الا التحذير الذي يقول : ان هذه اللحظة التي نمر بها ربما تكون لحظة تاريخية . . . وكان يجلس وراء مقعدي رجل يتميز غيظاً ويتمتم قائلاً : سأنتظر ظهور بريخت . . . ثم ارتفعت أصوات تندد بالعمل ، واعقبتها أصوات أخرى تشيد وتهلل ! ومرت أحداث بالغة التأثير . ففي أحد المقاعد كان يجلس رجل يتسم بالوقار ، وقد أخرج من جيبه علاّقة مفاتيح واستعان بها على خوض معركة ضد المسرح الملحمي . . فوضع العلاّقة فوق شفته السفلى ونفخ فيها ، فأحدثت صوتاً شديد القوة حتى يخيل للمرء بأنه ينفذ الى أحشائه . . . أما زوجته فقد وضعت اصبعيها في فمها وأغلقت عينيها ، ونفخت خديها لتطلق صفيراً أشد من صفير المفتاح . . . » .

المسرحية التعليمية

لقد عكف بريخت على دراسة النظرية الاشتراكية ، وتفرغ لذلك مدة لا تقل عن ثلاث سنوات ، وبعدها خرج بريخت العقائدي الملتزم ، واختفت صورة الفوضوي العدمي ، التي كان عليها منذ مطلع شبابه وحتى أواسط العشرينيات . وفي هذه الفترة كان بريخت قد جاوز الثلاثين من عمره ، وبدأت مرحلة المسرحية التعليمية ، وهي نوع من أنواع المسرحية يدل عليها اسمها . ولم تخل من جفاف وتزمت ، على الرغم من كل وسائل المسرح الملحمي والتغريب ، التي اتبعها بريخت من أجل التخفيف من حدة لهجتها التعليمية ، وجعلها مقبولة سائغة . ومن تلك المسرحيات مسرحية « الاستثناء والقاعدة » « الام » المقتبسة عن مكسيم جوركي ، ومسرحية « قائل نعم وقائل لا » ثم مسرحية « جان قديسة المذابح » وهي ليست من أفضل هذه المسرحيات فحسب ، بل هي من خير ما كتب بريخت .

وقد انتهت هذه المرحلة ـ مرحلة كتابة المسرحية التعليمية ـ بحلول عام ١٩٣٣ وهو العام الذي تسلم فيه هتلر السلطة ، وكان على كل الأحرار أن يبحثوا عن مأوى يهاجرون اليه . أما بريخت فقد أحرقت كتبه كما أحرقت كتب عشرات الأدباء والمفكرين ، ممن لم يكن النازيون يطمئنون الى ولائهم .

خرج بريخت الى المنفى وقد اصطحب معه أسرته ، وكانت تتكون من زوجته هيلينا فيجل (التي كان قد تزوجها في عام ١٩٢٩ بعد أن طلق الأولى ماريان زوف) وابنه ستيفان ، ولم تتبعه صديقته ومساعدته اليزابيث هاوبتمان ، التي كان قد خيب ظنها بزواجه من هيلينا فيجل . وابتعد لأول مرة عن صديق العمر كاسبر نيهر ، الذي لم يكن يستطيع فراقه وهو داخل ألمانيا ، فكيف به وقد فارقه لخمسة عشر عاماً تلت !

لقد حلت الكارثة بعدد كبير من الكتاب والأدباء الألمان ممن بقوا في ألمانيا ، فمنهم من سجن ومنهم من عذب حتى الموت . أما أولئك الذين هاجروا فقد

كانت وطأة الهجرة ثقيلة على بعضهم فلم يحتملها ، فمات عدد منهم انتحاراً مثل الناقد فالتر بنجامان ، وفالتر هاسنكليفر وستيفان زفايغ وارنست تولر وغيرهم ، أما الذين ظلوا على قيد الحياة فقد كانوا يفرون من بلد الى بلد يطاردهم الخوف وشبح القتل . وقد وصف بريخت هذا الحال في قصيدة له بعنوان : « الى الذين يأتون بعدنا » قال فيها : « . . . كنا نخوض حرب الطبقات ، ونهيم بين البلدان ، نغير بلداً ببلد ، أكثر مما نغير حذاء بحذاء » !

زمن الاغتـــــراب

وقد ظن بريخت ـ كما يظن كل المهاجرين عن الأوطان ـ أن البعد لن يطول خارج ألمانيا ، وقد طلب الى أحد أصدقائه بألا يبتعد كثيراً ، فان زمن الاغتراب لن يطول . وانتقل ـ في المنفى الى براغ ثم الى فينا فزيوريخ . وقد وجد فيها عدداً من الكتاب منهم آنا سايجرز وهونريش مان وفالتر بنجامان ، وفيها قضى بعض الوقت الهادىء الذي ظل يذكره حتى مماته . وبعدها توجه الى باريس حيث قدم مسرحية « الخطايا السبع المميتة » . ثم عرضت عليه كاتبة من الدانمرك أن تعثر له على مسكن في بلدها ، فقبل العرض حيث قدر أنه هناك سوف يكون على مقربة من أرض الوطن ، فيلتقي بموجات المهاجرين الجدد الذين يفدون بكثرة الى الدانمرك .

لقد ساهم بريخت في الكتابة الى بعض الصحف المعادية للنازية ، واشترك في العديد من المؤتمرات التي كانت تعقد في انحاء القارة ، وتندد بالنازية . ولم يتخل عن الكتابة للمسرح ، فكتب مسرحية « الرؤوس المدببة والرؤوس المستديرة » وقد استلهم فيها مسرحية شكسبير « العين بالعين » وعرضت في كوبنهاجن ، ثم أعقبها بآخر مسرحية تعليمية هي « الأخوة هوراس والأخوة كورياس » . وكان يرى أن من واجبه في هذه الفترة أن يتحدث كثيراً الى المنفيين لاقامة جبهات شعبية معادية للنازية .

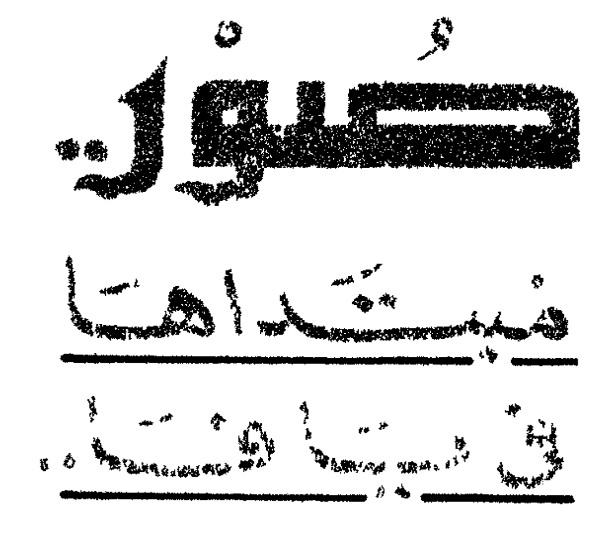
ذهب في عام ١٩٣٥ الى موسكو ، حيث التقى هناك بأصدقاء من أمثال أرفين سكاتور المخرج الألماني المعروف ، وكارولا نيهر وسيرجي تريتياكوف وغيرهم . وكانت الولايات المتحدة هي آخر بلد لجأ اليه قبل أن يعود الى برلين بعد تقسيمها في أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ان سنوات النفي الطويلة هذه هي أخصب السنوات في حياة بريخت ، ففيها كتب أكثر المسرحيات خلوداً حياة غاليليو (١٩٣٨) ، والأم شجاعة (١٩٣٩) ، والسيد بنتلا وتابعه ماتي (١٩٤٠) ، وانسان ستسوان الطيب (١٩٤١) ، ودائرة الطباشير القوقازية (١٩٤٥)

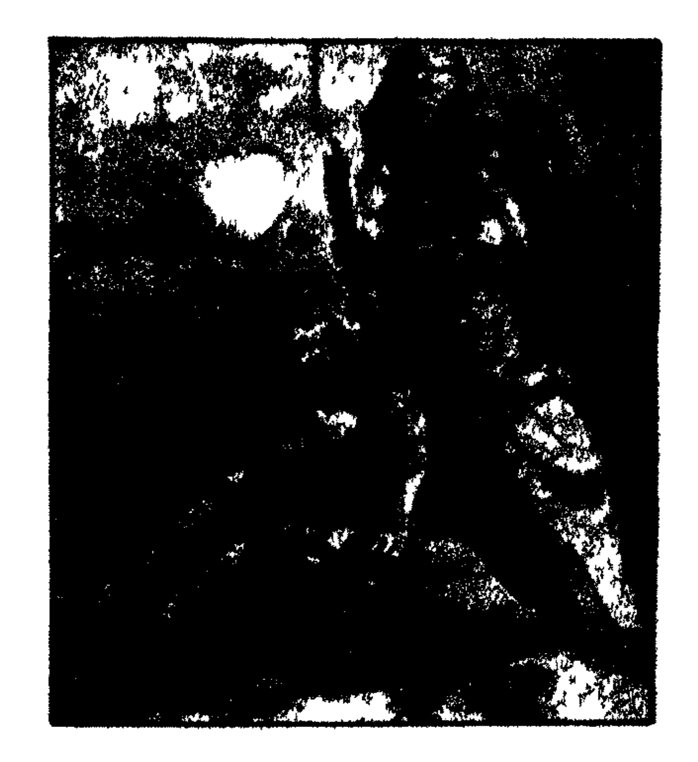
وبعد العودة الى الوطن أسس فرقة برلين (بيرلنر انسامبل) هو وزوجته هيلينا فيجل ، وأهدته الدولة مسرح رصيف بناة السفن ، لتتخذه هذه الفرقة مقراً لها ، حيث افتتحته بتقديم مسرحية الأم شجاعة في عام ١٩٤٩ ، وما زالت تعمل فيه حتى يومنا هذا . وظل بريخت يقوم باخراج مسرحياته ، الى أن توفي أثر نوبة قلبية في ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦ .

ان المنهج التاريخي هو الذي يطغى على كتاب روبالد هيمان ، فهو يقدم بأسلوب وصفي مشرق كثيراً من المعلومات النافعة ، ويعرض لعدد من القضايا المهمة التي تتصل بعلاقات بريخت مع عدد من الشخصيات البارزة ، من بينها فالتر اولبريشت رئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية لفترة ما بعد الحرب ، وتوماس مان ، أعظم الروائيين الألمان ، وارفين بسكاتور أحد كبار مخرجي ألمانيا في هذا القرن ، وجورج لوكاتش الفيلسوف والناقد المجري البارز . والمؤلف يقف وقفة مطولة يحاول فيها استقصاء أسباب الخلاف بين بيرتولت بريخت وبين كل من هؤلاء المفكرين . □





تأليف : ابراهيم سكجها
عرض وتحليل : أحمد المصلح



عُرف ابراهيم سكجها بكونه صحفياً لامعاً ينتمي لجيل رواد الصحافة في فلسطين . وعندما أصدر أخيراً مجموعته القصصية الأولى كان يؤكد حقيقة مهمة حول ارتباط الأدب والصحافة في فلسطين منذ بداية هذا القرن .

في ضوء هذه الحقيقة المهمة يستعرض أحمد المصلح مجموعة ابراهيم سكجها القصصية (صور مبتداها في يافا) .

يقول ابراهيم سكجها في تقديمه لمجموعته القصصية الوحيدة (صور مبتداها في يافا) الصادرة عن دائرة الثقافة والفنون بعمان عام ١٩٨٢ (كنا في أوائل الخمسينيات نحد مع فسحة الأمل فسحة من الوقت للتأمل والتذكر والتسجيل ، فكانت هذه الصور بعضاً من ذلك ، وقد نشرت بين أعوام ١٩٥٣ - ١٩٥٥ في جريدة فلسطين ، وحتى الآن لم يخطر في البال أنها وأخوات لها من مثلها أو يختلفن عنها خطوطاً والواناً يمكن أن تجمع للنشر في كتاب) .

ونقول نحن بدورنا ، أن إصرار المؤلف على اعتبار ما يحتويه كتابه صوراً وردت على الخاطر وليست قصصاً ، ليس مهماً في منظور النقد ، بل نضيف أن هذه الصور قصص بكل ما تحمله الكلمة من مدلول .

تضمن كتابه (صور مبتداها في يافا) أربع قصص أخذت العناوين التالية : تأبى الا أن تنتظر ، و لقد انهار حصن الخنازير، وكانت وفيّة، ومأساة . لدى قراءة هذه القصص نلاحظ أنها تأخذ مادتها الخام من واقع المأساة الفلسطينية مادياً وبشرياً . وهو واقع خصب بالتأكيد ، سواء على مستوى الحدث ، أو على مستوى الرؤية ، وخصوصاً بالنسبة للغالبية العظمى من المثقفين والأدباء الفلسطينيين في تلك الفترة .

يقيم القاص معماره الفني في هذه القصص على مبدأ التقابل . اذ يحرك شخوصه في زمنين متتاليين هما ما قبل نكبة ١٩٤٨ او ما بعدها ، وفي حالتين متقابلتين حالة السعادة والحياة المستقرة مادياً وعاطفياً ، وحالة الشقاء ، وحياة التشرد والقلق مادياً وعاطفياً كذلك ، ثم أيضاً في مكانين متقابلين أولهما في يافا وثانيهما في عمان . معتمداً أسلوب السرد الواقعي

من المكتبة العربية

البسيط في جميع القصص ، ومستندا على ضمير الغائب في أغلب الأحيان .

ففي قصة (تأبى الا أن تنتظر) نرى « عديلة » ، الشخصية في القصة ، في وضعين متقابلين : الوضع الأول عديلة الفتاة اللعوب الجميلة ، التي تلبس من الثياب أحدثها ، وتسكن مع أسرتها في حي من أحياء يافا الراقية . وفي الوضع الثاني بعد نكبة ١٩٤٨ ، نرى عديلة ترتدي ملابس فلاحة ساذجة ، تحمل على رأسها طبقاً تبيع ما عليه من تفاح وبرقوق ومشمش ، وقد ذبل جسمها وعلته صفرة قاتلة ، وتسكن في إحدى القرى القريبة من عمّان .

وبين الحالتين يرسم لنا القاص تطور الحدث المأساوي ، من خلال هجرة الأسرة من يافا الى بيروت ، ثم الى نابلس بعد وفاة معيل الأسرة ، ثم أخيراً الى عمّان ، ولم ينس القاص أن يضفي على « عديلة » هالة من القداسة في نهاية القصة ، حيث نراها تنتظر عودة خطيبها « سعيد » الذي لا تعرف عنه شيئاً منذ غادرت يافا .

وفي قصة « لقد انهار حصن الخنازير » يرسم لنا القاص صورة حية للمقاومة الفلسطينية في ذلك الحين ، أي قبل نكبة ١٩٤٨ ، وذلك من خلال عملية هدم حصن الخنازير ، وهو مصنع للمرطبات في مستعمرة « بات يام » بالقرب من يافا ، يتخذ منه الصهاينة مركزاً لعملياتهم الارهابية ضد السكان في حي الجبالية في مدينة يافا .

ومن خلال هذه الصورة الحية ، يحرك القاص بطل القصة (نواف) المرشح في الجيش العربي في ذلك الحين ، ليلعب دوراً رئيسياً في صنع الأحداث من جهة ، ويستند عليه في تقنية (التقابل) التي اعتمدها المؤلف في البناء العام للقصة من جهة أخرى .

فنواف في الحالة الأولى قبل عام ١٩٤٨ ، كان في إجازة ، ولكنه يستغل إجازته للمشاركة في الحدث البطولي للقصة (المقاومة) أما نواف هذا الذي التقاه الراوي في عمّان بعد عام ١٩٤٨ فهو ما يزال ضابطاً في الجيش العربي ، ولكنه ليس في إجازة كما تقول الكلمات الأخيرة في القصة .

وفي قصة (كانت وفيّة) يتناول المؤلف حياة اسرتين فلسطينيتين بائستين ، فقدتا معيليهما ، وذلك من خلال شخصية « سلمى » و « سليم » اللتين آلت اليهما تبعة المسؤولية فيما بعد . وقد ربط المؤلف بين الأسرتين برباط القرابة . ثم تحدث نكبة عام ١٩٤٨ ، فيستقر سليم في عمّان كاتباً في دائرة المعارف ، وتستقر سلمى في نابلس معلمة في إحدى المدارس التابعة لدائرة المعارف بعمّان أيضاً .

ويستمر القاص في رسم تطور الحدث المأساوي ، فيفضح نمط العلاقات الأسرية السائدة من خلال عم سلمى ، « السكير » الذي أرادها بقرة حلوباً تجلب اليه المال ، فيرفض زواجها من قريبها سليم . لينتهي بها الأمر في المستشفى جسداً ذابلاً أنهكه المرض .

وكما انهى القاص حياة « عديلة » بحالة من القداسة ينهي كذلك هذه القصة بحالة من القداسة أيضا ، اذ سرعان ما يذهب سليم الى حبيبته سلمى ، وهي على فراش المرض يمدها بالقوة ، لكي ينتهي بها المطاف في عش هادىء في عمان يداعبان طفلة صغيرة جميلة سمياها وفاء .

وفي قصة « مأساة » يعود المؤلف الى المقاومة الفلسطينية في تلك الفترة ، فيصف استبسال مدينة يافا مع أخواتها عرائس فلسطين ، في دفع الأذى وصد هجمات الأعداء التي كانت تأتيها من خلف كل ركن من أركانها ، ومن خلال هذه الصورة تطل علينا شخصية « سعاد » في وضعين متقابلين ، الأول في يافا : حيث تفشل في الزواج من موظف الشؤون الاجتماعية الذي تعرفت عليه حين جاء الى منزلها يقدم لها المساعدة ، والذي ارتبطت معه بقصة حب



ابراهيم سكجها

شريفة ، أفسدها سفره الى بريطانيا في بعث زواجها سنتين ، وإصرار والدتها على زواجها من ابن عمها خلال هذه المدة .

أما الوضع الآخر : فهو بعد نكبة ١٩٤٨ ، حيث تقبع سعاد الآن في ركن بيت متواضع جداً في عمان ، تروي قصتها لكل من يستطيع أن يسمعها منها كما تقول نهاية القصة .

●●●

واضح من استعراضنا السريع لمضامين قصص (صور مبتداها في يافا) أنها تنتمي الى ما اصطلح على تسميته بالقصة الفلسطينية الكلاسيكية ، وهي كغيرها من القصص الفلسطينية التي كتبت في تلك الفترة تأخذ منحى تعليمياً أخلاقياً وتعتمد أسلوب السرد الواقعي البسيط كما أسلفنا ، كما يمكن أن نلاحظ في هذه القصص مزجاً بين تقنية أسلوب المقال وتقنية أسلوب القصة .

ففي الجانب الأول نرى سيطرة هاجس الاقناع على الكاتب سواء بحشد الحجج لتبرير موقف الشخصية أو بتدخل المؤلف لتوضيح ما يراه ضرورياً . ويتجلى هذا بشكل جذري في قصة (كانت وفيّة) حيث يقول الكاتب في نهايتها (هل أنهي قصة سليم وسلمى بذبول هذه الزهرة اليافعة .. وسليم هل أجعله يدفن أحزانه في الخمرة ..) .

أما تقنية أسلوب القصة فيتجلى في الابتعاد عن اللغة التقريرية المباشرة ، والاعتماد على صفاء اللغة ورومانسيتها بمعنى استغلال عناصر البيان والبديع والبلاغة جهراً ، ولهذا لا نستغرب عبارات كثيرة وردت في القصص مثل (وتهالكت على الأريكة ، يطلبون الحياة من جفن الردى ، أقدح زناد فكري ، يسترسل بظلام الليل ، هش في وجهه وبش .. الخ) .

غير أن ما تمتاز به قصص ابراهيم سكجها حقيقة عن قصص تلك الفترة هو ما يمكن أن يطلق عليه (الاقتصاد اللغوي) فلغة القصص تمزج بذكاء واضح بين خاصيتي الاقناع والايحاء ، الى جانب ابتعادها عن التكرار سواءً على مستوى اللفظة أو على مستوى العبارة ، كما نلاحظ أيضاً خلو القصص من الاقتباسات والتضمينات ، ومواقف الوعظ والخطابة التي كانت سائدة في قصص تلك الفترة .

كما نسجل للقصص ميزة أخرى ، وهي لجوؤها الى رسم بعض الأجواء على نحو كاريكاتوري ، وذلك بهدف سبرغور الحدث أو الشخصية ، أو بهدف تعزيز عنصر (التشويق) في القصة ، ويتضح ذلك في قصة (لقد انهار حصن الخنازير) وفي قصة (مأساة) .

كما نسجل ميزة بنائية أخرى لهذه القصص تكاد تنفرد بها ، وتتعلق بافتتاحية القصة ، فالملاحظ أن افتتاحيات جميع القصص تلخص الحدث ، أو تشير الى ذروته منذ البداية ، وهذه تقنية أخذت بها القصص الحديثة فيما بعد كما نعلم .

بقيت نقطة أخرى أود أن أشير اليها وهي أنني الاحظ أن هذه القصص تشي بقدرة روائية كامنة في المؤلف . فالزمن واحد في كل هذه القصص ، والمكان واحد تقريباً ، والشخصيات متقاربة من حيث حركتها وخصائصها ، والمضمون واحد الى حد بعيد ، وأخيراً فان الراوي يكاد يكون واحداً في جميع القصص . □

مكتبة العربي
مختارات

اسم الكتاب : نشيد الحياة - رواية
اسم المؤلف : يحيى يخلف
الناشر : دار الحقائق - دمشق - سوريا .
عدد الصفحات : ٢٠٣ من القطع المتوسط

تنويع آخر وتسجيل مختلف لتجربة بيروت الحصار عام ١٩٨٢ ، يقدمها في اطار روائي القاص والروائي الفلسطيني يحيى يخلف الذي خرج من التجربة ليرويها بضمير الغائب في اسلوب جمع بين الحقيقة التي اقتربت من التسجيل ، والفن الذي يعطي الأحداث الحقيقية أبعادها الانسانية الاخرى . هذه الرواية هي الرابعة ليحيى يخلف عدا مجموعتين قصصيتين .

اسم الكتاب : بين المرسى والشراع - شعر
اسم المؤلفة : هند هارون
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق - سوريا
عدد الصفحات : ١٩٦ من القطع الصغير .

هذا الديوان الشعري هو الرابع في سلسلة الكتب الشعرية لواحدة من أبرز شاعرات سوريا . والى جانب قصائدها التي تتراوح بين اغاني الحب والروح وأغاني الوطن الجريح ، يضم الكتاب مجموعة من القصائد الطويلة ذات النفس الملحمي ، استخدمت خلالها الشكلين العمودي والمرسل للشعر ، مثل قصائدها بين المرسى والشراع وحوار الجرح وعوالم قديمة .

اسم الكتاب : ادغار الن بو
اسم المؤلف : ديفيد سنكلير
اسم المترجمة : سلافة حجاوي
الناشر : وزارة الثقافة والاعلام - بغداد - العراق
عدد الصفحات : ٣٩٥ من القطع الكبير .

كتاب جديد يضاف الى المكتبة العربية يتناول سيرة حياة وفن واحد من اكثر الشخصيات الأدبية الامريكية إثارة للجدل ، هو الشاعر الأمريكي ادغار الن بو ، الشاعر الذي اشتهر بكونه ملهما للشعراء الرمزيين في أوروبا ، كما اشتهر بكونه أشهر كاتب لروايات الرعب في أمريكا والعالم .



اسم الكتاب : أعلام الكويت - فرحان بن فهد الخالد
اسم المؤلف : سيف مرزوق الشملان .
الناشر : دار ذات السلاسل - الكويت
عدد الصفحات : ١٣٢ من القطع الكبير .

يواصل المؤرخ الكويتي المعروف سيف مرزوق الشملان كتاباته التاريخية عن رجالات الكويت المعروفين الذين أسهموا في بناء الكويت الحديثة .

وهذا الكتاب سيرة لحياة فرحان بن فهد الخالد مؤسس أول جمعية خيرية كويتية عام ١٩١٣ . وقد ضم الكتاب الى جانب سيرة حياة فرحان الخالد ملحقا يحتوي على عدد من الوثائق المتعلقة بحياته وبعصره .



اسم الكتاب : قضية "اسرائيل" والصهيونية السياسية
اسم المؤلف : روجيه غارودي .
اسم المترجم : د . ابراهيم الكيلاني
الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي - دمشق

عدد الصفحات : ١٩٦ من القطع الكبير

منذ أربعينيات هذا القرن عُرف غارودى باهتمامه الواسع بالحضارات الشرقية ، ومنها حضارتنا العربية الاسلامية . ولم يكن اهتمامه مجردا بل كان ممارسة فعلية تمثلت فى مواقف سياسية مؤيدة للحق العربى ومعادية للصهيونية "واسرائيل".

فى هذا الكتاب يعرى غارودى الجانب اللاانسانى للصهيونية السياسية التى أقامت دولة "اسرائيل" فى المنطقة بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى ، وذلك باسلوب يجمع بين عمق التحليل والاسلوب الادبى الرفيع ، والثقافه الغزيرة لواحد من أبرز الفلاسفة الفرنسيين .

اسم الكتاب : هموم النفط وقضايا التنمية فى الخليج العربى
اسم المؤلف : د . على خليفة الكوارى .
الناشر : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع - الكويت
عدد الصفحات : ٢٢٤ من القطع الكبير .

هذا الكتاب لواحد من أبرز المختصين بقضايا النفط والاقتصاد فى منطقه الخليج العربى ، وهو عبارة عن مجموعة من الأبحاث العلمية المختصة والمحاضرات والاوراق التى كتبها د . على خليفة الكوارى بين عامى ١٩٧٤ و ١٩٨٢ .

وبصفتها هذه فان مجموع المقالات التى يضمها الكتاب ترسم لوحة شاملة لصورة النفط وظروف التنمية فى الخليج ، فى واحدة من أكثر فتراته حرجا وأهمية .

اسم الكتاب : الأدبيات اليمنية فى المكتبات والمراكز الثقافية العالمية .
اسم المؤلف : كارل بروكلمان .
اسم المترجم : صالح بن الشيخ ابو بكر
الناشر : مركز الدراسات والبحوث اليمنى - صنعاء ودار الحداثة - بيروت .
عدد الصفحات : ٢٣٠ من القطع المتوسط .

يسد هذا الكتاب فراغا حقيقيا فى المكتبة العربية التراثية ، وينبه الباحثين والدارسين العرب الى أهمية واحد من اهم فروع الكتابة التوثيقية ، ونعنى بها « البيليوغرافية » . والكتاب سجل عصرى مبوب تبويبا جيدا لكل ما كتب عن الأدب اليمنى ، مع دليل للمصطلحات والرموز التى تشير الى مكان وجود هذه الكتابات مع نبذ مختصرة جدا عنها .

وعلى الرغم من أن مادة هذا الكتاب مأخوذة من كتاب المستشرق الالمانى كارل بروكلمان الا أنه جهد يمنى مهم فى الأساس يفيد منه كل المثقفين والباحثين العرب .



اسم الكتاب : شعر ابن عثيمين ، دراسة في الشكل والمضمون
اسم المؤلف : محمود محمد بركات
دار النشر : دار كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع
عدد الصفحات : ٣٩٥ من القطع الكبير

لا تأتي أهمية الشاعر النجدي ابن عثيمين من أهمية الأحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية التي واكبها وهي تنتقل بالجزيرة العربية من عصر الى آخر ، بل تأتي أيضا من خلال الدور الريادي الذي لعبه على مستوى فنية القصيدة في هذه المنطقة ، مما جعله صلة الوصل بين عصر التقليد وعصر القصيدة الحديثة ، وذلك ضمن حدود تطور هذا الفن في منطقة الجزيرة العربية .

والكتاب في الأصل رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير تقدم بها « باحث فلسطيني عن شاعر نجدي في جامعة مصرية » كما يقول د. محمد الرميحي في تقديمه للكتاب . □



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الإعـرَابُ أحَدُ قـرَائِنِ النحو اللفظية

« كنا في بعض هذه الصفحات اللغوية[1] قد عرضنا لكلمات التوكيد السبعة : نفس ، وعين ، وكلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع ، وعامة » ، ووضحنا أن لها حالين في الاستعمال : فقد تكون تابعة للمؤكد ، فتعرب اعرابه « رفعا ، نصبا وجرا » ، وقد لايسبقها مؤكد فلا تكون تابعة له في الاعراب ، وقد ذكرنا مثلا أو اكثر لكل كلمة من هذه الكلمات السبع [2] في الحالين .

وخلاصة ماقلنا هناك انه اذا لم يكن مؤكد قبل أي كلمة من هذه الكلمات السبعة[2] لم تعرب هذه الكلمة توكيدا في الاصطلاح النحوى ، وان أفادت التوكيد معنى ، بل تعرب على حسب موقعها في الجملة ، وأخذنا على النحاة اهتمامهم بإعراب الالفاظ أكثر أو أشد من اهتمامهم بالمعنى ، مع أنهم يقولون : ان الاعراب فرع المعنى ، فهم قد اهتموا بالفرع فوق اهتمامهم بالأصل[3] .

وقد جاء تعقيب مطول من الدكتور الفاضل (م . ر) بجامعة اليرموك في الأردن يراجعنا في بعض ماقلناه هنا ، ويسألنا عدة أسئلة في بعض التعليقات ، ونبدأ بشكره على ماتفضل به من ثناء ، ثم نقف معه فيما راجعنا فيه .

كان من الأمثلة التي ضربناها للفظ التوكيد حين لايتقدمه مؤكد ، قول شاعر في أبي دلف العجلي :

ابا دلف ، ان الفقير بعينه
لمن يرتجي جدوى نداك ويأمله .

فسألنا الدكتور : بأي اعراب نعرب مثل هذا التوكيد « بعينه » ، وماذا نسميه اذا كنا لانسميه توكيدا ، وجوابنا : ان اعرابه كأمثاله من كل جار ومجرور ومضاف اليه ، ولاحاجة بنا الى زيادة الا أن نقول انه يفيد التوكيد وان لم يجز أنْ يعرب توكيدا بحسب المصطلح النحوى ، لأنه ليس تابعا ، وانما يعرب توكيدا لو لم تذكر الباء ، وكانت الجملة هكذا : ان الفقير عينه . . فتكون « عين » توكيدا تابعا في اعرابه للفظ الفقير منصوباً مثله . ومثل ذلك حين نقول : « كل الابطال محبوبون » فإن كل مبتدأ والابطال مضاف اليه . ولازيادة ، ولكن حين نقول « الابطال كلهم محبوبون » فإن « كل » هنا توكيد يتبع المؤكد في الاعراب ، أي أنه مرفوع مثله .

ونلاحظ أن التوكيد هو أحد التوابع : كالعطف والنعت والبدل ، فيا لم يكن قبل كل واحد منها متبوع لم

يوصف مابعده بأنه « تابع » ، وانما وصف بأنه تابع وأعرب اعراب متبوعه لانه مسبوق بمتبوعه ، والتابع والمتبوع لفظان متضايفان كما يقول المناطقة ، فلا يسمى تابعا مالم يسبقه متبوعه ، ولايسمى متبوعا مالا يَلِهِ تابع ، ومثل ذلك لفظ ابن وأب ، فلا ابن حيث لا أب ، ولا أب حيث لا ابن .

ويرى الدكتور أن « النحو صناعة لفظية ، وهذا مايجب أن يعرف . ولو أن النحويين القدماء اعتمدوا في احكامهم المعنى ، أو معاني الجمل وحدها لما أتوا بهذا النحو الغني المغني » ، ونحن نوافق الدكتور على أن النحو صناعة لفظية ، ولكنها قائمة على المعاني فهي الأصل ، وليست الوجهة اللفظية فيها محصورة في الاعراب ، اذ ليس يعدو الاعراب أن يكون قرينة لفظية من عدة قرائن تتساند في الابانة عن المعنى وهو الأصل ، وهذه القرائن الاخرى هي التي تتساند في أداء المعاني في اللغات واللهجات الخالية من الاعراب ومنها لهجاتنا الدارجة .

ويكفي هنا ان نذكر من القرائن الأخرى قرينة النغمة في الكلام ، فقد يتغير معنى الكلام بتغيير نغمة نطقه مع بقائه على أصواته او حروفه ، مثل : « حضر الضيف » فقد تنطق بنغمة التقرير فتكون بمعنى الخبر ، وحينئذ لاتحتاج الى جواب ، وقد تنطق بنغمة السؤال فتحتاج الى جواب ، وتدل على الاستفهام وان لم تذكر معها اداة استفهام ، ونحن نستعمل مثل هذه الجمل في الفصيحة وفي الدارجة كثيرا كل يوم .

ومن القرائن ذكر الأداة مع النغمة ، مثل قولنا لآخر « قصة كتبت أم مقالة ؟ » فإن الحرف « أم » مع نغمة السؤال يغنى عن علامة الاستفهام . ومثل : « بعت ومحمدا سيارة » مقابل : بعت محمدا سيارة ، فالجملة الاولى تدل على اشتراك القائل ومحمد في بيع سيارة ، والثانية تدل على بيع محمد سيارة لآخر ، ومن القرائن اللفظية الرتبة فيما يلتزم فيه الترتيب ، ومن أمثلتها التوابع : كالعطف والبدل والنعت والتوكيد ، فلا بد أن يكون متبوع كل منها متقدما ، فالعطف يتقدمه المعطوف عليه ، والبدل يتقدمه المبدل منه ، والنعت يتقدمه المنعوت ، ومن أمثلة قرينة الرتبة سبق الموصول صلته ، ومنها تقدم الفاعل على المفعول به عند خوف اللبس كما في قولنا : « اكرمت ليلى لبنى » فان اسم ليلى هنا فاعل ، ولو تأخر لكان مفعولا به .

ومن الواجب أن نفهم أن الاعراب هو معرفة وظيفة الكلمة بارتباطها بغيرها في الجملة ، ووظيفة الجملة في ارتباطها بغيرها من الجمل ، ومن الخطأ أن نقصر معنى الاعراب على حركة آخر الكلمة ، فيما تظهر على آخره الحركة من الكلمات كبعض الاسماء والصفات والافعال المضارعة ، ومعلوم أن حركة آخر الكلمة في امثال هذه الكلمات تستفاد من وظيفة هذه الكلمة ، فهي نتيجة للوظيفة وليست سببا لها .

ومن هنا يبدو أننا لانريد ـ كما يظن الدكتور ـ الغاء النحو القديم والاتيان بنحو جديد يقتصر على معاني الجمل ، ولكننا نريد استكمال ما أغفله النحويون ولاسيما المتأخرون حين حصروا الاعراب في حركات أواخر الكلمات ثم قدروا الحركات حين لم يجدوها ظاهرة .

ونحب أن يعلم الدكتور أن النحو ليس الا جملة القواعد التي استنبطها او يستنبطها النحوي من النظر المجتهد في النصوص الفصيحة كما تبدو له أنظمتها ، وللغة أنظمتها الثابتة مهما تختلف قواعدها المستنبطة ، فقد تصح هذه القواعد حين تطابق الأنظمة ، أو لاتصح حين تخالف الانظمة ، وأنظمة اللغة من عمل أصحابها ، وأما النحو فهو عمل العلماء فيما يجتهدون لفهمها ، وقد يصيب فهم المجتهد أو يخطىء ، فالقواعد مجرد تأويلات ، وهي تختلف سدادا وانحرافا مثلها مثل النجوم والكواكب في أفلاكها ، ولكن القدماء فسروا حركة الارض والشمس بأن الشمس هي التى تدور حول الارض ، وبالعكس فسرها المحدثون . □

---

١ ـ العربي الاعداد ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥

٢ ـ يجوز تذكير العدد وتأنيثه اذا جاء صفة بعد المعدود الجمع كما هنا (العربي العدد ٣٣١)

٣ ـ بلغ من افراط متأخرى النحاة أنهم سموا النحو « علم الاعراب » وابتدعوا نظرية العامل فيه ، وجعلوا له علامات فرعية تنوب عن علاماته الاصلية التى هي الحركات ، وذكروا الاعراب التقديري عند فقد علاماته الظاهرة ، كما ذكروا الاعراب المحلي لبعض الجمل حين تحل محل معربة ، وإلا قالوا إنها جمل لا محل لها من الاعراب .



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

قصيدة ابن زريق البغدادي

من شعرائنا من اشتهر كل منهم بيننا بقصيدة واحدة لجودتها ، سواء عرفنا له شعرا غيرها او لم نعرف ، ومن هؤلاء مالك بن الريب المازنى التميمى الذى اشتهر بشهرة قصيدته اليائية التى يرثى بها نفسه . (العربي العدد ٣١٥ يناير ١٩٨٥) .

ومنهم ابن زريق البغدادى صاحب القصيدة العينية التى نقدمها هنا ، ولا نعرف له غيرها ، ومعلوماتنا عن حياة الشاعر وعصره والمناسبة التي كتب فيها قصيدته نزرة ، واهم ماروى فى كل ذلك انه كان يعيش فى بغداد (ومن هنا نسبته البغدادى) وقد عشق ابنة عمه ، ووفى لها ، ولكن ضاقت به احوال المعيشة ، فعزم ان يرحل الى المغرب ولعله كان يقصد الاندلس ، حيث يلتمس سعة من المال ، وحاولت ابنة عمه ملحفة ان ترده عن عزمه دون جدوى ، فرحل ، وفي اضطرابه بين البلاد شريدا احس وحشة الغربة وخيبة الأمل ، وعاودته ذكريات حبه الضائع في موطنه ، فنظم هذه القصيدة منفسا عن مواجعه وآلامه ، نادما على رحيله ، مؤنبا نفسه على ماكان من فراق ابنة عمه ، ورفضه رجاءها له بالبقاء الى جانبها .

ويقال انه احس المرض اخيرا فلجأ الى خان فسكنه ، وفيه ادركه اجله ، وحين اريد دفنه وجدت هذه القصيدة مكتوبة فى ورقة تحت وسادته ، وقد روى هذه القصيدة كثير من رجال المغرب .

لاتعذليه ، فانّ العذلَ يُولعه — قد قلتِ حقا ، ولكنْ ليس يسمعهُ (١)

جاوزتِ في لومه حدًّا أضرّ به — من حيثُ قدرتِ أن اللّومَ ينفعُه

فاستعملي الرفقَ في تأنيبه بدلا — من عُنفِه ، فهو مُضنَى القلبِ مُوجَعهُ

قد كان مُضطلِعا بالخطب يحمله — فضُلّعتْ بخطوب البين أضلُعُه (٢)

يكفيه من لوعةِ التفنيد أنّ له — من النوى كلَّ يوم ما يروِّعُه (٣)

ما آبَ من سفرٍ الا وأزعجه — رأيٌ الى سفرٍ بالرّغم يتبعه

كأنّما هو في حلٍّ ومرتحلٍ — موكَّلٌ بفضاء الارض يذرعه

اذا الزماع أراهُ في الرّحيل غِنى ... ولو الى السّد أضحى وهو يُزْمعهُ [٤]

تأبى المطامع الا أن تجشّمه ... للرزق كدًّا، وكم ممّن يودعهُ

وما مجاهدة الانسان واصلةً ... رزقًا، ولا دعةُ الانسان تقطعُه

قد قسّم الله بين الناسِ رزقهم ... لم يخلقِ الله مخلوقا يضيّعُه

لكنهم مُلئوا حِرْصًا، فلست ترى ... مسترزقا، وسوى الغايات تُقنِعُه

والدهرُ يُعطي الفتى ما ليس يطلبُه ... حقا، ويُطْعِمُه من حيث يمنعه

أستودعُ الله في بغدادَ لي قمرًا ... بالكرخ، من فلك الأزرار مطلعُه [٥]

ودّعته، وبِودّي لو يودعُني ... طيبُ الحياة، وأنّي لا أودعُه

وكمْ تشفّعَ بي أن لا أفارقَه ... وللضرورات حالٌ لا تشفّعُه

وكمْ تشبّثَ بي يوم الرحيلِ ضُحًى ... وأدمُعي مستهلاتٌ وأدمُعُه

اعطيت مُلْكًا فلم تُحسن سياسته ... وكلُّ منْ لا يسوسُ المُلْكَ يُخْلَعُه

ومن غدا لابسًا ثوبَ النعيمِ بِلا ... شكر عليه، فان الله ينزِعُه

كم قائلٍ لي:- « ذنبُ البين » قلتُ له: ... الذنبُ والله ذنبي، لستُ أدفعُه

إني لأقطعُ أيامي، وأُنفِذُها ... بحسرةٍ منه في قلبي تُقطعه

بِمَنْ اذا هجعَ النُّوّامُ بتّ لَهُ ... بلَوْعةٍ منه لَيلي لستُ أهجعُه

ما كنت أحسب ريبَ الدهر يفجعُني ... به، ولا ظنَّ بي الايامَ تفجعُه

حتى جرى البين فيما بيننا بِيَدٍ ... عسراءَ تمنعُني حظّي وتمنعُه

بالله، يا منزلَ الأُنسِ الذى دَرَسَتْ ... آثارُه، وعفَتْ، مذ بنْتُ، اربُعُه [٦]

هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتَنا ... أم الّليالي التي أمضته تُرجعُه

في ذمةِ الله من أصبحتَ مَنْزِلَه ... وجادَ غيثٌ على مغناك مَرْبعُه [٧]

من عِندَهُ لِيَ عهدٌ لا يضيع، كما ... عندِي له عهدُ ودٍّ لا أضيعُه

ومن يُصدِّعُ قلبي ذِكْرُه، واذا ... جرى على قلبِه ذِكْري يصدِّعُه

لأصبِرَنَّ لدهرٍ لا يمتّعُني ... به، ولا بيَ في حالٍ يمتّعُه

علماً بأن اصطباري مُعقِبٌ فَرَجًا ... فأضيق الأمرِ ان فكّرتَ أوْسعُه

عسى الليالي التى أضْنَت بفرقتنا ... جِسْمي، ستجمعني يوما وتجمعه

وإن تَغُلْ أحدا منا مَنيّتُه ... فما الذى بقضاءِ الله يَصنَعُه

---

١ ـ لا تعذليه : لا تلوميه ، والعذل : اللوم ـ يولعه : يغريه بالاصرار على موقفه .
٢ ـ الخطب : المصيبة ، والجمع خطوب . وضلعت : انتفخت والتفت .
٣ ـ التفنيد : المعارضة والتكذيب .
٤ ـ الزماع : العزم ، والسد : سد يأجوج ومأجوج ، والمقصود هو المكان البعيد .
٥ ـ يقسم نهر دجلة مدينة بغداد قسمين : الغربي منها هو الكرخ ، والشرقي هو الرصافة .
٦ ـ عفت اربعه : زالت معالمه .
٧ ـ جاد : نزل . غيث : مطر . مغناك : دارك .

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ فلورانس نايتنجيل ، رائدة مهنة التمريض بمفهومها الحديث ،ارتبط اسمها بإحدى الحروب في القرن التاسع عشر .. فأي حرب تلك ... ؟

٢ ـ أيهما أكبر حجماً .. البكتريا أم الفيروس ؟

٣ ـ كيف تصلنا الاذاعات الأوروبية والأمريكية فور ارسالها بالرغم من أن الصوت بطيء ، وينتقل بسرعة بطيئة جداً لا يتجاوز ٣/١ كيلومتر في الثانية ؟

٤ ـ كتاب مفاتيح العلوم .. الذي يعتبر أقدم دائرة معارف أو موسوعة عربية . من هو مؤلفه ؟

٥ ـ الأجمة والأكمة .. أيهما تحتوي من الشجر . أكثر من الأخرى ؟

٦ ـ ثعبان الكوبرا ـ البائيون ـ الأناكوندا ـ الراند أسماء متجانسة كلها ما عدا واحدا .. فأيها الناشز ؟ ولماذا ؟

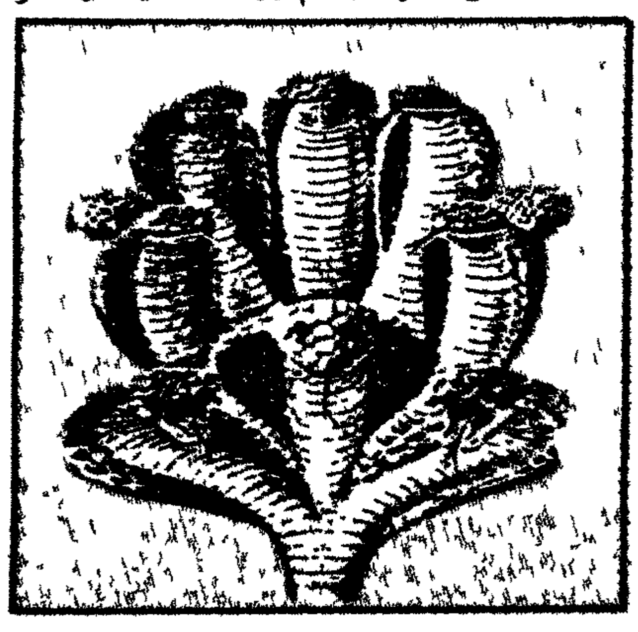
٧ ـ القطب الشمالي والقطب المغناطيسي .. هل هما صنوان ويقعان في نفس المكان .. أم هما مختلفان ويقعان في مكانين مختلفين ؟

٨ ـ أيهما أكبر مساحة .. تايلاند أم سيلان ؟

٩ ـ ثمرة شجرة النخيل تسمى بالأسماء التالية تبعاً لمراحل نموها المختلفة .. التمر ـ البلح ـ البسر ـ الرطب ..

المطلوب ترتيب هذه الأسماء وفق الترتيب الذي تتعاقب فيه مراحل نمو ثمرة النخيل .

١٠ ـ ثمة نوعان شائعان من ورق التغليف .. أحدهما أبيض ويعرف باسم ورق السلفايت والآخر



الثقافية

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ترسل الإجابات على العنوان التالي : -

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٢ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول نوفمبر ١٩٨٥ .

بني فاتح مصفر ويعرف باسم ورق الكرافت .. فما هو سبب اختلافهما في اللون ؟

* السبب هو لون الخشب الذي يصنع منه كل منهما .. فهو خشب أحمر في حالة ورق الكرافت .. وأبيض في حالة ورق السلفايت .

* السبب هو الصبغ .. فمصانع الورق تصبغ ورق الكرافت ولا تصبغ ورق السلفايت .

* السبب الشمس فالمصانع تعرض عجينة ورق الكرافت لأشعة الشمس ولا تعرض عجينة ورق السلفايت لها .

١١ - صناعة الصابون وصناعة الفولاذ تحتاج إحداهما الى ٢٧٠ طناً من الماء ولا تحتاج الأخرى الا لطنين من الماء فقط .. وذلك لانتاج طن واحد من السلعة التي تصنعها .. صابوناً كانت أو فولاذاً .. فأي الصناعتين هذه ؟ وأيها تلك .. ؟

١٢ - هنري دونانت مؤسس هيئة الصليب الأحمر الدولية .. ارتبط اسمه باسم إحدى الدول العربية .. فأي دولة تلك ؟

العدد ٣٢٢ سبتمبر ١٩٨٥ م

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ - . . . .

٢ - . . . .

٣ - . . . .

٤ - . . . .

٥ - . . . .

٦ - . . . .

٧ - . . . .

٨ - . . . .

٩ - . . . .

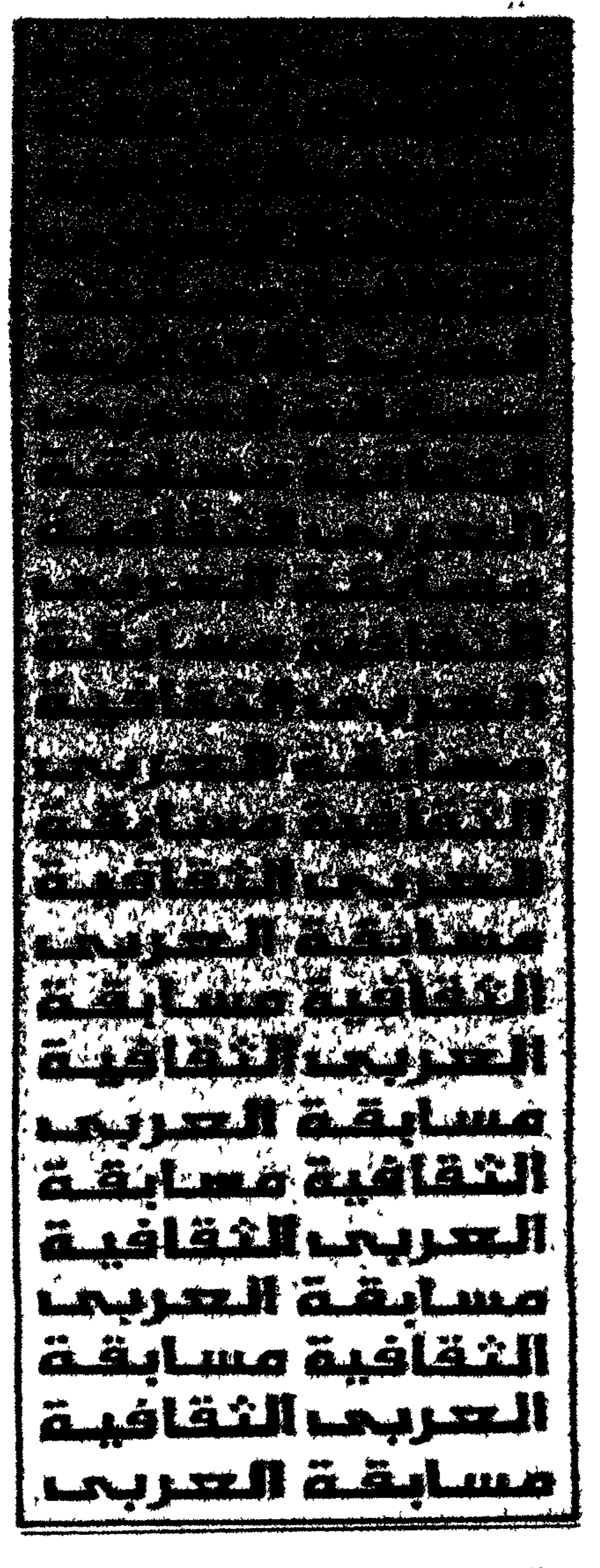
١٠ - . . . .

١١ - . . . .

١٢ - . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .



حـل

١ - لغة الصفير (السيلو) لغة يستعملها سكان جزر الكناري .

٢ - اسكندنافيا لا تضم بالمفهوم الجغرافي سوى السويد والنرويج . . اذ انها شبه الجزيرة الاسكندنافية المكونة من الدولتين المذكورتين فحسب . . أما بالمفهوم الحضاري والتاريخي فاسكندنافيا تشمل الدانمرك وايسلنده وجزر الفيروز بالاضافة الى السويد والنرويج . . وهي تشمل أيضاً فنلنده في نظر البعض .

٣ - المملكة المتحدة هي الكبرى فهي تشمل بريطانيا العظمى وشمال ايرلنده . . أما بريطانيا العظمى فلا تعدو كونها الجزيرة الكبرى بين الجزر البريطانية وهي تشمل انكلترا وويلز واسكتلنده وجزيرة آيل أوف مان وجزر القنال . وتبلغ مساحة المملكة المتحدة ٩٤,٥٠٠ ميل مربع ، ولا تزيد مساحة بريطانيا العظمى على ٨٩,٠٣٨ ميلاً مربعاً .

٤ - تقع لهاسا ، عاصمة التبت على ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم . . ومعنى هذا أن الأوكسجين قليل نسبياً في هوائها الجوي . . من هنا كانت قلة الحرائق التي تشهدها لهاسا . .

٥ - الرجل صِفْرُ اليدين هي الأكثر شيوعاً في كلام العرب . . ويقولون أيضاً صَفِرَ الأناء من اللبن فهو صَفِرٌ . . والصُفر والصِّفْر والصِّفر تعني كلها الشيء الخالي . . ويستوي فيها الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث .

٦ - عصارة الميموزا تستعمل في دباغة الجلود . . ونبات الميموزا أكثره أعشاب والقليل منه أشجار . . وهو من النباتات الاستوائية ، ويزرع في أواسط أفريقيا وأمريكا الوسطى . . وتتميز الميموزا بحساسية أوراقها للضوء .

٧ - لا فرق بين الشاي الأخضر والشاي الأسود ، الا في الطريقة التي تصنع بها أوراق الشاي

الخضراء . . . فاذا عولجت هذه بالتخمير ولمدة ٣٦ ساعة كان الناتج هو الشاي الأسود ، أما اذا عولجت بالتبخير ، بقيت خضراء وكان الناتج هو الشاي الأخضر .

٨ - شركة (بك) شركة فرنسية وهي التي اشترت حقوق صنع القلم الناشف الذي سمته باسمها والذي اخترعه لادسلاويبرو في المجر سنة ١٩٣٨ .

٩ - جزر العذارى الأمريكية ، اشترتها الولايات المتحدة سنة ١٩١٦/١٩١٧ من الدنمارك ، وذلك لقاء ٢٥ مليون دولار ، وقد أقدمت على شرائها تحاشياً لاقدام المانيا على شرائها .

١٠ - ليبيريا هي الدولة الأفريقية المستقلة التي ترفع علماً يشبه علم الولايات المتحدةوالجدير بالذكر أن ليبيريا هذه ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٢٢ وذلك تبعاً للجهود التي بذلتها جمعية الاستيطان الأمريكية وقد أسست هذه الجمعية من أجل الزنوج الأمريكيين المحررين الى ساحل أفريقيا الغربي ونجحت في تهجيرهم وتوطينهم في المنطقة التي اقيمت فيها العاصمة منروفيا بعد ذلك . .

١١ - الزولو هم النشاز . . فهم قبيلة أفريقية بينما الأسكيمو واللابيون من سكان المناطق القطبية الشمالية .

١٢ - انه المضيق الذي يقع في خليج سان فرنسيسكو . . فهو بمثابة مدخل المدينة .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٩ يونيو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : اكرم طه عبد السلام سليمان - المنوفية / الباجور / جمهورية مصر العربية .

الجائزة الثانية : محمود داود الهباب - الشعبية / الكويت .

الجائزة الثالثة : غربال عبد الحق - المغرب / ص . ب رقم (١١) تارويدت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - وليد فوزي الشوبكي - اربد / الاردن .
٢ - حاتم السيد حسين - الزقازيق / منشية الفتح ١٢ شارع عطا / مصر .
٣ - صلاح محمد تيبازا - درارية / دائرة الشراقة / ولاية تيبازا / الجزائر .
٤ - عبدالقادر علي النعيم - الخرطوم / السودان .
٥ - عبدالرحمن محمد المغودي - المدينة المنورة / المملكة العربية السعودية .
٦ - ابراهيم مصطفى عبد الرحمن - المنامة / البحرين .
٧ - ليلى يوسف عبدالرحيم مصطفى حمد الله - دولة الكويت .
٨ - فاروق كرادشة - مأدبا / المملكة الاردنية الهاشمية .

معركة بلا سلاح

أصغر أستاذ كبير في العالم

كان اللاعب البريطاني الشاب « نايجل شورت » يحتفل بعيد ميلاده التاسع عشر عندما فاز ببطولة بريطانيا للشطرنج في مباراة برايتون المنعقدة في مثل هذا الشهر من العام المنصرم . وبالاضافة الى فوزه ببطولة بلاده حصل هذا الفتى الصغير من الاتحاد الدولي بجدارة على لقب أستاذ كبير في الشطرنج بمعدل يبلغ ٢٥٣٥ نقطة وبذلك أصبح أصغر أستاذ كبير في الشطرنج في العالم .

حقق هذا اللاعب الفذ أول انتصاراته في الشطرنج بفوزه على البطل الروسي الأصل والسويسري الجنسية كورشنوي في مباراة من عدة أدوار في آن واحد . ومن أحدث انتصاراته هزيمته الساحقة للبطل الامريكي ل . البرت في المباراة المعقدة في بلدة فوكسبورو في ولاية ماساسوستش الامريكية التي جرت في مطلع العام الحالي على بطولة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة .

وقد خيبت هذه المباراة توقعات المراقبين ومن أبرزهم ممول المباراة الذي خرج قبيل المباراة بالتصريح التالي :

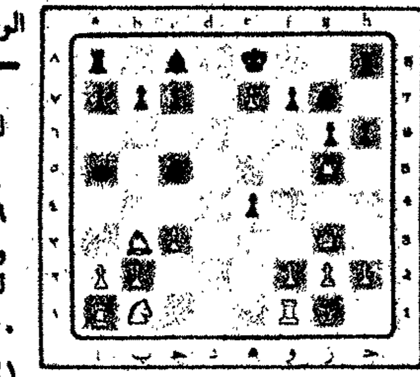
« سيكون شورت محظوظا لو حصل على نصف نقطة فقط » أمام البطل الامريكي فقد كان ينظر الى الفتى الصغير شزرا ولسان حاله يقول : « ألم يجدوا في طول بريطانيا وعرضها لملاقاتي سوى هذا الصبي » ! وكم كانت النتيجة مخيبة لأمالهم جميعا عندما حقق الصبي الصغير انتصاره المذهل بنتيجة لا تقل عن ٧ - ١ واليكم أحد الادوار التي جرت بين البطلين .



نايجل شورت

شورت (أبيض)	البرت (أسود)
١ ـ هـ ٤	ح ـ و ٦
٢ ـ هـ ٥	ح ـ د ٥
٣ ـ د ٤	د ٦
٤ ـ ح ـ و ٣	ز ٦
٥ ـ ف ـ حـ ٤	ح ـ ب ٦
٦ ـ ف ـ ب ٣	ف ـ ز ٧
٧ ـ ح ـ ز ٥	هـ ٦
٨ ـ و ـ و ٣	و ـ هـ ٧
٩ ـ ح ـ هـ ٤	د × هـ ٥
١٠ ـ ف ـ ز ٥	و ـ ب ٤ +
١١ ـ جـ ٣	و ـ أ ٥
١٢ ـ ح ـ و ٦ +	م ـ و ٨
١٣ ـ د ٥	هـ ٤
لو ١٤ ـ و × هـ ٤	هـ ٦ !
١٥ ـ د × هـ ٦	ف × هـ ٦
١٦ ـ ف × هـ ٦	و × ز ٥ ويفوز الأسود

١٤ ـ و ـ ز ٣ !	ح ٦ ـ د ٧
١٥ ـ ح × د ٧ +	ح × د ٧
١٦ ـ د × هـ ٦	ح ـ جـ ٥
١٧ ـ هـ ٧ +	م ـ هـ ٨
١٨ ـ ت !	حـ ٦



الوضع بعد النقلة ١٨

لو ١٨ . . .
ح × ب ٣
١٩ أ × ب ٣
و × أ ١
للعب الابيض
٢٠ ـ و × جـ ٧ و ٦
٢١ ـ ر ـ د ١

١٩ ـ ف ـ و ٤ ؟	(ف ـ هـ ٣ كانت أفضل)
١٩	ح × ب ٣
٢٠ ـ ف × جـ ٧	و ـ ز ٥ !
٢١ ـ أ × ب ٣	و × ز ٣
٢٢ ـ حـ × ز ٣	م × هـ ٧

وبذلك يكون هجوم الابيض قد باء بالفشل وليس أمامه الآن سوى استثمار وضعه الافضل .

٢٣ ـ ح ـ د ٢	و ٥
٢٤ ـ ف ـ ب ٦	أ ٦
٢٥ ـ ح ـ جـ ٤	ف ـ هـ ٦
٢٦ ـ ف ـ جـ ٥ +	م ـ و ٧
٢٧ ـ ح ـ د ٦ +	م ـ ز ٨ ،
٢٨ ـ ب ٤	ر ـ ب ٨
٢٩ ـ ف ـ أ ٧	ر ـ أ ٨
٣٠ ـ ف ـ ب ٦	ف ـ هـ ٥
٣١ ـ ر (ف) ـ د ١	ر ـ حـ ٧ !
٣٢ ـ ر ـ أ ٥	ف ـ و ٦
٣٣ ـ ف ـ د ٤	ف × د ٤ ؟ (رديئة ف ـ ب ٣ أفضل)
٣٤ ـ ر × د ٤	ر ـ ب ٨ !؟
٣٥ ـ ر ـ هـ ٥	ر ـ هـ ٧
٣٦ ـ ز ٤ ! !	(يفوز ببيدق)
٣٦	م ـ و ٨
٣٧ ـ ز × و ٥	ف × و ٥
٣٨ ـ ر × هـ ٧	م × هـ ٧
٣٩ ـ ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
٤٠ ـ ر × هـ ٤ +	ومن ثم يفوز بالدور

حل المسألة (٣١)

١ ـ ز ٤	ف × هـ ٢
٢ ـ ر × حـ ٥ +	ز × حـ ٥
٣ ـ ز ٥ +	ر × ز ٥
٤ ـ (حـ) (و) × ز ٥	كش مات

الفائزون بحل المسابقة رقم (٣٠) يونيو ١٩٨٥

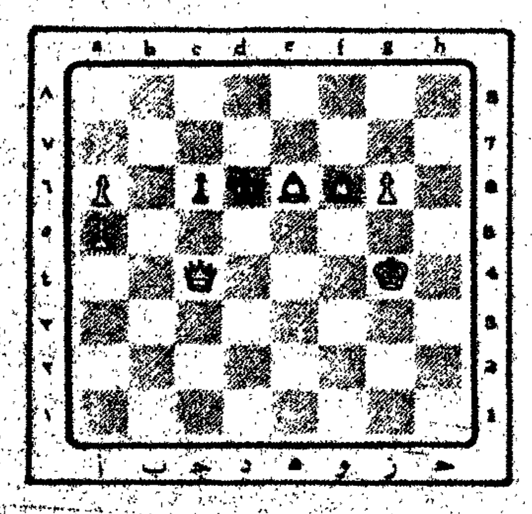
الفائزون باشتراك سنه كاملة :

١ ـ خضير مسير ـ المثنى / العراق .
٢ ـ محمود مسلّمي ـ الزقازيق / ج م ع .
٣ ـ فتحي العكروت ـ طرابلس / ليبيا .
٤ ـ حمد محمد ـ مدني / السودان .
٥ ـ الهامي عبد الرحمن ـ زم / المغرب .

الفائزون باشتراك ستة اشهر :

١ ـ مأمون علي ـ الفحاحيل / الكويت .
٢ ـ رجاء العفو ـ السنابس / البحرين .
٣ ـ محمد صلاح ـ دبي /الامارات .
٤ ـ ابراهيم مهدي ـ روي / عُمان .
٥ ـ مها الرميحي ـ الدوحة / قطر .

مسابقة العدد
مسألة رقم (٣٣)



الابيض يلعب ويميت الشاه في نقلتين

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

الصيف العربي

فصل الصيف هو فصل الحرارة في معظم أقطار الوطن العربي .. والحرارة في كثير من الاحيان عامل طرد وهجرة بشرية عربية تزحف الى اصقاع عديدة من عالم الغرب تبحث عن جمال الطبيعة وبرودة الطقس .. ومع هذا الزحف تزحف الاموال مع المسافرين وهي أموال تشكل عبئا كبيرا على حساب الوضع المالي في أقطار العروبة .

ولو ان الذين يملكون ناصية السياحة في وطننا العربي ، وفروا اماكن السياحة واستثمروها وسهلوا عبور ابناء العروبة بين اوطان العروبة ، لو كان هذا حدث لكانت السياحة العربية في حال افضل مما هي عليه،ولكانت اموال العروبة تنفق فوق أرض العروبة .

المحرر

لبنان - يا لبنان

● اصرخ بكل صوت على ما يجري في بلادي لبنان ، لقد كانت محجا للسياح كل صيف ، وكانت ارضا خضراء وماء عذبا وطبيعة لا تضاهيها معظم دول السياحة الاوروبية ، تغير ذاك العصر الذي كنا نشعر فيه بالراحة ورغد العيش وننعم بالهواء النقي الطلق .. ما الذي يجري في لبنان الآن ، هل هي مؤامرة علينا ؟ ! ما هي قصة هذا الذي نعانيه في بلادنا من حروب ودمار وقتل يهدد الشيخ الوقور والمرأة العجوز والطفل الرضيع والشاب والفتاة ؟ الكل يلاحقه الموت والكل يسعى له .. وكأن الانسان قد نزع الضمير والرحمة من قلبه ..

لبنان في حاجة الى اعادة ابتسامته الخضراء التي سلبت منه ، وهو في حاجة الى اعادة الامان والتآلف فيما بين ابناء شعبه حتى يعود كما كان شمعة مضيئة تضيء في سماء العروبة والاسلام ..

محمد الحاج - بعلبك - لبنان

الذي يتعرض له لبنان الشقيق يقطع نياط قلب كل عربي مخلص .. ولبنان الذي نعرفه هو ارض الثقافة والابداع والسياحة والزراعة بكل انواعها .. ولم نعرف لبنان في هذا الحال الذي عليه ، الله وحده نسأله ان يزيل المحن عن هذا البلد الشقيق فهو جزء من العروبة وما يتعرض له يؤلم بقية أقطار العروبة ... وهي كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى ..

اعـداد : يـوسف الشهاب

شكرا للكويت

● كنا نعاني منذ مدة من تأخر وصول مجلتنا العربي ، وكنا نواجه الكثير من المتاعب من اجل الحصول عليها بين مكتبة واخرى .

ومع بداية هذا العام بدأت المجلة تصلنا اسرع مما كانت عليه وصار أمر الحصول عليها أسهل بعد ان اجتازت « العربي » عنصر التأخير واختصار الوقت في الشحن والطريق - فشكرا للكويت التي اعطتنا هذه المجلة الثقافية الرائدة وشكرا للقائمين عليها من اسرة التحرير . .

نايف بشير - فنزويلا

● ما يهمنا هو ان تكون هذه المجلة في متناول ابناء العروبة والناطقين بلغة القرآن في كل مكان . ومادمنا قد نجحنا في اجتياز مرحلة تأخير وصول المجلة فاننا نكون قد قطعنا شوطا آخر من اهداف المجلة . هذه ناحية أما الأخرى فان صدور المجلة من الكويت ينبع من ايمان هذه الارض برسالتها تجاه ابناء العروبة والاسلام .

الفلاسفة الاسلاميون

قرأت في العدد (٣١٨) عرضا لاطروحة « نظرية الشعر عند الفلاسفة الاسلاميين » وتبين ان هنالك بعض النقاط تحتاج الى تصحيح ، إذ انني لم اقتصر في رسالتي على الفلاسفة الأربعة : الكندي والفارابي وابن سيناء وابن رشد « لعدم نضج آراء غيرهم من الفلاسفة المسلمين كما ورد في المراسلة » بل لان آراءهم لا تمس سوى عناصر جزئية في نظرية الفلاسفة للشعر . ومن هنا لم أولها اهتماما عليا بأن اغلب آراء الفلاسفة احتوتها شروحهم لفن الشعر - وان شكل نتاجهم الفلسفي عامة إطار لهذه النظرية ولم نعرف لغيرهم شروحا لفن الشعر هذا ، عدا ما نسب لابن الهيثم ولم يصلنا .

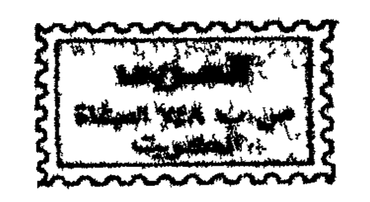
وورد ايضا في العرض المنشور حديث عن قلة الدراسات الحديثة التي بحثت الموضوع وذكر المقال فيما ذكر كتابا للدكتور شكري محمد عياد (نظرية ارسطو في الشعر) ولعل الكاتب يقصد كتابه « كتاب ارسطوطاليس في الشعر » والحق ان الكتاب لا يحتوي على اشارات الى نظرية الفلاسفة في الشعر وحسب بل احتوى على اغلب عناصر نظرية الفلاسفة في الشعر ، وشكل بذلك اساسا لعمل الأطروحة التي قدمتها . . .

الاخضر جمعي

لامية العرب . . ولامية العجم

● في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ م وفي باب جمال العربية « صفحة شعر » بصدد لامية العجم وردت العبارة التالية . . . التي اشتهرت باسم لامية العجم لان صاحبها اعجمي . . .

وحيث ان هذه العبارة غير صحيحة ، وان كاتب المقال لم يناقش مدى صحتها فاني اورد هنا ما ذكره الاديب عبد المعين الملوحي في كتابه « اللاوميستان » الذي نشرته وزارة الثقافة والارشاد السورية عام



حوار القراء

١٩٦٦ م ، تحت عنوان « لماذا سميت القصيدة لامية العجم » يقول الكاتب :

« عرفنا ان الطغرائي كان عربيا (الحسين بن علي ابن عبد الصمد المشهور بالطغرائي ويكنى ابا اسماعيل ويلقب بمؤيد الدين وينعت بالاستاذ) ولد عام ٤٥٣ هـ ، من اسرة عربية تنسب الى ابي الاسود الدؤلي » فلماذا سميت قصيدته هذه بلامية العجم ؟ » ذلك موضوع يتناول بحثه الدكتور علي جواد الطاهر في مقالة يقول فيها :

اول ما يفهم من قصيدة تسمى لامية العجم ان صاحبها عجمي أو انها تمجد العجم وتسجل مفاخرها ، فماذا في اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء ، إذ ان الطغرائي شاعر عربي ، هذا أمر اصبح مفروغا منه ، وقد نسبته مصادر مهمة لابي الاسود الدؤلي ، اما ان يلقب احيانا بالاصبهاني وانه من مواليد هذه المدينة فليس لذلك دلالة كبيرة . ثم انه حين قراءة اللامية لا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم بل انها اصلح ان تكون مصدرا عن اخلاق العرب ومعاشهم .

واول من سمى هذه القصيدة بلامية العجم هو « ياقوت الحموي » المتوفى عام ٦٢٦ ، أي بعد تأليف اللامية بمائة وعشرين سنة ، ثم يأتي ابن خلكان فيقول شيئا يشبه ما قاله الحموي حتى اذا جاء الصفدي خصها بشرح مفصل .

أما قصيدة لامية العجم ، فانها سميت كذلك تشبها بلامية العرب لانها تضاهيها بحكمها وامثالها ، ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى واولها . . اقيموا بني أمي صدور مطيكم . .

وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها . .

رياض حارس ـ دمشق

لم تتعرض مقالتنا في ترجمة الطغرائي لنسبه ، وإن قلنا أنه عجمي ، وهو أعجمي المولد على كل حال ، لأن مولده في أصفهان وهو ينسب إليها ولا شك ، ان قصيدته تسمى لامية العجم ،ولا تتعارض عروبة نسبة مع أعجمية موطنه .

ابن فضلان ـ لم يقابل « الفايكنغ »

● في الاستطلاع الذي نشر في العدد (٣١٨) مايو ١٩٨٥ بعنوان « فنلندا والانغام » استوقفتني بعض الاخطاء الموضوعية التي ينبغي ردّها الى حقيقتها . فقد وقع كاتب الاستطلاع في مطب حين تناول موضوع رسالة احمد بن فضلان رسول المقتدر الى ملك الصقالبة ، هكذا ورد عنوان الرسالة في المخطوطة الاصلية الوحيدة التي عثر عليها وقام بتحقيقها ونشرها للمرة الاولى المستشرق الروسي « كوفالفسكي » وكذلك المتخصص التركي زكي وليدي طوغان ، كما نشرت الرسالة ذاتها في منطقتنا العربية عام ١٩٥٩ م في دمشق بتحقيق الدكتور سامي الدهان .

وطبقا للرسالة والابحاث العلمية التي تمت عليها فان ابن فضلان لم يصل الى ابعد من مدينة « بلغار » على نهر الفولجا قريبا من مدينة « كازان » الحالية في الاتحاد السوفيتي الآن . . اما ما ورد في استطلاعكم عن رحلة ابن فضلان فقد كان هناك خلط بين رحلته الحقيقية والقصة الخيالية التي صدرت للروائي الامريكي « ما يكل كريكتون » والتي استوحى بعض احداثها من قصة ابن فضلان وبشكل بعيد عن الواقع تماما ، واريد ان اؤكد ان ابن فضلان قد شاهد الروس فعلا الا انه لم يقابل الفايكنغ ، وهذا هو الخلاف بين المدرستين النورماندية واللانورماندية .

احمد نظمي احمد ـ جامعة وارسو ـ بولندا



أوبو عبدًا

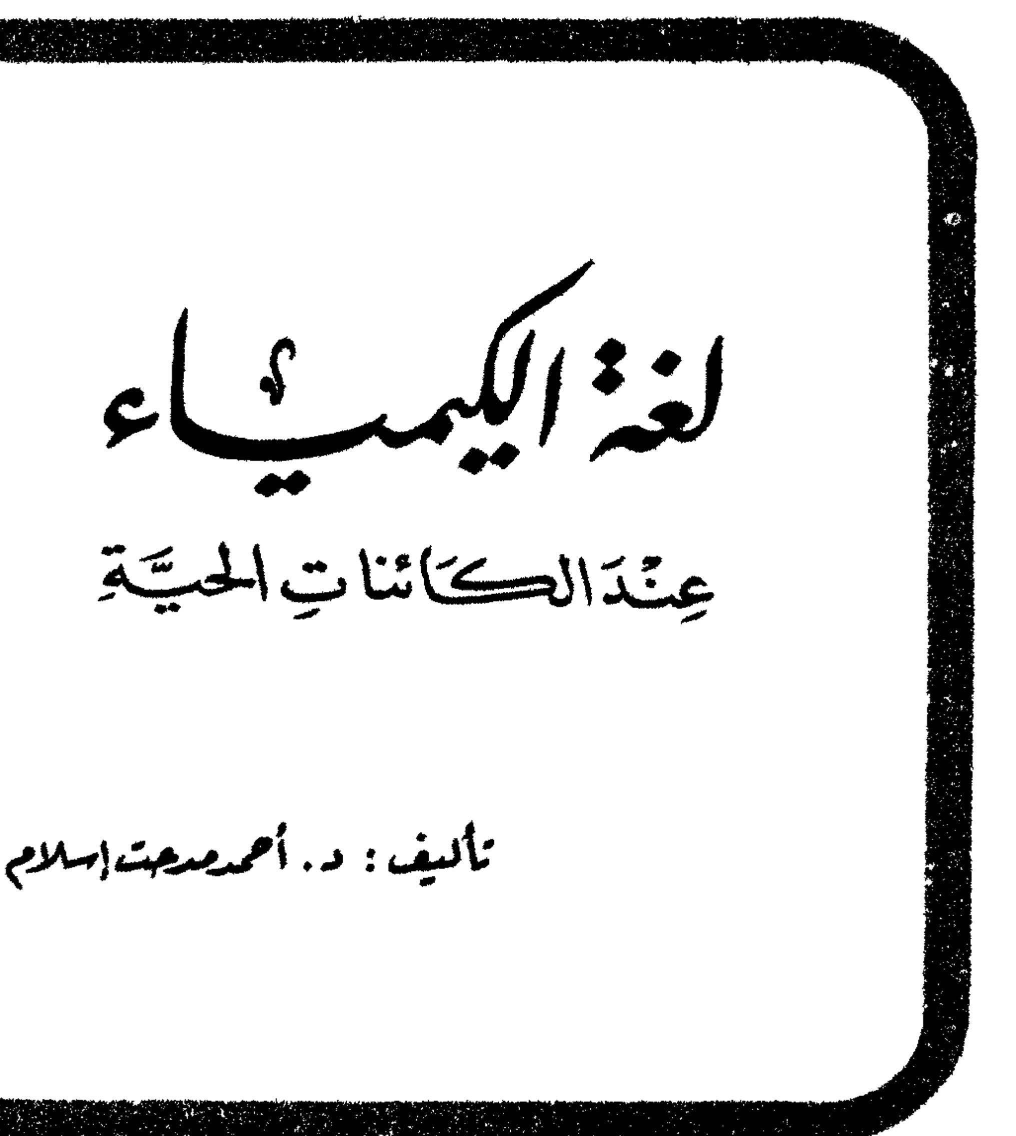
تأليف : الفريد جاري ـ ٢

ترجمة وتقديم : د. حمادة ابراهيم

مراجعة : د. سامية أسعد

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

سبتمبر ١٩٨٥م



لغة الكيمياء

عند الكائنات الحية

تأليف : د. أحمد مدحت إسلام

الكتاب الثالث والتسعون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت



صباح الخير!
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
يجعل نهارك مليئا بالحيوية والنشاط.
إشرب نسكافه في الصباح وفي أي وقت ، وتمتع بطعمتها اللذيذ ونكهتها الغنية.
نسكافه ، قهوة .. ابلغة صافية سريعة التحضير.
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.